أمين معلوف

جائزة غونكور لسنة ١٩٩٣



ملف وثائقي من إعداد عدنان الشافعي ، الطيب ولد العروسي

أمين معلوف

"جائزة غونكور" لسنة ١٩٩٣

فاز الروائي اللبناني أمين معلوف بجائزة "غونكور" لسنة ١٩٩٣ بروايته "صخرة طانيوس" الصادرة في باريس عن دار "غراسيه".
جائزة "غونكور" هي أهم جائزة أدبية فرنسية تمنح لأفضل عملي روائي كل سنة.
ولد أمين معلوف في بيروت سنة ١٩٤٩، درس الاقتصاد و العلوم الاجتماعية في مدرسة الآداب العليا، وفي جامعة القديس يوسف في لبنان.
عندما اندلعت الحرب في لبنان، وجد نفسه ككثير من اللبنانيين في وضع يجبره على أخذ مواقف مؤيدة أو معارضة، وبما أن البقاء المحايد في لبنان غير ممكن، غادر بلاده إلى باريس عام ١٩٧٦ واستقر فيها.
عمل في الملحق الاقتصادي لصحيفة "النهار"، ثم عمل في إسبوعية "جان أفريك" وفي أسبوعية "النهار العربي والدولي" قبل أن ينصرف إلى العمل الروائي.
أمين معلوف هو الروائي الثاني الذي يفوز بجائزة "غونكور" بعد الطاهر بن جلون الكاتب المغربي الذي فاز بهذه الجائزة عام ١٩٨٧ عن روايته "ليلة القدر".
عرف أمين معلوف بعمله الروائي المميز منذ أول كتاب صدر له عام ١٩٨٣ "الصليبيون كما رآهم العرب" والذي لاقى نجاحا كبيرا وملفتا للأنظار، ثم تلاه بأعمال روائية أخرى :
"ليون الأفريقي" عام ١٩٨٦، رواية ترجمة للغات عديدة والتي نالت جائزة الصداقة الفرنسية العربية.
"سمرقند" ١٩٨٨. "حديقة الضوء" ١٩٩١. "القرن الأول بعد بياتريس" ١٩٩٢. وأخيرا روايته "صخرة طانيوس".
وجد أمين معلوف تكريما من القراء والنقاد، لأنه فرض نفسه بعمله الإبداعي المميز على الساحتين الأدبيتين، الفرنسية والعربية. نقرأ من خلال أعماله تاريخنا العربي– الإسلامي ، فهو يذكرنا بجرجي زيدان ، الذي كلما تناول عملا ما، وضعنا في حقبة تاريخية حافلة بالأحداث.

وإن كان أمين معلوف يأخذ موضوعات رواياته من التاريخ العربي– الإسلامي ، فإنه لا يأتي بها كما حدثت ، بل يترك مجالا كبيرا للخيال. فنراه يقول عن أعماله الشيء التالي : (في الحملات الصليبية كما رآها العرب ليس هناك تخيل ، أما في"ليون الأفريقي فالنقيض هو الحاصل ، ومع ذلك استوحيت حياة شخص له وجوده التاريخي ورواية رحلة قام بها، هنا الأحداث الفعلية تحتل مساحة لها شأن ، غير أن كل شيء يبقى في إطار التخيل. في "سمرقند" عناصر لا تمت إلى الواقع بصلة ، غير أنها من بعض الحكايات المعروفة وقد تناولتها كما يحلو لي ، مثل العلاقات بين عمر الخيام ونظام الملك.

في "حديقة الضوء" أردت إعادة تكوين واقع تاريخي بما أمكن من الدقة ، هناك إذا، إعادة تكوين تاريخية تقف عند حد معين ، بمعنى أن العناصر الأساسية لهذا التكوين لا تشكل المساحة الغالبة من الرواية. يبقى أن "القرن الأول بعد بياتريس" هو تخيل خالص .) تخيل يسمح لقراءات عديدة ، أهي قصة عاطفة الأمومة ، أم عاطفة أب لإبنته ، أم هي ببساطة قصة حب رجل لأنوثة الدني ؟ أهي قصة تقاسم الأرض ما بين شمال يائس وجنوب بائس ، أم هي قصة لقاء مخيف ما بين ضلال الرجعية وفساد التقدمية ؟

أما "صخرة طانيوس" فهي قصة مستوحاة من عالم القرية اللبنانية ، رواها له والده الصحفي الراحل رشدي معلوف. في هذه الرواية ، يتقابل شاب "لقيط" اسمه طانيوس ، مع المكونات الاجتماعية كلها ، ويقابل الأمير ، وينتهي به الأمر إلى الفوز بمنصب شيخ مسؤول عن قيادة وتسيير القرية ، غير أنه يغيب ، ويرحل عن القرية بدون ما سبب. يقول أمين معلوف (في وقت ما ينسحب طانيوس من الواقع الذي يعجز على التعرف على ذاته فيه ، يرفض السلطة التي منحوها له.)

لقد ترك أمين معلوف لكل إنسان مجال التخيل. "نادر المكاري" يتصور أن طانيوس قد صعد على مركب أبحر في اتجاه قبرص ليلتقي فتاة شعرها بلون البرتقال.

المهم أن طانيوس أقدم على الرحيل ، لكن كيف يتحول طانيوس من لقيط إلى بطل ؟ يرى أمين معلوف أن ذلك يرمز إلى كل هذا الاختلاط التي تتسم به مجموعة السكان في بلاده ، غير أنها أمة تشبه أيضا الجبل (جبلنا الجميل جدا والمثير جدا لرغبات الإحتلال والمتلقي جدا للعنف و الإعتداءات.)

١٩٩٣
عام النجاح والجوائز لسبعة لبنانيين

على رغم المتاعب والصعاب وكل المشاكل التي حفل بها العام الماضي، الا انه يبقى عام النجاح والازدهار الفكري والثقافي. سبعة من اللبنانيين حصدوا جوائز عالمية نلقي عليهم الضوء سريعاً في جردة تقويم لايجابيات السنة المنصرمة.

حين تسقط الورقة الاخيرة من روزنامة زمن محدد تعبر الذاكرة الى جردة تقويم لكل الذي ذهب، وتتوقف عند المفرح من الاعمال كأنها تسترجعه لحظة فرحة وتكبر به، وخصوصاً حين يكون ابعد من المادة واكثر من العادي.

سنة ١٩٩٣ كان فيها وهج لنجاحات عربية في بلدان اجنبية. سبعة من اللبنانيين كان لهم حظ التفوق والوقوف في الضوء لحظة اعلان جوائز عالمية مهمة:

امين معلوف، فينوس خوري - غاتا، ديفيد معلوف، ديزيريه عزيز، نسيب نمر، يمنى العيد والاب لويس الحاج.

امين معلوف، الكاتب والروائي اللبناني، خطف الاضواء في فرنسا ولبنان والعالم الفرنكوفوني كله بفوزه بجائزة «غونكور» للعام ١٩٩٣ عن كتابه «صخرة طانيوس». وكان صدر لمعلوف روايات باللغة الفرنسية هي: «الحملات الصليبية كما رآها العرب» العام ١٩٨٣، «ليون الافريقي» العام ١٩٨٦، «سمرقند» العام ١٩٨٨، «حديقة الانوار» العام ١٩٩١ و«العصر الاول بعد بياتريس» العام ١٩٩٢.

فينوس خوري - غاتا، الشاعرة والروائية اللبنانية، حازت في العام المنصرم على الجائزة الكبرى لجمعية اهل الادب في باريس تتويجاً لمجمل نتاجها الادبي. فينوس خوري اطلت على الدنيا في لبنان العام ١٩٣٧، وعرفت في بيروت كشاعرة وروائية وناقدة قبل انتقالها الى باريس ومتابعتها الرحلة الادبية.



مؤلفاتها تخطت العشرين وجائزة جمعية اهل الادب ليست الاولى في سجل حياتها، اذ سبق لها ان حظيت بجائزة مالارمه وجائزة ابولينار وجائزتين لجمعية اهل الادب.

«الجائزة الكبرى لاشعاع اللغة الفرنسية» لسنة ١٩٩٣ استحقها لبناني ايضاً، هو الاب لويس الحاج، تقديراً لنتاجه الفكري، ولمجمل ابحاثه ومؤلفاته في تاريخ الموسيقى واصولها. ويرئس الحاج حالياً المؤتمر الدولي للموسيقى العربية وجمعية الموسيقى العربية.

وفي فرنسا ايضاً فازت اللبنانية ديزيريه عزيز بجائزة ادبية رفيعة المستوى عن كتابها «ارزة لبنان».

بعيداً عن الفرنكوفونية، نجح اللبنانيون ايضاً وتألقوا. ديفيد معلوف، لبناني اخر، حمل اليه العام ١٩٩٣ الفوز والنجاح، اذ نال جائزة بوكر الانكليزية، وهي واحدة من اهم الجوائز الادبية الانكليزية.

اعمال معلوف الادبية كثيرة ومعروفة ابرزها: «الحياة المتخيلة» العام ١٩٧٨، «طر بعيداً يا بيتر»، «لعبة اطفال»، «العالم الكبير» التي ادرجت في لائحة جائزة بوكر سابقاً لكنها لم تصل الى التصفيات النهائية، وقد نالت اعجاب النقاد الادبيين وحماستهم لاثارتها الجدل والتأمل. اما رواية معلوف الفائزة فتحمل عنوان «تذكّر بابل» وتروي مغامرة شاب يعود الى الحياة المدنية بعد ستة عشر عاماً عاش خلالها في الادغال مع احدى القبائل بعد تحطم سفينته...

رابطة احياء التراث العربي في اوستراليا، منحت جائزة جبران العالمية التقديرية لسنة ١٩٩٣ للبناني نسيب نمر، تقديراً لمجمل اعماله ونشاطاته الفكرية.

ومن اوستراليا الى الامارات العربية، حيث منحت مؤسسة سلطان العويس الثقافية جائزتها للدراسات الادبية والنقد لعام ١٩٩٣ للدكتورة يمنى العيد والناقد المصري فاروق عبد القادر. للدكتورة العيد منشورات عدة: «الدلالة الاجتماعية لحركة الادب الرومنطيقية في لبنان»، «في معرفة النص»، «الراوي: الموقع والشكل»، «في القول الشعري»، «تقنيات السرد الروائي»، «الكتابة: تحول في التحول» وهو آخر كتبها.

سبع جوائز حصيلة العام المنصرم، ترى ما الذي تخبئه السنة الجديدة •

ن. ع.

مرة أخرى جائزة جونكور الفرنسية لكاتب عربى !

بقلم : محمود قاسم

أمين معلوف



إنه زمن الرواية العربية .

هـذا هو الانطبـاع الأول الذى يتبـادر إلى المرء ، وهو يشاهد فى إحدى محطـات التليفزيون إثنى عشر من كبار أدباء فرنسا يجتمعون ليتفقوا على أن الكاتب اللبنانى أمين معلوف يستحق بجدارة جائزة جونكـور ١٩٩٣ عن روايتـه الأخيـرة ، صخرة طانيـوس ، والتى لم يكن قـد مر سـوى أسبوعين فقـط على خروجها من المطابع .

●●●●

أمين مـعلوف ظاهرة أدبية تستـحق الالتفـات إليـها ، ليس لأنه استطاع منذ روايته الأولى « ليون الافريقى » أن يثبت مكانتـه ، بقـدرته الهـائلة على الحكى .. والتوغل فى التاريخ القـديم ، والمستقبل المحتوم . ولكن أيضا لأنه بدا فى رواياته الخمس ، كـأنه قـد راح يجمع أشـلاء المعرفة المتناثرة حول الزمن والشخصيات التى يكتب عنها ، ابتداء من حسن الوزان الرحالة العربى الشهير ، إلى الشاعر عمر الخيام . والنبى مانى فى القرن الثالث الميلادى . وأخيرا إلى منتـصف القرن التاسع عشر فى روايته الأخيرة .

ومـادمنـا نتـكلم عن فوز معلوف بالجائزة ، فلابد أن نعلن فرحتنـا ، ليس لأن مـثل هذه الجائزة قـد قـدمت الكاتب بشكل متسع إلى مساحة عريضة من القراء ، بل لأن هذا أيضـا يسـاعد على تقصير المسافة الزمنية لوصول بقية هذا الأدب إلى قـراء خـارج حـدود الوطن العربى.

ولابد من الاعـتـراف أن مـا لفت نظر الغرب إلى روايات مـعلوف ، أنه قد غير صـورة الشرق لدى القـارىء الغربى ، وربما عكس مـا فـعل الطاهر بن جلون ، فـهـو لا يصـور بلاده على أنهـا مكان لحكايات ألف ليلة وليلة . بل هو يختار من شـخصيات التـاريخ ، من برعوا فى مجالاتهم ، ومن اتصلوا مثله ، بثقافات الآخرين ، وعملوا على تطوير البشرية ، وكانت لهم مواقف من الحيـاة ، والكون ، ولـذا سيبقى حسن الوزان نموذجا لعربى عقلانى . كما سوف نراه يردد فى « ليون الافريقى » : « أنا حسن بن الوزان ، جان ليون المدسيسى ، خُتنت على يدى حلاق ، وتعـمـدت على يدىّ « بابا » ، يسـمـوننى اليـوم بالافـريقى ، إلا أننى لست من افريقيـــا ، ولا من أوربـا ، ولا من « حـاضـرة » العرب ، يسـمـوننى كـذلك بالغرناطى ، والفارسى والزياتى ، ولكننى

لم آت من أى بلاد ، ولا من أى مدينة ، أو قبيلة ، أنا ابن الطريق ، وطنى قافلة ، وحياتى مسيرة بعيدة عن الواقع بعدا تاما » .

سقوط القاهرة

فى كتابه الأول ، غير الروائى ، عن الحروب الصليبية كما رآها العرب ... عبر معلوف عن رؤيته للتاريخ العربى من خلال أن العرب قد ابتلوا بعاهتين ، قياسا إلى ما حققه الغربيون . فقد عجز مسئولو القيادة العربية عن بناء مؤسسات ثابتة ، فى حين تجمع الغرب منذ وصولهم إلى الشرق فى خلق وتكوين دول حقيقية ، يتم فيها انتقال السلطة - بشكل عام دون حدوث أى صدامات ، أما كل انتقال فى الحكم لدى العرب فكان يشكل تهديدا فى قيام حرب أهلية .

أما النقطة الثانية فهى أن الغربيين قد أقبلوا على المدرسة العربية فى جميع الميادين سواء فى بلاد الشام أو فى أسبانيا أو صقلية ، وكان من غير الممكن الاستغناء عما تعلموه منها لتوسعهم وانتشارهم فيما بعد ، فتراث الحضارة الاغريقية ما كان لينتقل إلى أوربا الغربية إلا عن طريق العرب مترجمين ومكملين.

من هذه المفاهيم بدأ معلوف يدخل إلى مجال الإبداع ، وقد فعل ذلك بعد أن تجاوز الثلاثين ، وهو الذى عاش فى عالم الصحافة زمنا طويلا ، لم يبد عليه أثناء ممارسته لها أنه سيكون مبدعا ، خاصة حين عمل فى صحيفة « النهار » ، وأيضا فى رئاسة تحرير مجلة « جون أفريك » ، لكنه فى روايتيه الأوليين بدا كأنه يود أن يطبق هذا المفهوم من منظوره الخاص ، فهو لم يقترب من الحكام ، ولكنه اقترب من شخصيات بقت مع التاريخ ربما أكثر من حكام عديدين .

ومعلوف المولود فى عام ١٩٤٩ ، قد عبر عن اتجاهه للكتابة بالفرنسية قائلا : « تضافرت عوامل عديدة لتدفعنى إلى اختيار اللغة الفرنسية ، فأنا أقيم فى فرنسا منذ عدة سنوات ، ومن الطبيعى أن أتوجه إلى المجتمع الذى أعيش فيه ، كما أن حركة الكتاب فى العالم العربى معاقة بعوامل متعددة : توزيعية ، وسياسية واقتصادية ، مما يجعل من المتعذر على الكاتب أن يحيا من أعماله ، فأنا أعيش هنا من حقوقى كمؤلف ، وأستطيع الانصراف إلى الكتابة دون أن يعوقنى عائق ، ولا مشكلة لدىّ مع اللغة العربية ، فأنا أكتب بها وأحبها ، وأتمنى حقا أن يتمكن الكاتب الذى يعمل بها بجدية ، وأن يتمتع بوضعية كاتب حقيقى..

وحصاد إبداع معلوف حتى الآن هو خمس روايات : « ليون الافريقى » و« سمرقند » و« حديقة الأضواء »

و « القرن الأول بعد ميلاد بياتريس » ، وأخيرا « صخرة طانيوس » وقد بدا فى الروايات الثلاث الأخيرة أن الكاتب لم يحصر نفسه فى مرحلة زمنية معينة ، وإن ظل يكتب روايته بأسلوب السرد التقليدى حتى فى روايته حول المستقبل .

فى روايتــه الأولى تناول سيرة حسن الوزان (١٤٨٣ - ١٥٥٤م) ، الذى عاش فى فتـرة مزدهرة شارك فيهـا العرب بصورة فعالة فى صناعة النهضة الأوربية، وهو رجل له نفس أهميـة ابن بطوطة فى التاريخ العربى ، عشق الأماكن وعرف البشر ، وتذوق أطعمة عديدة فى بيوت تمت استضافته فيها ، وكانت مصر احدى المحطات التى نزل فيها : « يا بنى عندما وصلت إلى القاهرة ، كانت هذه المدينة قد أضحت منذ عهـود طويلة ، حـاضـرة امبراطورية زاهرة ، وقصرا للخليفة ، أما حين تركتها فقد باتت مجرد عاصمة لإقليم، ولا ريب أنها لن يقيض لها أبدا أن تستعيد مجدها التليد » .

يتــاجرون بالــدين فى زمن الخيــام

أما عمر الخيام فى « سمرقند » فهو يحمل نفس الصفـات ، لكن فى مجـال مختلف ، فقد عاش حياة خاصة مثيرة ، وكتب شعرا بليغـا يعكس فلسفته تجاه الوجود والكون ، وقد رأى الكاتب أن فى حيـاة الخيـام ما يمكن أن يصنع رواية مثيرة ، وهو لم يتعامل مع الخيام بصفته شاعرا، بل أيضا راح يكشف الصراع بين الحاكم وبين حسن الصباح (الحشاشين) الصـديق الحميم للخيام ، فقد أدى هذا الصـراع إلى تدمير الامبـراطورية السلجوقية ، امبراطورية ملك شاه ، التى امتدت عبر آلاف الأميـال ، من الصين شرقا وحتى حدود البحر المتوسط غربا .

وقد اختار الكاتب شكلا غريبا فى هذه الرواية ، حيث انتقل من أوائل القرن العشرين حيث عثر أحد العرب المهاجرين لأمريكا على وثائق مهمة حول الخيام ، ثم يعود إلى زمن الشـاعـر ، ولا شك أن الكاتب قد اختـار بين مـا حدث من صراعات دينية فى زمن الخيـام ، وفى نهاية القرن التاسع عشـر ، ويمكننا أن نحس بذلك فى الأحـداث التى تشهدها بعض الدول الاسلامية حاليا.

وكما يقول معلوف فقد يجد البعض شبهـا متعدد الجوانب ، بين نظام الملك وشاه ايران الراحل ، لكن الشبه محدود ، كذلك الشبه محدود بين حسن الصباح ، الثائر الاسماعيلى ، وبين الذين يقودون حركات ذات قنـاع « دينى » ، يكفى أن حسن الصباح ثار ، أولا ، على معتقدات جاهلة ، أى معتقـدات الشيعة الاثنى

عشرية ، وبالتالى لا يمكن أن تكون هناك مقارنة كلية بينه وبين شخصيات عاشت فى بلاد فارس ..

ورغم أن النبى « مانى » فى روايتــه « حديقة الأضواء » عاش فى القرن الثالث الميلادى فإنه من الواضح أن مانى قد خرج منَ جعبة الخيام رغم الفارق الزمنى بين الاثنين ، فقد تولد « مانى » من الظل ، وبدا كأنه جاء من العالم المعاصر ، وكأنه يرد على الأسئلة الأكثر عمقا التى يرددها البشر ، لقد عاش « مانى » عمرا قصيرا ، فمات وهو فى السابعة والعشرين من العمر ، وكان ضحية لصراعات دينية اندلعت بين رجال الدين المسيحى .

لقد أراد « مانى » أن يوحد بين الأديان ، وأن يصبح البشر تحت لواء دينى موحد ، من بوذيين وكونفوشيسيين ويهود ، ومسيحيين ، عماد هذا الدين هو البساطة ، لقد رأى « مانى » أن الإنسان هو صورة العالم مطبوعة ، وهو يمشى فى دروب النور والظلام ، وعليه أن يختار ، ولا شك أن مصيره مرتبط بسلوكه ، فهو إما إلى طريق النور ، أو إلى دروب العتمة .

وقد رأى « مانى » أن الوجود الإنسانى ، قد أصبح مميزا بمواجهة مع القوى الكونية ، ولذا فإن على الإنسان أن يتحلى بالحب ، ويمارس الصلوات .

«مانى» رجل المحرمات

ويقول معلوف إن « مانى » قد مس منطقة المحرمات الدينية والسلطات ، كما أن أفكاره تقوم على أساس الصفوة ، فالصفوة تشغل مكانة مهمة فى المجتمع ، وتأثيرها المعنوى يؤخذ دائما بعين الاعتبار ، لذا أخذ الصراع بين « مانى » ورجال السلطة شكلا حادا .

أما رواية الكاتب الرابعة ، فتبدو نشازا ، ليس لأنها تدور فى عالم مجرد ، هو زمن قادم هو المستقبل ، ولكن لأن « القرن الأول بعد ميلاد بياتريس » يعنى الزمن الذى سيخلو تماما من الاناث ، ويبقى فيه الذكور ، وفى هذا القرن سوف يحس الرجل بقيمة النساء ، وكان ذلك بمثابة رد على النظرة الشرقية لمكانة المرأة ، فالرجل الشرقى يصبح كظيما حين يرزق بالإناث ويفضل أن يكون له ابن متخلف عقليا عن ثمانى فتيات ناهدات ، ويقول معلوف « لا شك أننى بالغ الحساسية ، كرجل شرقى ، لهذه اللعنة القديمة التى تثقل على النساء ، ففى بلادنا ، مثلما فى الكثير من بلاد العالم ، فإن مولد فتاة يستوجب الحداد فى باكستان ، وفى الصين قد يقومون بقتلها » .

موسم الجوائز الأدبية ١٩٩٣

إلى هذا الشرق المعاصر ، عاد معلوف فى روايته الأخيرة « صخرة طانيوس » ، وإذا اعتبرنا أن أوائل القرن التاسع عشر هو تاريخ معاصر بالنسبة للكاتب ، فهو قد عاش مع أبطال روايته « سمرقند » فى جزء من هذا التاريخ ، وتدور الأحداث فى قرية لبنانية صغيرة ، وهناك فى هذا العصر مواجهة محتومة بين عمدة القرية ، وبين شاب عرف الرحيل ، مثل الوزان ، فخابر الحياة ، وعاد من أجل مواجهة هذا الطاغية المتحجر .

وطانيوس هو ابن لامرأة جميلة تسمى لمياء من قرية « كفر عبده » تحمل جمالها كأيقونة لامعة ، أما أبوه جريوس ، فهو رجل يحترمه أبناء القرية ، أما العمدة فرنسيس فيمثل سلطان القوة الطاغية .. وتدور الأحداث فى زمن مرت فيه قوات محمد على باشا على الأرض اللبنانية .

ويقول الناقد چان فرانشيني – الاكسبريس ٢١ أكتوبر ١٩٩٣ – إن الموضوع الرئيسى للرواية هو المأساة اللبنانية ، فقد عاشت البلاد تحت رزح عنف مزدوج ، أما طانيوس فهو يتألم بشدة ، وهو يرفض أن يمتثل لقانون الثأر المفروض عليه .. وعليه أن يهرب من هذه العادات وخاصة أن المدرسة محكومة بناظر متسلط أيضا ، وبعد سنوات يعود

الطاهر بن جلون

من المنفى كى يواجه العمدة بعد أن تغيرت مفاهيمه ، وهو يود أن يتفادى العدالة الشخصية بأى ثمن ، ويؤمن أن التسامح فى حد ذاته سلاح ، ولكن ذات يوم فى عام ١٩٤٠ ، يختفى طانيوس فى ظروف غامضة ، لقد قرر أن يعيش مثل أغلب اللبنانيين فى القرنين الماضيين فى المهجر، أو لعله منفى اختيارى ، وهو فى هذا المنفى لا يكف عن التفكير فى وطنه ، والعودة مجددا إليه .

هذا بعض من عالم أمين معلوف الروائى ، وهو عالم متسع ، ومن الواضح أن الكاتب الذى لم يتجاوز الخامسة والأربعين تنتظره سنوات مشرقة من الإبداع ، ولعلها نفس السن الذهبية التى نال فيها بن جلون نفس الجائزة ، وبذلك يفتح كل منهما لأقرانهما العرب ، الذين يكتبون بالعربية أو الفرنسية آفاق الأمل ليس فقط فى الوجود الأدبى خارج حدود الوطن ، ولكن فى الحصول على أهم الجوائز الأدبية العالمية .



جائزة (غونكور)

لرواية (أمين معلوف)

(غونكور) هي كبرى الجوائز الأدبية الفرنسية، وارقاها معنوياً واعرقها، انشئت عام 1903. يحصل الفائز بها على شيك رمزي بقيمة 50 فرنكاً - أقل من عشرة دولارات - وامين معلوف اديب لبناني عمره 44 سنة، انتج: ليون الافريق - سمر قند - جنائن النور.

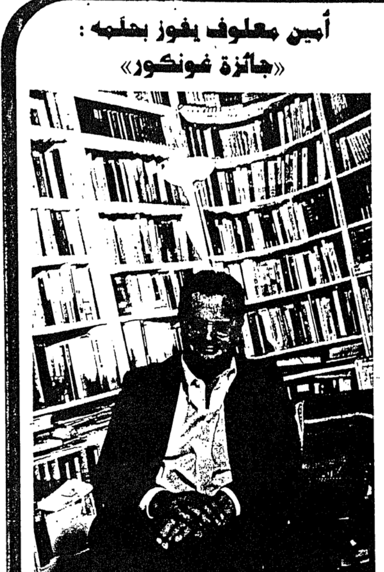
وروايته الفائزة هي (صخرة طانيوس) الحافلة بتضمينات رمزية عن نشأة لبنان التاريخية الصعبة، وعوامل تطوره الأليمة، وهو يبدأ روايته المكتوبة بالفرنسية بتحية لجبران، ويختمها بجبران، تنغلق على قصة اختفاء طانيوس إلى الافاق البعيدة، فاحداث الرواية تدور في النصف الأول من القرن التاسع عشر، في قرية لبنانية غير منقطعة عما يجري في القاهرة أو اسطنبول وكان الشيخ يملك القرية والمزارع والبيوت والناس، وكان الشيخ بالنسبة للناس فوق الذين فوقه، ويصل الروائي الأحداث ببعضها، عن (وليد) رافقته الشائعات حتى قيض له أن يصنع الاحداث...

امين معلوف هو العربي الثاني الذي يحصل على (غونكور) بعد الروائي المغربي الطاهر بن جلون عن كتابه (ليلة القدر) عام 1985-

فاز معلوف امام الكاتب الفرنسي ميشال برودو، وفليب بوسان، وانجيلو رينالدي..

ooo

أمين معلوف يفوز بحلمه: «جائزة غونكور»



أمين معلوف حقق حلم طفولته

فاز الروائي اللبناني، باللغة الفرنسية، أمين معلوف بجائزة غونكور، وهي اهم جائزة تمنح للرواية في فرنسا، في الأسبوع الأول من شهر تشرين الثاني (نوفمبر) في كل عام. وقد صرح معلوف إثر إعلان نبأ فوزه بأنه يعتبر «هذا اليوم أسعد يوم في حياته..» وأنه حلم دائما بهذه الجائزة ولكن «بدون أمل».

إذن، كافأت لجنة غونكور الأدبية الكاتب اللبناني على روايته الجديدة «صخرة طانيوس» الصادرة عن منشورات «غراسيه» الباريسية.

وأمين معلوف نزح عن لبنان في العام ١٩٧٦، إثر احتدام المعارك، حيث استقر في باريس منذ ذلك التاريخ عاملا في الصحافة: «جون أفريك» و«النهار العربي والدولي»، قبل أن ينصرف نهائيا إلى التأليف ويصدر، في العام ١٩٧٣، أول كتاب له بعنوان «الصليبيون كما رآهم العرب». ثم توالت رواياته التي استقى مادتها من التاريخ الإسلامي: «ليون الأفريقي» (١٩٨٦) التي يحكي فيها قصة مهاجر يعمل في الترجمة خلال القرن السادس عشر. هذه الرواية ظلت لفترة طويلة في طليعة الروايات الأكثر مبيعا في فرنسا، وحققت لمعلوف شهرة واسعة. بعدها بسنتين، نشر رواية «سمرقند» التي استوحاها من سيرة حياة عمر الخيام الشاعر الفارسي الشهير، وقد نال عليها جائزة «دور الصحافة».

في العام ١٩٩١، ينشر رواية «جنائن الضياء» التي يحكي فيها قصة الداعية «ماني»، ثم اتبعها، بعد عام، برواية من نوع الأدب العلمي الخيالي، عنوانها «القرن الأول بعد بياتريس»، يروي فيها أحداثا تقع في القرن الحادي والعشرين.

مجلات

المستقبل العربي

عن «مركز دراسات الوحدة العربية» في بيروت، صدر حديثا العدد ١٧٧، من مجلة «المستقبل العربي»، متضمنا المواد الآتية: «الاعتراف المتبادل بين حكومة دولة إسرائيل ومنظمة التحرير - ورقة إعلان مبادىء حول ترتيبات الحكومة الذاتية الانتقالية» (برهان الدجاني)، «اتفاق غزة - أريحا: هل ينهي الصراع؟» (ممن بشور)؟ «مستقبل العلاقات العربية - الإيرانية» (محمود سريع القلم)؟ «العلاقات العربية - العربية والتمسك بمفهوم السيادة» (مدعم العمار)؟ «نظرة الأميركيين إلى العرب وتاثير ذلك على العرب في الولايات المتحدة» (ميخائيل سليمان)؟ «التليفزيون.. والطفل» (محمد خليل الرفاعي).

وكتب علي نوح في باب «آراء ومناقشات» مقالا بعنوان «العرب: في صحوة إسلامية أم انتكاسة مجتمعية؟».

فلسفة

الجمعية الأردنية

بقرار صادر عن وزير الثقافة الأردنية، أعلن مؤخرا عن تأسيس «الجمعية الفلسفية الأردنية» برئاسة ربحي حسن شتات، وذلك في سبيل خدمة «الثقافة العربية المستنيرة» حسبما جاء في خبر التأسيس.

وبغية تحقيق هذا الغرض، فإن الجمعية أقامت العديد من المحاضرات والندوات الفكرية التي شارك فيها كل من الدكتور عادل ضاهر (العلمانية والدين)، الدكتور علي أمليل (سلطة المثقف العربي)، الدكتور وليد سيف (الثقافة والتنمية)، الآنسة توجان فيصل (تقنيات الإعلام الحديث في صياغة الفكر).

هذا فضلا عن مجموعة من الحوارات الفكرية التي نشرتها «الجمعية»، أو ستنشرها لاحقا، مع كل من عادل ضاهر، كريم مروة، وليد سيف، حسن حنفي، نصر حامد أبو زيد، هشام غضيب، أفرام بعلبكي، ابراهيم بدران وفهمي جدعان.

بقلم بلند الحيدري

انه سؤال كلما سعيت الى ان اعوّد نفسي على سماعه في مثل هذه الايام من كل عام وان اعد نفسي للاجابة عليه، نازعني الشك في الذي ساقوله، فالجزيرة البريطانية لا تزال، توردك مورد هذا الشك ما دامت مكتباتها لا توفر لك ان تجزم، بان الديوان الذي وقعت اليه هو الاكثر جودة بين ما صدر في هذه الفترة من الزمن، وان تلك القصة التي قرأتها هي خير ما جاءت به، الى غير ذلك من الاحكام المبتسرة التي ينالها الشك من غير جانب وجانب، ولكن.. ومع ذلك فانك مدعو لان تقول وبصريح العبارة عما جنت يداك من الحصاد السنوي، وعليك ان تنسى اعجابك بديواني جوزيف حرب ونزيه ابو العفش وقصة حنان الشيخ الاخيرة.. عليك ان تنسى كل ذلك لان المطلوب منك هو ان تتحدث عن حصاد هذا العام.. هذا العام فقط.. افهمت..؟

ويبقى الاجمل بين كل ما قرأت هو نبأ فوز الصديق والكاتب العالمي امين معلوف بجائزة «جونكور» التي تعد احدى اكبر الجوائز العالمياهمية، وقد تناقلته كل وسائل الاعلام، مستعيدة من خلال النبأ والتعليقات الموجزة عن روايته الفائزة بالجائزة الفرنسية «صخرة طانيوس» العديد من الصور الدقيقة لطبيعة الحياة في قرية لبنانية صغيرة من القرن التاسع عشر، وحيث تتداخل وتتعاضل الملامح الواقعية لتلك القرية بالرموز وابعادها الايمانية ولغير مأساة من المآسي التي عرفها وطنه الجريح، وان سعادة امين معلوف بالجائزة، هي اكبر من سعادته بالعديد من الجوائز التي وقع اليها من قبل باثر من رواياته السابقة، انه «.. لسعيد جدا من اجل لبنان، فانا افكر اولا باول بلبنان.. انه بلد عانى الكثير، وانا سعيد لانه سيتم التحدث عن لبنان الان في اطار الثقافة، وليس في اطار العنف والتدمير». وان كان هذا العنف والتدمير والمعاناة الطويلة للبنان، لهذا الطفل الذي عمره خمسة عشر عاما، وقد امتلا شعر رأسه بالبياض باثر من ستة الاف سنة يختزنها رأسه «ان الرواية تنجح في ان تكون خلف ملامحها القصصية المشوقة والمسلية، رواية المصير المذهل والغامض لا لطانيوس وحسب بل للبنان - شربل داغر».

والى ان توسع لي لغة اخرى، سبل الوصول الى قرية وصخرة طانيوس، اشد على يديك ايها الصديق الكبير

امين معلوف

إنهم يحصدون الجوائز !



امين معلوف

■ في القاهرة اعلنت لجنة جوائز كفافيس التي تنظمها السفارة اليونانية بالقاهرة فوز الشعراء محمود درويش ورفعت سلام وملك عبد العزيز، والناقد الدكتور نعيم عطية والشاعر اليوناني انتونيس فوستيريس بجوائز هذا العام.

درويش، لعمق تعبيره الشعري في موضوع النضال الفلسطيني، وسلام وملك عبد العزيز لصدق تعبيرهما عن المجتمع المصري وإنجازاتهما في الكتابة الشعرية التقليدية والحداثية، ونعيم عطية لإبداعاته الأدبية واعماله النقدية وترجماته ذات الصلة بالأدب اليوناني، وفوستيريس لإنتاجه الشعري المتميّز وتناوله للمشكلات والقضايا الراهنة. وقد تم توزيع الجوائز وشهادات التقدير مساء الثالث عشر من نوفمبر في مهرجان كفافيس الثالث الذي اقيم بدار الاوبرا بالقاهرة.

جوائز كفافيس يقدّمها رجل اعمال يوناني سكندري، وقد سبق ان فاز بها لاول مرة عام (١٩٩١) الشاعران احمد عبد المعطي حجازي ومحمد إبراهيم ابو سنة، وفي عامها الثاني فاز بها الشاعر فاروق شوشة والدكتور احمد عتمان الذي ترجم رواية نجيب محفوظ، بداية ونهاية، إلى اليونانية. وتحمل الجائزة اسم الشاعر اليوناني كونستانتين كفافيس، الذي ولد بالاسكندرية عام ١٨٦٣ وتوفي بها في ١٩٣٣ بعد ان عاش بها مغموراً غريباً يكتب ببطء وأناة إحدى احدث التجارب الشعرية اصالة، ثم ينسخها ويوزعها على اصدقائه. والمعروف ان كفافيس لم ينشر اثناء حياته إلا عدداً من القصائد لا يتجاوز الخمس عشرة قصيدة، اما في عام ١٩٦٨، فقد كان الحدث الثقافي الرئيسي في اثينا هو نشر ٧٥ قصيدة جديدة له، وذلك منذ ان اعترف اليونانيون بانه اكبر شعرائهم المعاصرين اصالة

■ وفي تورنتو بكندا، منح المهرجان الدولي للمؤلفين جائزة، ليونل جلبر، للكاتب العراقي كنعان مكية، عن كتاب له بعنوان [قسوة وصمت]، وتبلغ قيمة هذه الجائزة خمسين الف دولار، وهي تمنح سنوياً لمؤلف او مؤلفي افضل كتاب يتناول العلاقات الدولية ويهدف إلى التقريب بين الشعوب.

والجائزة تحمل اسم صاحبها الكندي، ليونل جلبر، المتوفي عام ١٩٨٩، والذي اشتهر ايضاً بمؤلفاته في العلاقات الدولية. في حفل تسلم الجائزة وجّه المؤلف العراقي التحية، للشهود والضحايا،، الذين شكلت معاناتهم محتويات الجزء الاول من كتابه، قائلاً إن تكريم مؤسسة ليونل جلبر هو تكريم لهم بقدر ما هو تكريم له، واضاف ان اختيار كتابه للجائزة يجيء بمثابة اعتراف بالمعاناة التي مر بها ابطال الكتاب الحقيقيون.

■ وفي لندن حصل الكاتب الايرلندي رودي دويل ـ ٣٥ سنة ـ على جائزة بوكر هذا العام (وهي الدورة الخامسة والعشرين لها)، وذلك عن رواية له تحمل عنوان [بادي كلارك .. ها .. ها .. ها ..!] والتي تروي سيرة صبي في العاشرة بصوته وبلغته ومن زاوية إدراكه. ورواية رودي دويل في مجملها سرد مفتوح دون نهاية او بداية او حبكة.

بعد ان انهى دويل دراسته في كلية دبلن الجامعية، كتب اول رواية له وهي [جدتي مضربة عن الطعام]، وهي رواية سياسية ساخرة ومفرطة في الطول، ولم يجد ناشراً يقبل نشرها في انجلترا او ايرلندا، وقد اعترف هو بعد ذلك برداءتها. بعد تلك الرواية، المنحوسة، جاءت روايته [التزامات] التي نشرها على نفقته



رودي دويل

الخاصة، وحققت نجاحاً جزئياً ولقيت ترحيباً نقدياً محدوداً قبل ان تتحوّل إلى فيلم تلفزيوني وآخر سينمائي، وقد كانت تلك الرواية باكورة ثلاثية اكتملت بـ [عربة نصف نقل] و [النهاشون] وتدور جميعها حول الحياة اليومية لبلدة خيالية اسمها، باري تاون،.

اما الجائزة، بوكر، فهي اهم الجوائز الادبية في بريطانيا، رغم انها ليست اقدمها ولا اضخمها من الناحية المالية، ومع ذلك فقد حققت شعبية كبيرة واصبحت مجالاً للمراهنات كما اصبحت نتائجها السنوية اشبه بنتائج سباق الخيل الشهير في الدربي، وترجع البداية إلى عام ١٩٦٨ عندما قررت شركة، بوكرماك كونل،، وهي إحدى الشركات الكبرى العاملة في مجال الاغذية والشحن ان تخصص مبلغاً سنوياً قدر وقتها بنحو خمسة آلاف جنيه لافضل رواية تنشر في

وفي اسبانيا يناقشون التصوّف المقارن !

■ اقيمت في شهر اكتوبر الماضي في اسبانيا الحلقة السنوية الثالثة لملتقى، افيلا، للتصوّف المقارن، حيث ناقش عدد من الباحثين من جميع انحاء العالم اعمالاً لكتّاب مثل ارنستو كاردينال

من نيكاراجوا ومحمد إقبال من باكستان. كما قدم المستشرق الاسباني خوان غويتيسولو رؤيته الخاصة لمعنى النور في اشعار المستشرق

الاسباني، خوسيه انخيل فلانتي،. وفي هذا الملتقى قدّم، كاردينال، احدث اعماله الشعرية [الرؤية في ليلة مظلمة]، وهو العمل الذي يتحدث فيه عن تجربته التي عاشها كرجل دين ثوري. كاردينال من رجال الكنيسة الذين كانوا قد انضموا إلى الثورة الساندينية في بلاده من منطلق ديني، ويوضح ذلك بقوله إن انضمامه وانضمام غيره من رجال الكنيسة إلى الجماهير واعتناقهم الكفاح المسلح،، كان نابعاً من إيمان عميق بالعدالة والحق ومن الواقع الرديء الذي تعيشه شعوب هذه البلاد التي تحاول ان تحيا حياة كريمة،. كان كاردينال وزيراً للثقافة في نيكاراجوا قبل ان تتخلى الساندينستا عن السلطة، وهو متفرّغ الآن للكتابة.

بريطانيا خلال العام لأحد أدباء دول الكومنولث أو العالم الناطق بالانجليزية ، بما في ذلك بريطانيا وايرلندا وباستثناء الولايات المتحدة .

وتقضي شروط المسابقة السنوية للجائزة ان تكون الروايات المقدمة لها من إنتاج ناشرين بريطانيين وأن يقوم الناشرون انفسهم بتقديمها ويتولى الإشراف على المسابقة واختيار هيئة تحكيمها عصبة الكتاب القومي وهي هيئة بريطانية اسست عام ١٩٣٥ للعمل على توسيع الاهتمام بالكتب وتنظيم المعارض والمسابقات الخاصة بالتاليف ، ولهذا يعقد الناشرون املاً كبيراً على الجائزة لانها تروّج للروايات المرشحة حتى قبل فوزها .

وقد فاز بالجائزة منذ عام ١٩٦٩ عدد كبير من الكتّاب الذين يكتبون بالانجليزية من ترينداد في الكاريبي وجنوب افريقيا والهند ونيوزيلندة واستراليا وبريطانيا ، ومن اشهر البريطانيين الذين فازوا بها وليم جولدنج في ١٩٧٨٠ ، وبعدها بعامين حصل على نوبل للآداب .. جائزة بوكر هذا العام تبلغ ٢٠ الف جنيه استرليني والطريف ان اول شيء فعله الحاصل عليها « روي دويل » هو شراء غسالة كهربائية لأسرته .

■ وفي باريس كانت جائزة جونكور ، اكبر جائزة ادبية في فرنسا والتي انشات في عام ١٩٠٣ ، من نصيب الكاتب اللبناني امين معلوف - ٤٤ سنة - عن رواية جديدة له بعنوان [صخرة طانيوس] ، وتحكي عن ذلك المصير الغامض والساحر لطانيوس معلوف في إحدى القرى اللبنانية في القرن التاسع عشر ، وهي المرة الأولى التي يكتب فيها عن لبنان في رواياته ، وهو بهذا العمل وبهذه الجائزة يتوّج نجاحه الذي حققه منذ [الصليبيون كما رآهم العرب] - ١٩٨٣ مروراً برواياته المتتابعة [ليون الافريقي] - ١٩٨٦ و [سمرقند] - ١٩٨٨ و [جنائن النور] - ١٩٩١ و [القرن الأول بعد بياتريس] - ١٩٩٢ ، والجدير بالذكر ان الروائي المغربي الطاهر بن جلون كان قد فاز بنفس الجائزة عام ١٩٨٧ عن روايته « ليلة القدر » .

القلم الذهبي اللبناني لامين معلوف

امين معلوف، الاديب اللبناني باللغة الفرنسية الذي حاز اخيراً على جائزة «غونكور» كبرى الجوائز الادبية التي تمنح سنويا في فرنسا، كرمته جمعية الصحافيين اللبنانيين بلقاء اقيم في فندق رويال مونكو في باريس ضم حشدا من الاعلاميين وقدمت له جائزة القلم الذهبي اللبناني التي اعلن عن انشائها في المناسبة وهي تمنح لاول مرة، وجرى بين الحاضرين حوار حول واقعه كروائي يكتب باللغة الفرنسية، ويعرف مواضيعه من التاريخ، وواقعه كلبناني يمم وجهه شطر بلاده ليهديها كتابه الاخير «صخرة طانيوس» الذي على اساسه نال الجائزة، وكان تتويجا لاعمال رائعة سبقته في مقدمها «ليون الافريقي» و«سمر قند».

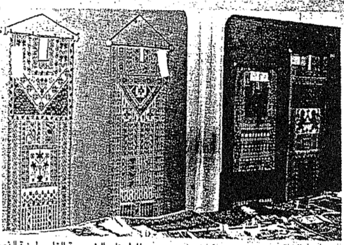
امين معلوف عمل في الصحافة اللبنانية والفرنسية ردحا من الزمن من قبل ان ينصرف كليا الى الكتابة منذ ثماني سنوات.

امين معلوف في كلمة شكر على تكريمه



السفير اللبناني في باريس جوني عبدو والسيدة سيلفي فضل الله مندوبة لبنان لدى اليونسكو ورجل الاعمال السوري عثمان العائدي

معرض للمطرزات الفلسطينية في عمان



اقيم في المركز الثقافي الملكي بعمان معرض «المطرزات الشعبية الفلسطينية» الذي نظمته لجنة اصدقاء جمعية انعاش الاسرة ومقرها مدينة البيرة في الضفة الغربية المحتلة. وقد عرضت عشرات الاثواب ذات التطريزات المختلفة، حيث يستدل من كل تطريز على القرية الفلسطينية التي انتج فيها ونال المعرض الاقبال والاستحسان الشديدين حيث امكن بيع مطرزات بقيمة تتجاوز الثلاثين الف دينار اردني، ويخصص الريع للجمعية المذكورة التي تعمل منذ ما قبل احتلال الضفة. في مجال دعم الاسرة المحتاجة..

تراث

فوائح الجمال

بتحقيق من الدكتور يوسف زيدان، صدرت مؤخرا عن «دار سعاد الصباح» في القاهرة مخطوطة كتاب «فوائح الجمال وفواتح الجلال» للشيخ نجم الدين كبري الذي عاش في النصف الثاني من القرن السادس الهجري واوائل القرن السابع الهجري، وعلى رغم علو منزلته في الفقه والتصوف فانه يكاد يكون مجهولا عند غير المتخصصين، لذلك فان الدراسة التي وضعها زيدان في مقدمة الكتاب تعتبر ضرورية لانها اول دراسة في العربية عن الشيخ نجم الدين كبرى.

ولد الشيخ في خوارزم العام ٥٤٠ هـ، درس علوم الدين في بلاد فارس ومكة المكرمة ومصر والعراق وسورية، ثم عاد الى بلاده الى ان قتله التتار العام ٦١٨.

مسرح

حمى رومانية

على شرفة فندق ايطالي، ارملتان ثريتان تحاولان خداع ضجرهما، احداهما امرأة ذات لسان سليط، تجذبها اشياء الخارج، لكن جرحاً قديماً يحفر في داخلها. الاخرى، امرأة بشوشة، متحررة ومنطلقة، وهي، في الوقت نفسه، منطوية على ماض ثقيل الذكرى. هاتان الارملتان احبتا، في عمر الشباب الرجل ذاته. عبر الزمن سريعاً، تاركاً في نفس كلتيهما ندوباً لم تلتئم بعد رغم الطلاء الاجتماعي المزيف، من هنا، تنشأ بين هاتين المرأتين «مبارزة نفسية» بالغة العنف رغم اجواء الصمت التي تخيم عليهما وعلى المكان.. ولا تنتهي هذه «المبارزة» إلا بالقضاء على الصداقة القديمة بينهما بالضربة القاضية.

«حمى رومانية» هو عنوان هذه المسرحية، من تأليف الكاتبة الاميركية اديث وارتون (١٨٦٢-١٩٣٧)، اخرجتها حديثاً الفنانة المسرحية سيمون بينموسا، وتقدم حالياً على خشبة مسرح «ماريني» الباريسي، بتمثيل ماشا ميريل وناتيال لوبرون.

امين معلوف لـ «الحوادث»:

التقدير الحقيقي للنجاح الادبي لا يُحدّد الاّ بعد موت الكاتب



امين معلوف مع زوجته اندريه في منزلهما بباريس (الصورتان بعدسة «الحوادث»)

لم اتمالك فرحتي عندما سمعت المذيع التلفزيوني باتريك بوافر دارفور، يعلن الخبر الاول في نشرته، بل حدث ذلك اليوم، ٨ تشرين الثاني (نوفمبر) الماضي، وهو فوز امين معلوف بجائزة «غونكور» لعام ١٩٩٣ على كتابه «صخرة طانيوس» الصادر عن دار «غراسيه» للنشر. وعبرت الدموع بعفوية عن فرحتي، خصوصاً بعد ان اذاع التلفزيون الفرنسي مقابلة مع الكاتب اللبناني الذي استحق اكبر الجوائز الادبية الفرنسية.

وكعشرات الصحافيين والاعلاميين الذين سارعوا الى الاتصال بالكاتب «الفرانكو ـ اراب»، استقبلني امين معلوف في منزله مع زوجته، ودار معه الحوار التالي:

«الحوادث»: كيف تلقيت نبأ فوزك بجائزة «الغونكور»؟

معلوف: بما ان اسمي كان مُدرجاً على اللائحة النهائية للمرشحين للجائزة، كان الامل يراودني بالفوز بها. ولم اتلقّ النبأ الاّ بعد اذاعته رسمياً يوم الاثنين في ٨ نوفمبر الماضي، وبالطبع كنت سعيداً. ووجدتني اذهب الى دار النشر التي صدر عنها كتابي الفائز «غراسيه»، ثم انتقلت الى مقهى «فلور» حيث اجريت معي مقابلة مباشرة لجريدة الساعة ١٣، وحيث كان فرحي كبيراً. وقد تاثرتُ بالغ التاثّر لشعوري بان الناس شاركوني فرحي، بل تقاسموه.

«الحوادث»: لماذا اخترت لروايتك موضوعاً تاريخياً، بل لماذا اخترت الشرق الاوسط وبالتحديد لبنان؟

معلوف: معظم اعمالي تتناول الشرق في الزمن الغابر. وقبل كتاب «صخرة طانيوس»، لم اكن قد تحدثتُ مباشرة عن لبنان. غالباً، كنت اكتب عن اشياء لها علاقة بموضوعي الرئيسي، ولكنها المرة الاولى التي اتناول فيها وطني تناولاً مباشراً، من خلال كتاب كرّسته للحديث عن حقبة من تاريخ لبنان، وعلى وجه الدقّة، النصف الاول من القرن التاسع عشر. كنت اشتهي ان اضع كتاباً خاصاً بلبنان، وتردّدت في اختيار اية مرحلة تاريخية واية شخصيات لهذه الرواية. وقرات كثيراً واجريتُ ابحاثاً عديدة، كعادتي. وتذكّرت مرة قصة معروفة كان والدي قد رواها لي، عن قاتل مجرم دخل قريتنا. وقد اجريت تعديلات حول حبكة هذه القصة، لكن النقطة الجوهرية والعناصر الرئيسية بقيت هي نفسها. وهكذا نشات لديّ رغبة في ان اسجّل هذه الحقبة، وفي هذا الكتاب مزجت الواقع بالخيال، معبراً عن مرحلة كانت فيها الحياة اكثر بساطة وجاذبية وطيبة ووداعة، واقلّ تاثراً ببهرج العالم الخارجي. وانا اعتقد ان كل من عرف لبنان في الماضي، لديه نزعة للتعبير عن واقعه آنذاك، وخصوصاً احداثه التي تثير الشجون. وبالطبع، انا لا اصور في هذا الكتاب لبنان الذي عرفتُه بنفسي منذ ربع او ثلث قرن، ولكني اتحدث عن لبنان اقدم من هذه المرحلة، ولكن يمكن ان نجد فيه نفس هذا الاتجاه لفترة زمنيه اقلّ بعداً، وهي ايضاً التي عرفتُها في لبنان.

«الحوادث»: هل تعتقد ان لبنان الحاضر سينتقل الى مرحلة اكثر ثباتاً، خصوصاً مع ظهور ملامح السلام الذي تتجه اليه المنطقة حالياً؟

معلوف: ليس لي ان اعالج الاثر السياسي والنقدي للتطورات الناجمة عن الاتفاقيات الموقّعة اخيراً. ولكن اعتقد ان المنطقة ستخرج من اجواء المصاعب التي تحيط بها، وان مجموعة دول الشرق الادنى تتجه نحو مرحلة سلام وحرية وتحديث، تحتاج اليها كل شعوب ودول المنطقة. وفي هذه الحالة، اعتقد ان لبنان يمكن ان يستعيد مكانته بسهولة

«الحوادث»: كنت صحافياً بارزاً، واليوم انت اديب مشهور. هل يمكنك في المستقبل التنسيق بين امين معلوف الصحافي وامين معلوف الاديب؟

معلوف: لم ابتعد كلياً عن الصحافة، ولكن كان عليّ في فترة من فترات حياتي ان اختار كتابة الرواية. وانا لا اعتبر نفسي بعيداً عن الصحافة، ولديّ الرغبة من وقت الى آخر ان الزم نفسي بعمل صحفي، كاجراء تحقيقات ميدانية لمتابعة احداث تهمّني في مناطق من العالم، احب ان اذهب اليها واراها عن كثب. هذا ما لا اقوم به غالباً ولكنه شيء يهمّني ان اواجهه.

«الحوادث»: اذن، انت لم تتخلّ عن الصحافة؟

معلوف: لا يمكنني ان اتخلّى عن الصحافة او ادير ظهري لها. لقد نشات في اسرة مارست المهنة وعشقتها. والدي (رشدي المعلوف) كان صحافياً ومعنياً بالادب، واريد ان اكمل قليلاً نهجه.



امين معلوف يتحدث الى ماري بطيش: «الاشياء المهمة في حياتنا تاتي عندما لا نتوقّعها»

«الحوادث»: ما هي في رايك، العناصر الرئيسية التي تؤدي الى اطلاق ونجاح اديب كبير؟

معلوف: لا اؤمن بالنجاح الآني السريع. النجاح الحقيقي لا يُقاس ولا يُكرّس الا متاخراً، ولا سيّما بعد موت الكاتب. واذا كان عليه ان يقدّم شيئاً مهماً فهو العمل. بالنسبة لي، انا اعمل ساعات وساعات. عندما انصرف الى الكتابة اكتب اياماً متواصلة وبمعدل ساعات طويلة في اليوم. قبل ان ابدا بكتابة رواية اعمل وقتاً طويلاً في التحضير لها، من خلال المطالعات والبحث عن الوثائق. اضع الخطوط الكبرى للقصة ثم انتقل الى البدء في كتابتها. ولا املكُ صفحة واحدة حتى اكون قد اجريتُ فيها اربعين او خمسين تعديلاً او تصحيحاً.

«الحوادث»: هذا يعني انك كمالي؟ (تتطلع الى الكمال)

معلوف: نعم انا كمالي.

«الحوادث»: في روايتك، عندما تتحدث عن بطلها طانيوس، تركّز على القدر. هل ترى بانّ «القدرية» تهيمن على وجودك؟

معلوف: ارى ان الاشياء المهمة في الحياة تاتي عندما لا نكون نتوقّعها. وعلينا ان نقبلها سواء كانت حسنة او سيئة، وان نعيش حياتنا يوماً بيوم، ومن هنا الايمان بالقدر.

«الحوادث»: ما هو رايك في النظام العالمي الجديد؟

معلوف: يعيش العالم منذ فترة متغيرات كبرى. وفي هذا الاطار، اعتقد انّ عليّ ان اكون معنياً بجديد هذا العالم.

باريس ـ ماري بطيش

يختلف عن اللبنانيين الذين كتبوا بالفرنسية بالمحافظة على اصالته

معلوف ثائر على الانتماء الى اية جماعة او فئة او طائفة

كانت فرحة اللبنانيين كبيرة، وكم كان شعورهم بالاعتزاز عظيما، عندما سمعوا ظهر يوم الاثنين في ٨ تشرين الثاني (نوفمبر) الماضي، على شاشات جميع القنوات التلفزيونية العاملة في فرنسا، وكخبر اول، ان جائزة غونكور، التي تمنح لافضل عمل ادبي فرنسي خلال العام، قد اعطيت هذه السنة لامين معلوف على كتابه «صخرة طانيوس» الذي صدر بالفرنسية عن دار «غراسيه». ولم تكتف المحطات التلفزيونية والاذاعية ببث النبا عند الساعة الواحدة، بل توالت المقابلات واللقاءات الصحافية المتلفزة مع امين معلوف طوال النهار وخاصة في المساء مع النشرات الاخبارية. وفي اليوم التالي صدرت معظم الصحف اليومية المشهورة، وفي صفحتها الاولى صورة لمعلوف مع الخبر بالعناوين الكبرى.

ونادرا ما لقي اي لبناني، سياسيا كان ام غير سياسي، مثل هذه الوقفة الاعلامية، وهذه التحية الصادقة لشخص نقل سحر شرقه وروعته الى الغرب، فارضا عليه تقدير عطاءات الشرق وابرازها في الصدارة. والجائزة التي تعطى هي لمن اغنى الادب الفرنسي بعناصر جمالية جديدة وفريدة، وهو تقليد يعود الى

امين معلوف: «كل كائن بشري نقطة التقاء بين الثقافات والامم»



تسعين سنة، اي الى العام ١٩٠٣. وتتالف اللجنة التي تقرر الجائزة من عشرة اكاديميين يجتمعون كلجنة تحكيمية ويمنحون الجائزة بالتصويت. لقد اعتبرت بعض التعليقات ان منح الجائزة لمعلوف يعد انتصارا للفرانكوفونية وعلى ان اللغة الفرنسية هي لغة شمولية للتعبير عن ارقى الفنون والاداب والافكار والعلوم وشتى المعالم الحضارية. ولكن الذي يميز امين معلوف عن غيره من الكتاب اللبنانيين الذين كتبوا بالفرنسية امثال جورج شحاده، انه بقي على اصالته الشرقية، وحتى اللبنانية، ومحاولا فرضها على الثقافة الفرنسية التي دخل الى اعماقها مستوعبا منها، ولكن دون ان يضيع فيها. لم تات هذه الجائزة مجامله، او لان امين معلوف اجنبي يجب تكريمه، بل على العكس فان حكماء هذه اللجنة قاسون في احكامهم على الكتاب، ولم ينل معلوف الجائزة الا لانه يستحقها كل الاستحقاق. ولكن ربما كانت انظار اللجنة تتجه لشخص آخر هو مارك لامبرون غير ان حصوله على جائزة «فمينا» الانسانية قبل ثلاثة ايام فتح الطريق واسعا امام امين معلوف. اذا لم يبق له من منافس. ولكن ليس الحظ فقط هو الذي حالف الكاتب اللبناني، فان في روايته «صخرة طانيوس»، ما يعجب جمهورا واسعا من قراء وعشاق الرواية. واكثر من ذلك، فان هذه الجائزة، بالرغم من انها مخصصة لعمل ادبي معين، فهي لتقدير اعمال الكاتب بكاملها، فهو منذ عشر سنوات يحاول ان يجمع بين الموهبة في كتابة الرواية والايمان العميق بالانسانية، تلك الانسانية التي تقوم بشكل اساسي على روح التسامح. فهاجسه في معظم كتبه هو الجمع بين الاخوة الاعداء اكانوا من هنا او من هناك، وهو ما نجده مثلا في كتابه «ليون الافريقي» ذلك المسلم الذي اعتنق النصرانية، واصبح مستشارا للبابا وسفيرا له، انها صورة الذي يختصر في ذاته التناقضات والتمزقات، والصراعات خلال عصر معين، ويقوم بالتوفيق فيما بينها. ويستمر امين معلوف عبر قصة «سمرقند» حيث يتناول شخصية عمر الخيام الذي يتجاوز التعصب الديني. اما في قصة «حديقة الانوار» فهو يدعو الى الايمان المتوافق بين اديان مختلفة (مسيحية، بوذية وزرادشتية) وروايته التي سبقت «صخرة طانيوس» وتدعى «القرن الاول بعد بياتريس» يحاول فيها معلوف وصف البشرية في القرن الواحد والعشرين، فاذا هي شبيهة لعصرنا من حيث التمزق وتعرضها لخطر الزوال.

اما «صخرة طانيوس» فهي عودة الى الوطن، في كتبه السابقة بقي امين معلوف بعيدا عن لبنان، فلم يجرؤ التكلم عن مركب تائه في مهب الريح لا يعرف له مستقرا. وكانه كان يخجل عن نفسه بان ينتمي الى بلبد ممزق ويأتي الانزلاق الى مهاوي الفعل وردود الفعل.

و«صخرة طانيوس» كشفت بالفعل مكامن امين معلوف وعواطفه الجياشة نحو ادق التفاصيل في حياة بلاده ووطنه لبنان، وها هو يتحدث لممثلي الصحافة الادبية والفكرية في لقاء حميم عقد اثر حصوله على جائزة غونكور فيقول: «اعيش حاليا ما يشبه الماراثون» وردا على سؤال احدهم حول شخصية «لميا» في القصة اجاب امين: انها الصورة المركزية في القصة، فهي في الوقت نفسه خيالية وواقعية... رايت مرة لوحة تمثل امراة من الجبل اللبناني فاعجبتني كثيرا ولا تزال هذه الصورة مطبوعة في ذاكرتي وقد بنيت كتابي حولها. فهي تحمل جمالها وكانها تحمل صليبا. احد شخصيات القصة هو الاقطاعي او الشيخ الذي يملك القرية بمن فيها وخاصة اشجار التوت التي تعطي الحرير كما يملك الرجال والنساء ايضا. فهو يعتبر ان جميع النساء ملكا له، فهو يستخدم كل الحيل للحصول عليهن، بينما هن يستخدمن كل الحيل للتهرب منه».

اما لميا، فهي زوجة وكيله وتسكن القصر على مقربة من «الشيخ» فمن الصعب عليها اذن ان تقاومه. وفي احد الايام حدث ما حدث، وبعد بضعة اشهر ولد للميا طفل! فانطلقت الشائعات: هل هو ابن الوكيل ام ابن الشيخ؟ «هذه التهمة بان الولد غير شرعي لاحقته طوال حياته، وجرت عليه كل انواع الويلات، المحزنة منها والمضحكة». ان لميا في قصة معلوف ترمز الى الجبل اللبناني الذي يريد الاقوياء امتلاكه. «واخذت لميا تعاني مما تُعاني منه عادة بعض النساء الجميلات: لا يعود باستطاعتهن اقامة علاقات صادقة لان الانظار التي تتطلع اليهن مليئة بالشهوة، ولكنهن يردن علاقات بسيطة. «والجبل اللبناني، شان المراة الجميلة، كان على مر العصور موضع شهوة الآخرين، وغالبا ما خضع للاجتياح».

«هذا العالم البسيط في روايتي تعرض لمشاكل اوسع منه بكثير: مشاكل اقليمية مثل صعود محمد علي في مصر بسرعة ضد الامبراطورية العثمانية، وكذلك الصدام بين فرنسا وانكلترا وصراعهما على المنطقة، خاصة في اطار حروب نابوليون، فالقرية والجبل اللبناني دخلا في دوامة هذا الصراع: فعندما كان طانيوس وابن الشيخ يذهبان الى مدرسة القس الانكليزي، فان هذا الحدث الصغير اصبح قضية سياسية وشانا من شؤون الدولة، لان الشيخ المعتبر من مؤيدي فرنسا قد اختار جانب الانكليز. فكان هذا بمثابة الخيانة لانه يعطي المثل السيء للآخرين. وكان على السفير الانكليزي في القسطنطينية ان يهم بتسجيل ولد في احدى مدارس الجبل اللبناني. وهكذا فان القرية التي لم تعرف سوى النزاعات حول بئر الماء او اشجار الزيتون، اصبحت في قلب مشاكل العالم التي ستسبب تفسخ البلاد. بالطبع ليس في الامر صدفة، لان تلك الحقبة، اي بين ١٨٣٥ و ١٨٣٨، شهدت بدء الصدامات الطائفية الاولى الدموية. هذه الصدامات ما زالت مستمرة حتى يومنا هذا منقطعة بفترات من الهدوء او من استراحة المحاربين. لقد سالت الدماء للمرة الاولى ولم يستطع احد ايقافها. هذه القصة تلقي بعض الضوء على الطريقة التي جرت فيها المأساة. وعلى السؤال الذي طلب من معلوف ان يفسر لماذا لم يتناول قضايا بلاده الا في هذه القصة، بينما رواياته الاخرى تتعدى الخمس، اجاب امين «كانت بلادي فريسة نزاع دام، فلو شئت ان اتغزل بها لكنت انحرفت. لم اشأ ايضا ان تكون علاقتي ببلادي علاقة عاطفية وحسب، علاقة لا ينجم عنها شيء. كما انني لم اشأ ان انتقدها بينما كان لبنان ينزف ويتمزق. كنت افكر ببلدي ولكن كنت اذهب الى مكان آخر. لم استطع ان اكتب الا بعد ان توقفت الصدامات ودخل لبنان في فترة نقاهة طويلة. الا انني لم اكن مهتما فقط بهذا البلد، لقد قضيت جزءا من حياتي اتنقل في بلدان العالم، فانا مثلا اتابع ما يجري في هايتي التي عرفتها واحببتها...

اليس في هذه القصة حنين الى لبنان؟ الا يرغب امين معلوف بالعودة الى بلده الاصلي؟ انه لا ينكر الحنين ولكنه يرفض التعلق بالماضي: «في هذا الكتاب يرمز الشيخ الى اخطاء الماضي، انه متسلط محلي، يستخدم اتباعه واملاكه في القرية كما يحلو له. انه الواقع الذي لا يجوز العودة اليه، ولكن العلاقات التي كانت سائدة يجب احياؤها خارج اطار المتسلط. لقد جرى تدمير تلك المنطقة منذ عشرات السنين والمجتمع التقليدي بسيئاته وحسناته قد استبدل بنظام آخر له سيئات ولكن دون حسنات. ليس الامر برايي في العودة الى عصر الاقطاعي الذي له حق على النساء وانما الى العلاقات الكريمة التي لم تكن خاضعة لقوة المال او لاية قوة اخرى. ولكن هذا الكتاب لا يطمح لتنظيف المستقبل او لتقديم القرية في القرن التاسع عشر على انها النموذج. اعتقد، بالنسبة للمستقبل، انه يجب العودة الى التعايش. كل ما اكتبه يهدف الى هذا: الخروج من مفهوم الانتماء ومن الخضوع للواجب والتمتع بالقدرة على نقض الدين والطائفة والاتنية والقومية. كل كائن بشري يجب ان يكون نقطة التقاء بين الثقافات والامم.. لقد كان لي الشعور نفسه في بداية الحرب، انني ارفض فكرة الحرب هذه، لا اريد ان اكون منتميا الى اية جماعة او اية فئة او اية طائفة. ان شخصية طانيوس فيها شيء من هذا. فهو قد شعر انه غريب عن هذا الوسط لانه يحمل في ذاته حداثة لا تتاقلم مع الواقع، من اجل ذلك اندفع هو الآخر للرحيل.

باريس ـ «الحوادث»

غونكور وامين معلوف

اعتبر كثيرون ان جائزة غونكور، كبرى الجوائز الادبية الفرنسية التي أعطيت هذه السنة للروائي اللبناني امين معلوف عن روايته (صخرة طانيوس)، لم تكن جائزة بريئة مثلها في ذلك، مثل زميلتها الكبرى نوبل. فكما ان نوبل لها احياناً اعتباراتها السياسية، كذلك لغونكور مثل هذه الاعتبارات. وقد ضبط هؤلاء غونكور اسيرة الفرنكوفونية (اي السياسة والمصالح الفرنسية) مرتين في تاريخها الحديث: اولاً عندما اعطاها الفرنسيون قبل سنوات لابن جلّون المغربي، وثانياً عندما اعطوها قبل ايام لابن معلوف اللبناني.

والاسباب الموجبة براي هؤلاء لاعطائها لكاتبين نابهين ينتميان الى ابناء البلدان الناطقة كلياً او جزئياً بالفرنسية، هي باختصار تحية هذه البلدان على فرنكوفونيتها، كما هي في الوقت نفسه تحية لاشعاع اللغة الفرنسية خارج فرنسا.

واضاف هؤلاء الى هذه الاسباب الموجبة سبباً آخر متصلاً بلبنان اكثر من سواه. ذلك ان في اعطاء هذه الجائزة لامين معلوف اللبناني المقيم في باريس، والفرنسي الجنسية في الوقت نفسه، ما يتجاوز التحية الى الموقف. فالفرنسيون لهم علاقة تاريخية بنصارى لبنان تعود الى ثلاثة او اربعة قرون على الاقل. والفرنسيون يريدون ان يفعلوا الآن شيئاً للبنان ولكنهم بسبب الاميركان، ومن اليهم، لا يستطيعون. فكأنهم عبر هذا الاهتمام الثقافي برواية فيها الكثير من لبنان القديم ومن لبنان الحديث ايضاً، انما يبعثون سجل الذكريات، كما يذكّرون العالم ببلد فقد نفسه في حمى الصراع في المنطقة، كما فقد نفوذه الثقافي واشعاعه التقليدي في محيطه.

وقال آخرون ان مؤلف رواية (صخرة طانيوس) ليس روائياً منصرفاً لوجه الله الى الروايات. فهو روائي واع او صاح يختار موضوعاته بعناية. واختيار موضوعات رواياته لا يخلو من النزعة المركنتيلية. فعندما قدّم للغربيين قبل اليوم «سمرقند» و«ليون الافريقي» و«ماني»، انما قدم اعمالاً شبه استشراقية عن شرق ما مشوّق ومثير في وجدان الغربي. فهو اذن يُعمل مسبقاً حساب الربح والخسارة، وما هكذا يفعل الروائيون عادة. فاذا كانت صدفة ما قادته الى سمرقند، فهل الصدفة نفسها اخذته الى غرناطة وافريقيا، كما عادت واخذته الى بلاد فارس القديمة؟

انها اذن مؤلفات يمتزج فيها التاريخ والواقع بالخيال بالصنعة والمهارة والشطارة والتجارة. وانه اذن روائي ولكن من نوع جرجي زيدان. والمعروف ان روايات جرجي زيدان يتحفظ عليها كثيرون من ابناء العربية اليوم، اذ يرون ان عيوباً كثيرة (لا محل لذكرها الآن) قد شابتها، رغم الجهد الكبير الذي بذله صاحبها في وضعها، بل رغم الحب الذي عمر قلب صاحبها نحو العرب عندما كتبها، ولكن ما العمل وزيدان من اهل الملل والنحل اصلاً؟

والواقع انني لم اجد نفسي في صف مشوّهي هذا العرس اللبناني والعربي في باريس. فعندما سمعت لاول مرة بأن غونكور وهبت نفسها هذه السنة لامين معلوف حتى شعرت بأن الهبة اصابتنا كلنا. فهذا الكاتب اللبناني اللامع حقق لا للبنان وحده، بل للعرب والمسلمين ايضاً، ما لا يمكن ان تحققه كل اتحادات الادباء في البلاد العربية جمعاء. بل انه قدّم لتراث العرب والمسلمين والمشارقة خدمة لم يقدمها احد. ان مؤلفاته التي نُقلت الى العربية والى لغات حية كثيرة، مليئة بكل ما يخدم تراثنا وتاريخنا وقيمنا. ثم ان في هذه المؤلفات ايضاً انفاس اديب وفنان مرهف ذي سريرة نبيلة. لم اقرأ عن آخر ايام غرناطة وعن ملكها ابي عبدالله افضل مما قراته في كتاب امين المعلوف ليون الافريقي. بل انني لا اعتقد ان احداً قدّم الشرق للغرب بأفضل مما قدمه امين معلوف. ولا شك ان امين لم يكتب بمثل هذه البراعة لو لم يكن يحبّ موضوعاته ولو لم تكن هذه الموضوعات لصيقة بوجدانه وفطرته. ثم انه لا بأس اذا راعى الكاتب حكاية الرواج، فهل المطلوب ان يكون عدد قراء الكاتب من نوع عدد قراء فرسان الحداثة عندنا؟ ثم ان علينا - وهذه نقطة مهمة ايضاً - ان نتحلى بالصبر اذا وجدنا ان الكاتب الذي نقرأه، سواء بالعربية او بالاجنبية، ليس من العرب العاربة بنسبة مائة بالمائة.. فلا بأس في رايي اذا كان من العرب المستعربة مثله في ذلك مثل قريش نفسها، وقريش كما نعلم هي فخر العرب وفخر الاسلام.

انني في الوقت الذي اشدّ على يد امين معلوف سعيداً مبتهجاً بفوزه بهذه الجائزة الكبرى، اعتبر اننا كلبنانيين بحاجة الى مائة امين معلوف في الخارج لمسح الصفحة المخزية المعروفة من تاريخنا الحديث، صفحة الحرب والجنون والدمار. لقد اثبت امين معلوف ان لبنان ليس القتلة والزعران، بل الثقافة والادب والفكر قبل كل شيء. وقد وصلت هذه الرسالة الى الاجانب على هذا الاساس. وعلى هذا الاساس ينبغي ان نبتهج ونذكر بالحب فتى نابهاً من بلدنا وربعنا.

جهاد فاضل

صخرة الحرية

الكلام الذي قاله أمين معلوف أمام كاميرات التلفزيون الفرنسي، بعد الاعلان عن فوزه بجائزة غونكور للرواية عن عمله الجديد «صخرة طانيوس»، أفرحنا مقدار ما أفرحنا نبأ فوزه.

«هذه الجائزة تكرم لبنان، الوطن الذي اقترن اسمه بالحرب والدمار سنوات طويلة، بينما هو بلد ثقافة وفن..» قال معلوف. هذا الكلام الذي يبدو عاطفيا، للوهلة الأولى، نريد أن نصدقه. أليس لبنان في خواطرنا وعقولنا، وخواطر وعقول العرب أيضا وربما أهل الغرب «وطن ثقافة وفن؟» ونتصور ان الذين يقرأون ويكتبون من اللبنانيين، كانوا ليقولوا مثل كلام الروائي الفائز في مقام مماثل.

هذا لا يعني أن الجائزة الأدبية التي منحها معلوف تكرم الكاتب لكونه لبنانيا. لا، فالجائزة تكافىء كاتبا على رواية تستحق المكافأة، كما أعلن رئيس لجنة غونكور. رواية فازت، في مباراة ادبية كبيرة، على ثلاث روايات أخرى منافسة.

مع ذلك، فإن لبنان الوطن يستأهل جائزة، ليس فقط لأنه أطلع أمين معلوف الذي كتب رواية، أبطالها شخصيات وأحداث جرت في قرية جبلية، في العام ١٨٣٠، أو لم تجر.. فأعجبت رابطة روائيين فرنسيين، تدعى «لجنة غونكور».

لبنان يستأهل جائزة، بل الجائزة، في موسم توزيع جوائز اليانصيب الأميركي على جيرانه.. يستأهل جائزة الحرية لأنه يود أن يعود «وطن ثقافة وفن» كما كان في خواطرنا وعقولنا، وخواطر وعقول العرب أيضا وربما أهل الغرب.

لبنان يكون صخرة الحرية أم «صخرة طانيوس» قدره؟ تلك الصخرة التي يعتليها بطل الرواية لينظر إلى البحر قبل أن يتوارى في المجهول.

جوزف كيروز

أمين معلوف يفوز بحلمه: «جائزة غونكور»



امين معلوف حقق حلم طفولته

فاز الروائي اللبناني، باللغة الفرنسية، أمين معلوف بجائزة غونكور، وهي اهم جائزة تمنح للرواية في فرنسا، في الأسبوع الأول من شهر تشرين الثاني (نوفمبر) في كل عام. وقد صرح معلوف إثر إعلان نبأ فوزه بانه يعتبر «هذا اليوم أسعد يوم في حياته..» وانه حلم دائما بهذه الجائزة ولكن «بدون أمل».

إذن، كافأت لجنة غونكور الأدبية الكاتب اللبناني على روايته الجديدة «صخرة طانيوس» الصادرة عن منشورات «غراسيه» الباريسية.

وامين معلوف نزح عن لبنان في العام ١٩٧٦، إثر احتدام المعارك، حيث استقر في باريس منذ ذلك التاريخ عاملا في الصحافة: «جون أفريك» و«النهار العربي والدولي»، قبل أن ينصرف نهائيا إلى التأليف ويصدر، في العام ١٩٧٣، اول كتاب له بعنوان «الصليبيون كما رآهم العرب». ثم توالت رواياته التي استقى مادتها من التاريخ الإسلامي: «ليون الأفريقي» (١٩٨٦) التي يحكي فيها قصة مهاجر يعمل في الترجمة خلال القرن السادس عشر. هذه الرواية ظلت لفترة طويلة في طليعة الروايات الأكثر مبيعا في فرنسا، وحققت لمعلوف شهرة واسعة. بعدها بسنتين، نشر رواية «سمرقند» التي استوحاها من سيرة حياة عمر الخيام الشاعر الفارسي الشهير، وقد نال عليها جائزة «دور الصحافة».

في العام ١٩٩١، ينشر رواية «جنائن الضياء» التي يحكي فيها قصة الداعية «ماني»، ثم اتبعها، بعد عام، برواية من نوع الأدب العلمي الخيالي، عنوانها «القرن الأول بعد بياتريس»، يروي فيها أحداثا تقع في القرن الحادي والعشرين.

المستقبل العربي

عن «مركز دراسات الوحدة العربية» في بيروت، صدر حديثا العدد ١٧٧، من مجلة «المستقبل العربي»، متضمنا المواد الآتية: «الاعتراف المتبادل بين حكومة دولة إسرائيل ومنظمة التحرير - ورقة إعلان مبادىء حول ترتيبات الحكومة الذاتية الانتقالية» (برهان الدجاني)، «اتفاق غزة - أريحا: هل ينهي الصراع؟» (معن بشور)؟ «مستقبل العلاقات العربية - الإيرانية» (محمود سريع القلم)؟ «العلاقات العربية - العربية والتمسك بمفهوم السيادة» (مدعم العمار)؟ «نظرة الأميركيين إلى العرب وتاثير ذلك على العرب في الولايات المتحدة» (ميخائيل سليمان)؟ «التليفزيون.. والطفل» (محمد خليل الرفاعي).

وكتب علي نوح في باب «آراء ومناقشات» مقالا بعنوان «العرب: في صحوة إسلامية أم انتكاسة مجتمعية؟».

الجمعية الأردنية

بقرار صادر عن وزير الثقافة الأردنية، أعلن مؤخرا عن تأسيس «الجمعية الفلسفية الأردنية» برئاسة ربحي حسن شتات، وذلك في سبيل خدمة «الثقافة العربية المستنيرة» حسبما جاء في خبر التأسيس.

وبغية تحقيق هذا الغرض، فإن الجمعية اقامت العديد من المحاضرات والندوات الفكرية التي شارك فيها كل من الدكتور عادل ضاهر (العلمانية والدين)، الدكتور علي املیل (سلطة المثقف العربي)، الدكتور وليد سيف (الثقافة والتنمية)، الآنسة توجان فيصل (تقنيات الإعلام الحديث في صياغة الفكر).

هذا فضلا عن مجموعة من الحوارات الفكرية التي نشرتها «الجمعية»، أو ستنشرها لاحقا، مع كل من عادل ضاهر، كريم مروة، وليد سيف، حسن حنفي، نصر حامد ابو زيد، هشام غصيب، اقرام بعلبكي، ابراهيم بدران وفهمي جدعان.

همزة وصل

صخرة الحرية

الكلام الذي قاله أمين معلوف امام كاميرات التلفزيون الفرنسي، بعد الاعلان عن فوزه بجائزة غونكور للرواية عن عمله الجديد «صخرة طانيوس»، أفرحنا مقدار ما أفرحنا نبأ فوزه.

«هذه الجائزة تكرم لبنان، الوطن الذي اقترن اسمه بالحرب والدمار سنوات طويلة، بينما هو بلد ثقافة وفن..» قال معلوف. هذا الكلام الذي يبدو عاطفيا، للوهلة الأولى، نريد أن نصدقه. أليس لبنان في خواطرنا وعقولنا، وخواطر وعقول العرب أيضا وربما أهل الغرب «وطن ثقافة وفن؟» ونتصور ان الذين يقرأون ويكتبون من اللبنانيين، كانوا ليقولوا مثل كلام الروائي الفائز في مقام مماثل.

هذا لا يعني أن الجائزة الأدبية التي منحها معلوف تكرم الكاتب لكونه لبنانيا. لا، فالجائزة تكافىء كاتبا على رواية تستحق المكافاة، كما اعلن رئيس لجنة غونكور. رواية فازت، في مباراة ادبية كبيرة، على ثلاث روايات أخرى منافسة.

مع ذلك، فإن لبنان الوطن يستأهل جائزة، ليس فقط لأنه أطلع أمين معلوف الذي كتب رواية، أبطالها شخصيات وأحداث جرت في قرية جبلية، في العام ١٨٣٠، او لم تجر.. فأعجبت رابطة روائيين فرنسيين، تدعى «لجنة غونكور».

لبنان يستأهل جائزة، بل الجائزة، في موسم توزيع جوائز اليانصيب الأميركي على جيرانه.. يستأهل جائزة الحرية لأنه يود أن يعود «وطن ثقافة وفن» كما كان في خواطرنا وعقولنا، وخواطر وعقول العرب ايضا وربما أهل الغرب.

لبنان يكون صخرة الحرية أم «صخرة طانيوس» قدره؟ تلك الصخرة التي يعتليها بطل الرواية لينظر إلى البحر قبل أن يتوارى في المجهول.

جوزف كيروز

جائزة غونكور للكاتب اللبناني امين معلوف

«صخرة طانيوس» شرفة الخرافة والبلاد

في نيله جائزة «غونكور» الفرنسية عن روايته «صخرة طانيوس» يكون الكاتب اللبناني امين معلوف، قد حقق اكبر انجاز ادبي ثقافي في هذا العام ١٩٩٣ وعلى الصعيدين اللبناني والعربي. الرواية مكتوبة باللغة الفرنسية وتجري ترجمتها حالياً في بيروت، في لبنان كان الحدث بمثابة انجاز وطني. لمعلوف الروائي الى الآن مع «صخرة طانيوس» خمس روايات هي «الحملات الصليبية كما رآها العرب» ١٩٨٣، و«ليون الافريقي» ١٩٨٦ و«سمرقند» ١٩٨٨ و«حديقة الانوار» ١٩٩١.


امين معلوف مستنداً الى «صخرة طانيوس»

اوهل كان ينبغي ان يغمر يمّ الامركة كل ما هنالك في لبنان، وان يكون الخوف احدى الذرائع او الاسباب الرئيسية للاعتراف لربما رسمياً بثقافة كانت طوال اكثر من نصف قرن العاشق والمبشر والحليف الصديق المنسي والمغبون. هل يخفى على الثقافة الفرنسية واصحابها ان هنالك «فرنكوفونية!» اخرى اشد عمقاً وتجذراً وتعبيرية في النتاج الادبي اللبناني المكتوب باللغة العربية، أوليس اللقاء الفكري اكثر اهمية وصلابة من اللقاء الشكلي. في مطلق الاحوال كان ولا يزال العنوان الاساسي للقاء او للعلاقة ما بين الثقافة اللبنانية والفرنسية، هو «العاشق الولهان والمعشوق اللامبالي». اوليس هناك ما يستدعي الاهتمام والترجمة في الادب اللبناني بأنواعه؟ الا يستأهل هذا الادب بعض الجهد، بعض الحشرية؟ الا يحق له بنافذة صغيرة او كوّة على العالم؟ على أية حال لا يدفعنا الى الكلام سوى الرغبة بالممازحة اذ لا يتجاوز الامر مسألة «العتب على النظر».

اما الدافع بالدرجة الاولى الى هذا الموضوع بل المقالة برمتها فهو نيل الكاتب اللبناني امين معلوف جائزة غونكور الفرنسية عن روايته «صخرة طانيوس». وجائزة غونكور هي بالتأكيد ارفع واهم جائزة ادبية تعطى لنتاج في اللغة الفرنسية. وامين معلوف الكاتب والروائي اللبناني الفرنسي القدير هو رابع فرانكوفوني ينال غونكور منذ تأسيسها وكان سبقه اليها كندي ومغربي وآخر من جزر الانتيل وهم انطونين مايي عن روايته «بيلاجي العربة» العام ١٩٧٩، والطاهر بن جلّون لروايته «ليلة القدر» العام ١٩٨٧، وباتريك شاموازو عن روايته «تيكساكو» العام ١٩٩٢.

«صخرة طانيوس» ان استثنينا الجائزة لا تشكل النجاح الروائي الاول لمعلوف، اذ انه كان قد نال حظّه واستحقاقه من الشهرة والانتشار مذ روايته او كتابه الاول في العام ١٩٨٣ والذي حمل عنوان «الحملات الصليبية كما رآها العرب»، وكذلك في روايته الثانية العام ١٩٨٦ بعنوان «ليون الافريقي»، الى روايته «سمرقند» العام ١٩٨٨، و«حديقة الانوار» العام ١٩٩١. تتآلف الرواية عند امين معلوف وتنبني على الدوم بفعل تزاوج مشغول ومحسوس ما بين التاريخ وشخوصه. وكأن الرواية لديه فعل افتتان بالحقبات وبرجال شكلوا علامات فارقة فيها. «لانني بحاجة للتفكر بحياتي، وبحقبتي» هكذا يحدد معلوف بكلمات قليلة الشرارة التي تلهب اشتعال الرواية خصوصاً وبالتالي معالجته لها وبحثها الداخلي.

كان لنيل امين معلوف جائزة غونكور الفرنسية وقع ادبي ووطني ممتاز لا سيما وان كل ما حدث ويحدث منذ عشرين عاماً في لبنان لم يحمل سوى هدايا الكرب والكوارثية. وبغض النظر عن قدرة «صخرة طانيوس» كعمل روائي لبناني على الأقل، في التعبير عن تغييرات او توقعات، فان هذا العمل الروائي يشكل الاطلالة العالمية الاولى للرواية اللبنانية. كان للرواية اللبنانية بالتأكيد بعض الحضور الخجول في النشر الفرنسي عبر السنوات، بيد ان ذلك الحضور كان مبتوراً ولم يشكل اي مرة تمثيلاً واضحاً وصحيحاً لحالة الرواية اللبنانية، كان معظم ما ترجم ونشر بندرة حصيلة علاقات شخصية او مشبوهة عبر احزاب او منظمات الخ... وكانت تلك الاصدارات المترجمة لا تصيب عموماً غير الفشل اعلامياً وانتشاراً.

تختلف كتابة امين معلوف في مفهوم غربي شامل، اي عبر عدّتها وعتادها الغريب غير المألوف، اضافة الى مادتها الجغرافية البصرية والحسية الساحرة الجذابة، تختلف الى حد كبير عما يمكن ان يحرك او يلهم مطلق روائي لبناني معاصر ومقيم. ثمة تغيّرات شاسعة وعنيفة وكثيرة الثراء وهي على اية حال بعيدة جسدياً على الاقل عن ان تشكل الحافز لدى كاتب كمعلوف يعيش مذ ما يقارب ربع قرن في فرنسا. لكن من جهة اخرى ينبري معلوف كاتباً تراثياً بامتياز، وتكمل تجربته وتستكمل في مجال الرواية التاريخية ارثاً بارعاً وثرياً كان بداه روّاد كمثل جرجيْ زيدان الذي يشكل نتاجه الروائي في هذا السياق تراثاً بحد ذاته، هذا بالاضافة الى عدد كبير من الكتاب اللبنانيين الذين كتبوا في المجال عينه.

الى جانب الرواية التاريخية يحاكي امين معلوف في «صخرة طانيوس» حيث

تتألق موهبته القصصية الحكواتية وتسترد كماً كبيراً من الادب اللبناني القروي، او الادب الذي شكلت القرية ارضية وحيدة لحدوثه ومصدر شخوصه.

وهنا فات بالتاكيد ناقد مجلة «لوبوان» الفرنسية كريستيان ماكاريان، ان امين معلوف يمكن ان يكون بالدرجة الاولى ابن مارون عبود وليس ابن مارسيل بانيول. وكمثل عبّود تترقرق لغة معلوف جذابة اسرة بطرافتها بل انها تنعطف الى مسارات له خاصة، حيث تشكل عالم القرية مجدداً بكامل تفاصيله وكأنما للوهلة الاولى وبنضارة الدهشة وحسّ الفقدان. ثمة حساسية مغايرة بالتاكيد في مقاربة امين معلوف لموضوع القرية، حساسية ناشئة من تلك المسافة الزمنية البعيدة التي تحفظ للاشياء وهجها الناعم والاليف، ولذكرى العلاقات حدة الرؤية ووضوح تناقضاتها وتداخلاتها.

يرسم امين معلوف في «صخرة طانيوس» حقبة بعيدة تعود الى بدايات القرن التاسع عشر، فوق لوحة قروية تدعى كفريبدا، في العام ١٨٣٠. فوق مساحة هذه القرية وتحت سمائها. بتقاطع القص بالحكايات وتتداخل كثيرة التشعبات. وكأن معلوف يدمج في حبكة غير معقدة اشياء الذاكرة بمركبات البناء الروائي. فوق تشاكيل الذاكرة القديمة والحلم او الخرافة، تتحرك الشخصيات ومصائرها وكأنما داخل حلقات مترابطة. في «صخرة طانيوس» اناس يشكلون هرماً اجتماعياً طبيعياً وتقليدياً في القرية اللبنانية ولربما هو مستمر الى اليوم بالذات. بطل الرواية الاساسي يدعى ابو كشك على سبيل المثال وثمة اسماء اخرى شبيهة ترتبط مباشرة باسماء ماكولات واطعمة فولكلورية كمثل بولس غمّة او حنا اوزة والخ..

- قصة «صخرة طانيوس» استلهمها امين معلوف اساساً ويتصرّف من حدث تاريخي في القرن التاسع عشر حيث اغتيل احد البطاركة الموارنة على يد رجل يدعى «ابو كشك معلوف»، الذي فرّ بعيد ذلك الى قبرص وما لبث ان عاد بعدئذ اثر مكيدة او فخ نصب له، فحوكم في لبنان، يقص معلوف نشأة طانيوس منذ ولادته، ويرافقه حثيثاً وهو يكبر معرفة وطموحاً وحنكة. يغمز معلوف في الرواية الى علاقة ما بين والدة طانيوس لميا المراة الجميلة الجذابة والشيخ الذي يعمل لديه والده جريس كمدير اعمال، وثمة اشارة خفية غير مؤكدة في النص الى ان طانيوس هو ثمرة تلك العلاقة المفترضة. في «صخرة طانيوس» يستخدم الروائي معلوف التركيبة الاجتماعية الطبقية ويسعى من خلال حقبة مؤطرة بالتاريخ الى رسم ملامح وطن كامل بكل تناقضاته الغريبة الشاذة والمتآلفة في آن واحد. يكتب من زاوية اختارها هو، قراءة لواقع قديم لا يزال في شكل ما مستمراً. غير ان القص لديه يتشعّب كثيراً وتتكاثر فيه العلاقات والشخوص والاسماء، وتنبري القرية بكامل تفاصيلها واشيائها الفقيرة وعاداتها والتقاليد. فوق وضوح كل هذا تصبغ لغة معلوف الدافئة والجذابة مناخاً شرقياً ساحر المنمنمات. يركز معلوف في «صخرة طانيوس» وبالتاكيد على شخصية صاحب الصخرة، يلوّن تمايزها بالوحدة والتجوال في الامكنة وخصوصاً الممنوعة بها بالارادة وبالخرافة، طانيوس يتحول شيئاً فشيئاً عن العالم الحقيقي المحسوس، ليلج عالم الحكاية الاسطورة، ثمة رمزية كبيرة في شخصية طانيوس، ولعله في منظار ما انموذج يمثل حالة وجماعة في انعزالها.

يرتفع البحث داخل التاريخ كعنوان مضيء ودائم لمغامرة امين معلوف الروائية وعبر فصولها. بيد ان بحث الكاتب متحرك متعدد المصادر والاهتمامات. غير ان الاكيد في مادة استلهامه او بحثه هو ارتباط كل مواضيعه بالشرق حيث تنفلش المادة التاريخية غنية فاحشة الثراء. ولكن كان لا بد وان ينغمس هوسه هذا في المادة التي كونت اساساً وعيه الاول وهي التاريخ اللبناني الواضح والشائك في آن معاً. وقد تكون فترة الامبراطورية العثمانية في لبنان والمنطقة برمتها هي الاقرب الى الاذهان والاطول بقاء وتعسفاً في تاريخ الشرق الحديث. في ما يختص بلبنان عملت الامبراطورية طوال حقبة حكمها الطويل والذي استمر قرابة الخمسمئة سنة، على الاستمرار بشكل غير مباشر الى حد ما، من خلال تأليب الصراعات الداخلية للتوازن على ارضية تقلباتها الكثيرة التشعّب. كانت الامبراطورية تحكم من بعيد وبابهى ما يكون من خلال عملاء داخليين وطوابير سعاة السلطة

□ يحاكي امين معلوف في «صخرة طانيوس» كمّاً كبيراً من الادب اللبناني القروي، او الادب الذي شكلت القرية ارضية وحيدة لحدوثه ومصدر شخوصه

□ فات بالتاكيد ناقد مجلة «لوبوان» الفرنسية ان امين معلوف يمكن ان يكون بالدرجة الاولى ابن مارون عبّود وليس ابن مارسيل بانيول

المستعدين لمطلق مطلوب ومطلق خيانة او عمالة. في «صخرة طانيوس» استطاع معلوف في اعتماده القص المضاعف الكثير الروافد والنماذج ان يعيد احياء تلك الحقبة مصوراً بلادة ولا حول شعب باكمله من خلال مصغّر هو قريته كفريبدا.

ينبري امين معلوف من خلال معظم رواياته كاتباً انسانياً من الطراز الاول. وهي سمة لا تبارح البتة مقاربته للحدوثات التاريخية لبطله الواحد او المتعدد. في «صخرة طانيوس» على سبيل المثال تتشكل شخصية طانيوس شيئاً فشيئاً وتكبر لتحوي زمنها واسئلته واحزانه. يتعملق طانيوس في مفهوم بعيد عن منطق البطل او المنقذ، ما يمايزه في هذا الاختلاف الاعتكاف لربما ولعله على الاصح الانعزال حتى التواري اخيراً داخل منطقة الآخر حيث فضاء اللاوعي. في شخصية طانيوس ملامح اسطورة، اسطورة تتغذى من ذاتها ومن ماضيها ممتنعة عن الانضواء وعن الانفجار، وايضاً وبالتاكيد الاستسلام. قد يمثل طانيوس في منظور ما الم الذاكرة والم الرؤية البالغة والانقشاع.

في الصخرة المعلوفية اكثر من رموزية، ولعلها رموزية مرتبطة بالدرجة الاولى بالاسطورة اللبنانية الذاتية، بمعاناة طويلة واحتلالات قربت سكان هذا البلد منذ القدم اكثر واكثر الى صخورهم لتصبح مأواهم الاخير والوحيد. واللبناني يعتبر نفسه بالدرجة الاولى ربيب الصخر ومهذبه وشقيقه. هذه الالفة او هذا التوحد مع عنصر الطبيعة تلك طفت في نص معلوف، غير انه اضفى اليها الحكاية الخرافة، جعل من الصخر والصخور مادة تخييلية وحبراً حكائياً. يقول معلوف في احد مقاطع «صخرة طانيوس» في هذا المجال: «في القرية حيث ولدت كان للصخور تسميات. كان هناك المركب وراس الدب والفخّ والجدار وكذلك التوأمان ويسميان ايضاً ثديي الغول. لا سيّما صخرة الجنود، التي كانت سابقاً مكمناً عندما كان الجيش يطارد الجنود المتمردين.

ما من مكان كان يضاهيه رهبة او عبقاً بالاساطير. بيد اني عندما بحدث ان ابصر في الحلم المشهد الذي كنت اراه في طفولتي، تتراءى لي صخرة اخرى. كان للصخرة تلك مظهر كرسي ضخم، محفور بل كأنه محفوف لدى الردفين، وله مسند عال ومستقيم منسدل من جهة واخرى كمثل متكأ - انها الصخرة الوحيدة كما اعتقد التي تحمل اسم رجل، صخرة طانيوس».

في نيل الكاتب اللبناني امين معلوف جائزة «غونكور» الفرنسية الرفيعة يكون اول كاتب لبناني نال منذ الاستقلال جائزة عالمية الشأن بهذا المستوى. فاللغة الفرنسية لا تزال الى الآن واسعة الانتشار ويتحدثها في العالم قرابة الـ ١٢٥ مليون نسمة. ولبنان يعد من بين اوائل الدول الفرنكوفونية استهلاكاً للكتاب الفرنسي وهو بالتاكيد العرين الاخير للثقافة والسياسة الفرنسية في الشرق الاوسط.

نال امين معلوف جائزة «غونكور» في الدورة الثانية، ونالت روايته «صخرة طانيوس» ستة اصوات مقابل صوتين نالهما ميشال برادو الكاتب الفرنسي عن روايته «صديقي بيارو»، وصوت واحد لرواية فيليب يوسان «هيليوز»، وصوت واحد للكاتب انجيلو رينالدي عن روايته «الايام لا تذهب طويلاً».

في مقالته التي نشرها في مجلة «لوبوان» ينهي الناقد كريستيان ماكاريان قائلاً: «البطل الحقيقي لهذا الكتاب ليس بالحق طانيوس، بل هو بالدرجة الاولى لبنان، الذي يبرع الكاتب في الدفع الى حبه كمثل اخت عجوز متروكة. فرانز اوليفيه غيبرت الناقد الفرنسي قال في مقالته عن نيل معلوف الجائزة «امين معلوف كاتب عالمي وصاحب «ليون الافريقي» الكتاب الجميل عن المنفى. ها هوذا تكلله جائزة غونكور، لبنان جورج شحاد، واندريه شديد». لورنس فيدال في صحيفة اخرى «امين معلوف نبيّ الصحراء نال غونكور ١٩٩٣».

يبقى ان نقول اخيراً ان امين معلوف الكاتب الموهوب صرخ اسم لبنان من اعلى صخوره وهي صخرة الادب والثقافة ليبقى لبنان على الرغم من كل مأسية وسنواته العجاف واحة للفكر الانساني وللحرية. وان كان ثمة ما لم يقله معلوف في صخرته، فان كتّاباً وشعراء غيره سيقولونه بالتاكيد، وستكون لهم الشرفة العالية التي رفعها لهم وللثقافة اللبنانية ●

شارل شهوان





10

على الهامش

- أمين معلوف
- ٤٤ سنة
- لبناني يعيش في باريس
- صدر له . « الحروب الصليبية كما يراها العرب » - ١٩٨٣ - ليون الافريقي (٨٦) سمرقند (٨٨) ، « جنائن الورد (٩١) ، صخرة طانيوس (٩٣) .
- حصل على جائزة جونكور الفرنسية عن روايته الأخيرة
- تحكى الرواية سيرة ابو كشك معروف لأحد أقارب المؤلف .. وتاريخ قريته في لبنان في منتصف القرن التاسع عشر .
- ترجمت رواياته للعربية بينما لم يصلنا كتابه الأخير مترجما حتى الآن من سوريا او لبنان .
- لم يترجم له حرف في مصر .

تجاهل على أعلى جوائز فرنسا الأدبية

أمين معلوف الذي لم يجلس على مقهى زهرة البستان !

سيسأل البعض ومن هو أمين معلوف ؟ وسنقول للبعض عندكم حق !! فلا أى شىء مترجم هنا عن أمين معلوف ، بل إن صحفا مصرية كثيرة تجاهلت فوزه بالجائزة لسبب بسيط انها لا تعرف الرجل ولا تعرف الجائزة ولا تعرف الكتابة .

وللجميع حق السؤال عن امين معلوف ، لان مصر لم تعد مصر تستقبل الادباء العرب وتحتفى بهم وترفعهم لمصاف الشهرة والمجد ولم تعد مصر السابقة الحريصة على ترجمة اهم الكتب الادبية والروائية الصادرة في انحاء العالم وخاصة باقلام عربية .

مصر فقدت مكانتها في الترجمة - هكذا بوضوح يصل إلى حد الوقاحة - وتراجع دورها في تقديم وتلميع الادباء - هكذا بوضوح يصل إلى حد التجريح - والعزاء للادباء والقراء والسرادق في هيئة الكتاب (..) .

نعود بعد هذا ، العديد ، إلى امين معلوف ، إنه صحفى لبنانى تراس تحرير مجلات (فرنسية) ثم تفرغ للكتابة الادبية ، وقدم عددا من الاعمال اللامعة (جدا) خلال السنوات السابقة (انظر الهامش) .. ولكن هذه الاعمال - كلها مكتوبة بالفرنسية ومترجمة إلى العربية في دور نشر سورية ولبنانية ، كان لها - وحدها - فضل تقديمه للقارىء العربى .

وقد حاز الرجل الاسبوع الماضى اشهر جائزة ادبية في فرنسا (وكان قد حاز عليها المغربى الطاهر بن جلون عام ١٩٨٧) ، جائزة جونكور انشئت عام ١٩٠٣ وهى من اقدم جوائز الادب في اوروبا وكفيلة وحدها بدفع اى رواية فائزة بها إلى خانة الملايين في التوزيع . ويكشف هذا الفوز ايضا تضاؤل وانسحاب هذه النغمة الصارخة العالية التى يرفعها البعض باعتبار ان اى التفات اوروبى - او غربى - لاى اديب عربى ، إنما لغرض خبيث ضال وهو الطعن في التاريخ العربى والإسلامى (!!) الحقيقة ان اول اعمال امين معلوف كان كتابه الرائع « الحروب الصليبية كما يراها العرب » ، وقد كان عملا تاريخيا روائيا مستندا إلى المراجع العربية في توصيفها وتصنيفها وروايتها للحروب الصليبية وقد كان كتابا منصفا للعرب ، مؤمنا بقضيتهم ضد الاستعمار او الغزو او الحملات الرافعة لشعار الصليب . الكتاب كان وثيقة لمدى عنف وفداحة وتجارة وسمسرة الدين في السياسة (!!) وقد كان جميلا ان يخرج كتاب لكاتب عربى مستند لكتاب وكتب عربية يدين الغرب والصليبية .

وليس معنى ذلك - منعا لاى لبس نحن في غنى عنه - إن الغرب يؤيد العرب ، لكن المعنى المقصود في اختصار متحمس اننا يجب ان نفرق بين امريكا - مثلا بكل ما تفعله فينا وفي العالم كله - وبين اوروبا ، ويجب ان نفصل تماما بين الشعوب وبين والحكومات والانظمة ، يجب ان نفرق بين المثقفين والعوام .

هناك تيارات معادية للاجانب او للعرب ، لكن هناك تيارات لا تقل قوة واهمية تحمل لواء الحضارة والتنوير والتعاون مع الشعوب . إذا كان هناك جون لوبان العنصرى ، فهناك فرانسو بورجا المتعاطف مع التيار الدينى العربى (..) ، وإذا كان هناك لوبى يهود صهيونى ضدنا فهناك يهودى اسمه نعوم تشيومسكى اشهر اساتذة اللغويات في العالم لا حديث له في ليل او نهار إلا عن الإرهاب الامريكى الصهيونى (..) إذا كان هناك مسئول مخابرات امريكى في سفارة القاهرة يتفاوض ويتعاون مع المتطرفين فهناك ريشار جاكمون يقود بعثة فرنسية لترجمة كتب مصرية للفرنسية وتدعيم نشر الكتب في مصر ، بمعنى اكثر اختصارا وحماسا انه إذا كان نابليون دخل بخيوله الازهر فإن شامبليون فك رموز حضارة عمرها سبعة الاف سنة .

امين معلوف الذى يقدم رواياته من عالم التاريخ الإسلامى والعربى ، ترك الصحافة وتفرغ للادب وهذا فارق حضارى فاصل بيننا وبين الغرب ، فالرجل إذا كان يعيش في مصر او (لبنان) كان قد استنفذ - من اجل لقمة العيش - وعمل في الجرائد ومكاتب الصحف العربية وفي السيناريوهات وكتب الاطفال والكتب الصحفية ، ثم وجد ساعة في اخر الليل لكتابة اربعة سطور في قصة ، اما امين معلوف حين عاش في فرنسا واتاحت له كتبه ومبيعاته ودور النشر ان يتفرغ فكانت تحت يده السنوات كلها وبنوك المعلومات والكمبيوتر والباحثين المساعدين وجميع المراجع التاريخية (ولم يضطر للجلوس تحت تراب دار الكتب) كل هذا لكى يفعل شيئا واحدا فقط .

هو ان يكتب .

إن الكاتب في العالم الغربى مدلل ، وفي العالم العربى ، مذلول ، إن لم يكن للسلطة او للامير فللقمة العيش ومصاريف المدارس .

يقال إن الطفل المصرى هو اذكى طفل في العالم حتى سن السادسة حين تتسلمه المدرسة (..) . واظن ان الاديب المصرى هو اكثر ادباء العالم موهبة حتى يتسلمه المجتمع الصحفى وزوجته وقهوة زهرة البستان . ■

إبراهيم عيسى

21 -

«الوسط» تلتقي أمين معلوف الفائز بجائزة «غونكور» الادبية

«قتل الأب وإزالة العالم القديم؟ حسناً، لكن ما هو البديل؟...»



• أنا ابن كل التناقضات اللبنانية وأرفض أي انتماء ضيق
• أشعر بحنين الى المجتمع الريفي القديم، فما جاء بعده كان اسوأ بكثير...

قبل ترشيحه لنيل الـ «غونكور» اشهر الجوائز الادبية الفرنسية، كان الكاتب اللبناني امين معلوف ذاق طعم النجاح الفعلي الذي يسعى اليه كل اديب. فروايته «ليون الافريقي» حققت ارقاماً قياسية في المبيع، وقدمته الى الجمهور العريض... وجاءت روايته «سمرقند» لترسخ شهرته ورواجه. محور ادب معلوف الذي يكتب بالفرنسية هو التسامح والتعايش والانفتاح على الآخر وتلاقح الثقافات والحضارات. وحجر الأساس في عمارته الروائية هو المزج بين السرد والتاريخ... فلماذا يهرب الكاتب باستمرار الى ازمنة اخرى؟ وما الذي عاد به في روايته الاخيرة «صخرة طانيوس» الى اجواء القرية اللبنانية؟ «الوسط» التقت امين معلوف وحاولت تسليط الضوء على بعض وجوه تجربته الادبية.

حاوره في باريس ابراهيم العريس

■ بجائزة «الغونكور» او من دونها، يسجل امين معلوف، منذ عشر سنوات، نجاحات كبيرة في فرنسا، وفي العديد من البلدان التي تترجم كتبه تباعاً الى لغاتها. عبر ستة كتب صدرت له حتى اليوم، تمكن هذا الكاتب اللبناني في مسيرة قادته من الصحافة الى التاريخ، الى رواية التاريخ، الى الرواية بالمعنى الحرفي للكلمة، تمكن من ان يجد لنفسه مكاناً في الحركة الادبية الفرنسية. وربما كان كتابه الأول «الحروب الصليبية كما ينظر اليها العرب» مر دون ضجة كبيرة اول الامر، ولكن ما ان صدرت روايته التاريخية الأولى «ليون الافريقي» في العام ١٩٨٦ حتى جاء اقبال القرّاء كبيراً ومدهشاً، وهو اقبال واكبه اعجاب النقاد وثناؤهم على كتاب وجدوا فيه دعوة لابدال الصدام بين الشرق والغرب، بنوع من التلاقح الحضاري. منذ روايته الأولى تلك، عرف امين معلوف كيف يدخل قلوب قرّائه، واحتل الكتاب موقع الصدارة في قائمة الكتب الاكثر مبيعاً في فرنسا، ثم بدا يترجم الى العديد من اللغات.

وبعدها بعامين فاجا امين معلوف قرّاءه الذين راحوا يزدادون عدداً، برواية تاريخية ثانية هي «سمرقند». كان النجاح حليفها منذ نزولها المكتبات. الرواية تعيد الى الاذهان عوالم كان الغرب نسيها: من العصور الذهبية الاسلامية، الى المناخات التي ظهرت فيها اشعار عمر الخيام، الى جذور ما يسمى بالارهاب. بعد نجاح «سمرقند» واعادة اكتشاف كتابه الأول عن «الحروب الصليبية»، صار امين معلوف علما من اعلام الرواية التاريخية، ساعده على ذلك اسلوب كتابة بسيط وجذاب يذكر باساليب الحكواتية العرب القدامى، ومواضيع عرف كيف يختارها بعناية. وساعده كذلك تجدد الاهتمام في اوروبا خلال السنوات الاخيرة بالاسئلة المتعلقة بصراع الغرب والشرق، فبدا معلوف للمهتمين، مرجعاً في تحري العلاقة بين الحيزين الجغرافيين والحضاريين.

في كتابه الرابع "حدائق النور"، توغل امين معلوف بعيداً في الزمن، انما دائماً ضمن اطار اهتمامه برسم ملامح الصدمة الناتجة عن احتكاك زمنين وعالمين، وذلك عبر قصة "ماني" مؤسس مذهب المانوية في بلاد ما بين النهرين، وقصة جحود المجتمع، ومعارضة السلطات الحاكمة كما يحلو لها، في قيام من يؤلب الناس على الخير والمعرفة. مرة اخرى كانت رسالة امين معلوف واضحة وحاسمة. وهذا ما جعل المتحدثين عن رواياته يتحرون فيها الرسالة الاجتماعية والبعد الايديولوجي اكثر مما يبحثون عن الجانب الفني. وهو سوء تفاهم عززته رواية امين معلوف التالية "القرن الأول بعد بياتريس" التي جاءت اشبه برواية تنتمي الى عوالم الخيال العلمي، وتتحدث عن مستقبل غير منظور، وتنطلق من حيرة الشرق ازاء قضية المراة، ومن حيرة المراة ازاء شرقها القاهر.

صحيح ان "حدائق النور" و"القرن الأول بعد بياتريس" واصلا خط امين معلوف في المزج بين الشاعري والفكري، وبين مساءلة الحاضر ورسم ما هو خارجه (تاريخياً او مستقبلياً)، لكنهما لم تنالا النجاح الذي كان "ليون الافريقي" و"سمرقند" حققاه، لا من ناحية الاقبال الجماهيري، ولا من ناحية رد الفعل النقدي. لكن كتاب امين معلوف الاخير "صخرة طانيوس" جاء ليعدل الميزان، ويربط هذا المؤلف بنجاحاته الأولى. فهذه الرواية الشيقة، التي تدور احداثها في قرية في اعالي الجبل اللبناني، احتلت منذ صدورها مكانة متقدمة في لوائح الكتب الاكثر مبيعاً في فرنسا، ونشرت مقالات مميزة عنها في كافة الصحف والمجلات الكبرى، وهاهي اكاديمية غونكور' العريقة التي تحتفل هذا العام بميلادها التسعين، تعلن قبل أيام قليلة (٩٣/١١/٨) عن فوز الرواية المذكورة باشهر الجوائز الأدبية الفرنسية، هكذا اصبح معلوف ثاني كاتب عربي ينال الـ' غونكور' بعد المغربي الطاهر بن جلون الذي كانت الجائزة من نصيبه عام ١٩٨٧ على 'ليلة القدر'.

في "صخرة طانيوس" يلجا امين معلوف الى اسلوبه في تضافر الازمان، وتقديم الاحداث عبر وجهة نظر سلسلة من الرواة. وهو هذه المرة ايضاً يغرف من التاريخ، ويصل الى تاريخ لبنان بعد ان جال في كتبه الأولى على تواريخ عوالم الشرق والغرب القديمة، فرافق "ليون" من غرناطة الى روما مروراً بمصر وافريقيا كلها، وتجول في اواسط آسيا مع عمر الخيام و"الحشاشين"، وتوغل في ادغال العصور القديمة وحضارة ما بين النهرين في "حدائق النور"، وطار الى المستقبل البعيد مع "بياتريس". كل هذه الجولة قادته في نهاية الامر الى قرية صغيرة في الجبل اللبناني... لكنها قادته ايضاً الى عمله الاكثر روائية.

فرواية معلوف الجديدة تذكر بملامح من عالم الالباني اسماعيل كاداري واسلوبه في تضافر الاحداث. انها تنتمي مباشرة الى تلك الروايات الشرقية والاميركية اللاتينية التي ازدهرت في الأونة الاخيرة وجعلت الانسان وتاريخه محوراً لها، في وقت بدا فيه الادب الاوروبي قد فقد روحه وشيئاً كل شيء في العقود الاخيرة. من خلال وصف بسيط هادئ، عرف امين معلوف كيف يرسم سلسلة من الاحداث المتعاقبة، وكيف يرسم ملامح ووجوه ابطال تلك الاحداث، على خلفية ولادة لبنان قبل قرن ونصف القرن من الزمن، يوم كان هذا البلد الصغير يعيش في افق الحكم العثماني ويحاول المصريون استيعابه، وسط صراعات الانكليز والفرنسيين والروس على ارضه. على هذه الخلفية، يفصل امين معلوف مصائر شخصياته القروية ذات السمات الساذجة والطيبة، من الشيخ فرنسيس، الاقطاعي/الاب/الطاغية، الى بولس الى جريس الى جبرائيل، وخاصة الى لميا، تلك الجميلة التي تلد صغيرها طانيوس دون ان يعرف احد ما اذا كان الابن الشرعي لجريس، او الابن غير الشرعي للاقطاعي فرنسيس. والحال ان ولادة طانيوس هي التي سوف تشعل المآسي المتعاقبة، المتصلة مع مآسي لبنان الذي وجد نفسه فجاة ومن دون اي استعداد، يعيش دوامة الصراعات الكبرى.

في نهاية روايته، يجعل امين معلوف بطله طانيوس يختفي هكذا دون ان يعرف احد الى اين ذهب، وتبقى منه حكايته التي يتناقلها اهل الضيعة، ولكن تبقى منه صخرة تحمل اسمه حتى اليوم. صخرة جلس امين معلوف عليها ذات يوم يتامل البحر الواسع، وقرر ان يكتب رواية جديدة، هو الذي اعتاد منذ نحو عشرة اعوام على اصدار رواية جديدة كل عامين.

واليوم حين تجلس الى امين معلوف لتحدثه عن عمله، يصعب عليك انتزاعه من الهموم السياسية والحضارية التي تشغل باله، واستدراجه الى الحديث عن روايته كعمل فني. فامين معلوف يرى، على الارجح، ان الاطار الفني ليس في نهاية الامر الا وسيلة لايصال الرسالة. انها رسالة التعايش والتسامح، اللذين يفتقر اليهما شرقنا، وربما العالم اجمع. كما بينت الاحداث الاخيرة، حاورنا امين معلوف وكان اول سؤال حول المصدر الأساسي الذي املى عليه الرغبة في كتابه "صخرة طانيوس":

من اين اتت هذه الرواية؟ اعتقد من رغبتي في كتابة شيء عن لبنان، عن جو لبنان، وهي رغبة تساورني منذ زمن بعيد. بعد خمسة كتب لم اتعرض في اي منها مباشرة للمادة اللبنانية، اتصور ان رغبة حارة تملكتني، بشكل او بآخر. الحقيقة انني ترددت كثيراً قبل ان اختار المرحلة التي ساتحدث عنها، والشخصيات التي ستملأ الرواية. وفي نهاية الامر وجدت نفسي اعود الى مناخ القرية، المناخ الذي حدثت عنه كثيراً، من قبل اشخاص عديدين. وحسمت امري اخيراً فاتخذت كنقطة انطلاق، حادثة حقيقية وقعت في محيط عائلتنا...

● **في عائلتك نفسها؟**

- تقريباً في عائلتنا. انها عبارة عن جريمة قتل حدثت اوائل القرن التاسع عشر، وفي قريتنا نفسها. طبعاً لست بحاجة لان اقول لك ان اسم الضيعة الذي استخدمه في الرواية مستعار فليس هناك في لبنان قرية اسمها كفريبدا. في الحقيقة ان المكان الذي تم فيه الاغتيال، تاريخياً، يقع بين كفرعقاب والشرعة في منطقة المتن، قرب بسكنتا - صنين. وهو مكان اعرفه جيداً يقع بعد وادي الجماجم. المهم انه بين الحكاية كما حدثت في الواقع التاريخي، والشكل الروائي الذي اتخذته، هناك فارق كبير. الحادثة كانت بالنسبة لي مجرد نقطة انطلاق لا اكثر. فلا بطريرك الرواية هو البطريرك التاريخي، ولا القاتل هو القاتل الحقيقي.

● **حكاية هذه الجريمة، كما وصلتك هي اذاً ما حركك لكتابة الرواية؟**

- ما حركني في الأساس هو حنين يتملكني لتاريخ لبناني معين. لمناخ معين. للبنان جبلي يتمتع بقدر من البساطة والسذاجة والطيبة. واعتقد ان هذا الحنين هو العامل الأساسي الذي دفعني الى كتابة هذه الرواية.

● **انطلقت من حنين معين، وكانت هناك حكاية تاريخية وجدتها امامك، فامتزج حنينك بالحكاية. حسناً، هل يمكنك ان تحدد لنا بالضبط، اللحظة التي صار فيها هذا الحنين، لديك، رغبة ثم مشروع رواية؟**

- الواقع انني منذ زمن بعيد بدات افكر بكتابة شيء عن لبنان. لذلك رحت اراجع كتب التاريخ والدراسات، وابحث بدقة وداب. اما القرار النهائي الذي كتبت على اثره موجزاً اولياً لروايتي هذه، بما في ذلك حكاية لمياء، فاتخذته قبل عامين ونصف. طبعاً تغيرت امور كثيرة بعد ذلك. لكن الرؤيا العامة بقيت نفسها وتطورت التفاصيل بشكل منطقي متسلسل.

الحنين وتضافر الازمنة

● **يخيل لي انطلاقاً من هذا، ان رغبتك في كتابة "صخرة طانيوس" ولدت لديك مع التطورات التي احاطت بلبنان خلال وبعد مؤتمر الطائف، والاحلام التي رافقته في قيام لبنان جديد...**

- لست ادري تماماً. ربما كان هذا صحيحاً، لكن لا اذكر اذا كانت ثمة علاقة بين تلك الظروف السياسية المباشرة، وظهور رغبتي في الكتابة عن لبنان.

● **ربما كان الرابط موجوداً في وعيك الباطني، لكن هذه حكاية اخرى. نأتي الى الرواية نفسها. فهي تقوم على ثلاثة ازمنة مختلفة: زمن الحادثة نفسها، وزمن الراوي الذي يقصها علينا، ثم زمن الكاتب الذي ينقل عن الراوي في عصرنا الحديث. هل لنا ان نعرف كيف اشتغلت تقنياً على الربط بين هذه الازمنة الثلاثة؟**

- هناك ازمنة اخرى في الرواية...

● **صحيح، لكنني اتحدث عن المحاور**

الرئيسية.

- لقد اتى الترابط بين هذه الأزمنة تلقائيا وعفويا. وارجو ان تلاحظ هنا ان الحادثة نفسها لم تقع في التاريخ الذي اعنيه في الرواية، بل قبل ذلك بسنوات عديدة. الحادثة (الجريمة) وقعت سنة ١٨١٢. لكنها في الرواية تقع في العام ١٨٣٨. هناك ربع قرن يفرق بينهما. اتصور ان الفارق في الازمنة يعود الى اني اخترت زمن الرواية لأسباب تتعلق برغبتي في موضعة قصتي في اطار الجو العام الذي ساد لبنان والمنطقة في أربعينات القرن الفائت وحولها... وذلك للوصول الى معان معينة تتعلق بتاريخ البلد. ففي ذلك الزمن بدات الصراعات الكبرى المتعلقة بلبنان. وكنت راغباً في ان اتحدث عن تلك الصراعات وعما قبلها.

● ماذا عن الفارق بين زمن الراوي وزمن الكاتب؟

- شعرت ان عليّ تفادي سرد الاحداث بشكل مباشر. فحتى الضيعة التي تخيلت فيها الاحداث جعلتها مزيجاً من ضيع عدة، فلم تعد هي هي ضيعتي نفسها. صحيح ان كل ما في الرواية مستوحى من امور حقيقية، ولكن ليس هناك اي شيء وصفته كما هو، الاشخاص، الاحداث. في الرواية احداث عديدة حصلت، ولكن في ازمنة اخرى ومع اشخاص آخرين، لكنني استعنت بها. خذ مثلاً حكاية الاضراب عن الطعام. هذه الحادثة حصلت حقاً ضمن عائلتنا وكان ابي نفسه شاهداً عليها فنقلها والحكاية تتعلق بقريب له قال له ابوه ان عليه ان يفعل شيئاً يطعمه خبزاً بدلاً من الذهاب الى المدرسة، فقال الفتى انه لا يريد ان ياكل خبزاً، واضرب عن الطعام. هذه الحكاية التي عايشها ابي بنفسه ورواها لي اثرت فيّ كثيراً، وارتايت ان ادمجها في احداث الرواية.

لقد اعطيتك هذه الحكاية مثلاً لأصل من خلالها الى مسالة الترابط الزمني بين زمن الراوي وزمن الكاتب. هذا الترابط الذي يتكون لدي من ستار رفيع وضعته بين الزمنين.

الأب رمز المجتمع التقليدي

في رواية «صخرة طانيوس» التي رأى فيها العديد من النقاد استعادة لحكاية دخول لبنان العصر الحديث، يقدم لنا معلوف عرضاً للوضع السياسي المحيط بلبنان، بدءاً من القرية وحاكمها المطلق الشيخ فرنسيس، وصولاً الى الباب العالي وصراعات الدول العظمى... وتبدأ الرواية بوصف دقيق ومدهش للشيخ فرنسيس، شيخ الضيعة، اذ يصوره بملامح الأب، الحنون والقاسي في آن، الذي يستغل رعاياه/ابناءه ويحميهم، يذلهم ويدافع عن كرامتهم. ونستعيد هنا دراسة المفكر هشام شرابي للبنية البطريركية في المجتمع العربي. وهذه الصورة للأب التي تستغرق صفحات من «صخرة طانيوس»، دفعتنا الى الخوض مع الكاتب في رؤيته لدور الأب وموقعه في مجتمعنا خاصة انه كمؤرخ وكصحافي يعتبر مراقباً دقيقاً للحياة الاجتماعية في لبنان والعالم العربي

● صورة الأب التي ترسمها بهذه الدقة في الرواية. هل تعتقدها صورة منتمية الى الماضي، ام انها لا تزال تشكل جزءاً من واقعنا... هذا الأب الذي يجمع الطغيان والطيبة في آن؟

- بالنسبة اليّ، صورة الأب هذه التي تتحدث عنها، هي صورة الماضي. وفي هذه النقطة بالذات يهمني ان اعبر عن امر مهم، هذه الصورة ترتبط بحنيني الى الماضي، الحنين الممتزج ببعض التحفظ. لدي حنين معين للماضي على علاّته. وربما لو كان عليّ ان اوجز ما يعنيه هذا الشيخ/الاب بالنسبة اليّ، ساقول انه يرمز الى علل الماضي. انه «كاريكاتور» المجتمع التقليدي، حسنات وسيئات المجتمع التقليدي في آن. هذا المجتمع الذي يدخل عليه العالم الحديث بشكل مباغت. فينتج عن هذا ان المجتمع يدخل في دوامة فيها صراعات ودم، ولا يعرف كيف سيخرج منها. على اي حال، اقول لك انني لم اضع شخصية الشيخ وصورته بقرار. بل جاء في الرواية من تلقائه، كنتاج لتركيبة المجتمع التي صنعته. لم اخطط له، بل ظهر كرمز للمجتمع القديم الذي لم ارغب - اصلاً - في تصويره وسط هالة من الصفات الحسنة. ففي كل الزمن لم تكن الامور كلها جميلة ومريحة. ولكني في الوقت نفسه اشعر انني احن اليه لمجرد ان ما جاء بعده كان اسوا منه بكثير. واصارحك هنا بان هذه الشخصية سارت من تلقائها في قلب الرواية، وعندما راحت اهميتها تتزايد في النص، فهمت ما الذي جعلني اوجدها على هذه الصورة.

● هل نفهم ان الأب/الشيخ كما صورته نابع عن حاجة عضوية، وان حضوره يستجيب لضرورة معينة، في الماضي كما في الحاضر؟

- لو شئت ان تتوغل في تفسير هذا الامر، ربما ساصارحك بان شعوري الخاص في هذا الصدد هو ان المجتمع الذي يقف هذا «الأب» على راسه، ينبغي ان يحل محله شيء آخر. ولكن ليس الشيء الذي حلّ محله عندنا بالفعل. لقد محونا شيئا معينا من تاريخنا كانت له حسناته وسيئاته، متذرعين باطيب النوايا، لنحل محله، نموذجا ينسجم تماماً مع ما هو مطلوب. ولئن كان في روايتي، بهذا المعنى، رسالة معينة، فلا اعتقد ان هذه الرسالة تتلخص في اعادة ذلك الاب بحسناته وسيئاته، ولكن بالتفكير الدقيق في ما حلّ بعده. انه لأمر مشروع بالطبع ان تكون هناك رغبة في ازاحة العالم القديم. وانا شخصياً - ضمن اطار اتجاهي الطبيعي - احب ان اغير العالم القديم، ولكن، في الوقت نفسه، اشعر بالحاجة الى معرفة مسبقة لما سوف يحل مكان العالم القديم. ليس من المعقول ان نعذب وندمر ثلاثة او اربعة اجيال، ثم نكتشف في نهاية الامر، ان ما جعلناه محل القديم، لم يكن احسن منه باي حال من الاحوال.

بعد كل ما حدث في لبنان. وبعد كل ما حدث في العالم، صار يخامرني الشعور باننا ربما كنا دائما بحاجة لازالة العالم القديم، ولكن شرط ان نضع مكانه ما هو افضل فالمهم ان نتقدم الى الامام، لا ان نحطم ما هو قائم وحسب.

الانا والتاريخ

منذ كتابه الأول «الحروب الصليبية كما ينظر اليها العرب»، حاول امين معلوف وبنجاح ان يزاوج بين التاريخ والشكل السردي. فهو في «ليون الافريقي» يرسم لنا لوحة روائية لشخصية تاريخية عاشت بالفعل. في «سمرقند» ينسج علاقات متخيلة بين شخصيات عدة ليس من الضروري لها ان تكون التقت بالفعل تاريخياً (عمر الخيام، الحسن البصري ونظام الملك). وفي «حدائق النور» يرسم صورة ساحرة لحياة وآلام «ماني» احد آلهة عصر ما قبل الاديان، في بلاد ما بين النهرين. بعد ذلك نجده يقفز مرة واحدة الى زمن مستقبلي غير محدد تماماً في روايته ما قبل الاخيرة «القرن الأول بعد بياتريس» ليقدم مرافعة فنية شفافة من اجل حرية المراة. وهنا في روايته الجديدة «صخرة طانيوس» يعود قرابة القرن ونصف القرن الى الوراء لكي يقدم لنا صورة عن حياة الجبل اللبناني وتقلباته في ذلك العهد. عن هذا التوجه خضنا مع الكاتب:

● في اربعة من كتبك، اشتغلت على احداث تنتمي الى الماضي. وتطرقت في رواية اخرى الى المستقبل اللامنظور مستعيضاً به عن الزمن الحاضر. لأنك تتفادى الراهن وتهرب للتعبير عنه الى أطر زمنية اخرى، مستعيراً عناصره الموازية. فهل انت انسان يعيش في ازمنة اخرى، لا في الزمن الحاضر؟

- الحقيقة انني اشعر دائماً باستحالة الكلام عن الزمن الذي اعيش فيه، بشكل مباشر. بل انني اقترب منه بشكل افضل واهدأ حين اضع بيني وبينه مسافة. لكنني حين اكتب، كما لا يخفى عليك، ينتصب امامي شبح الزمن الراهن وتطغى الاوضاع القائمة على كل اهتماماتي. ولهذا تجدني لا اغضب كثيراً حيال ما يقوم به النقاد من اسباغ طابع تفسيري على رواياتي وعلى كتبي الاخرى، وهو ما قد تراه انت انتقاصاً من القيمة الروائية والفنية للعمل. فالحقيقة ان اهتماماتي الرئيسية تنصب بشكل دائم على سؤال يؤرقني وهو: اين نحن؟ والى اين ترانا ذاهبين؟ في اغلب الاحيان اروي وانا استمد مواضيعي والحبكات من الماضي. مرة واحدة -- قد اكررها فيما بعد - لجات الى احتمالات وتصورات المستقبل. وانني لأشعر ان الاسلوب واحد في المرتين. فانا حتى حين حكيت عن المستقبل وضعت شخصا يروي الماضي، والماضي بالنسبة اليه هو المستقبل بالنسبة الينا.

● يقودني هذا الى سؤال اود ان اطرحه عليك منذ زمن بعيد: أنت اين ومن في اعمالك؟ لا اتحدث هنا عن الراوي المباشر الذي يطالعنا في اغلب الاعمال،

- 24 -

بل اتحدث عنك شخصياً، من الذي ينطق باسمك في نصوصك؛ في الرواية الاخيرة هل انت طانيوس، ام انت لمياء، ام انك البطريرك او الشيخ الأب؛

- اعتقد ان الروائي في مرحلة من عمله، يجب ان تكون له حصة في كل شخصية يرسمها، دون ان يكون هناك بالضرورة شخص واحد يتكلم باسمه. ليس لي مندوب شخصي في الرواية. اتصور ان كل الشخصيات التي ذكرتها تمثل بضعا من امور اعيشها وافكر فيها، فانا، في نهاية الامر، انسان خلقت في لبنان وعشت المحنة اللبنانية، عشت صعوبة ان تكون لدي انتماءات مختلفة واتصور انني في مرحلة معينة من حياتي كنت امام اختيار واضح، اختيار داخلي، اما ان انتمي الى فئة، او ان ارفض اي انتماء وأقول انني انتمي الى كل ما تربطني به علاقة عضوية، طائفيا كان ام غير طائفي. المهم ان انتمي اليها جميعاً، لأنها صنعت تاريخ لبنان وتاريخي الخاص. هناك مجموعة كبيرة من العوامل الحضارية والثقافية والدينية كونت هذا المجتمع. اشعر دائماً انني انتمي اليها جميعاً، حتى ولو جازفت بان اكون ممزقاً بين شرق وغرب وشمال وجنوب. انا، على اي حال، في تكويني انتمي الى كل هذه العناصر، لذلك ارفض اي انتماء ضيق. وهذا امر اساسي لدي. الا ترى معي ان الانتماءات الضيقة قد كلفت العالم كثيراً وتكلفه اليوم اكثر؟ ترى الم يحن الوقت لكي يفهم المرء ان عليه ان يخرج من عقلية التقوقع والانتماء الضيق. انني اشعر ان كل فرد منا، كل انسان بالمطلق، هو نقطة التقاء بين لغات مختلفة وحضارات مختلفة وتواريخ مختلفة وأديان مختلفة، وان الفرد كلما تنوعت وتعددت انتماءاته كلما كان اكثر غنى وأكثر قدرة على العطاء. هذا هو اساس كل تفكيري واساس كل كتاباتي. ويمكن لقارئي ان يجده موزعاً في صفحات كتبي وفي افكار شخصياتها.

اهتمامات مرحلية

● **هل يمكن ان نعود مرة اخرى الى مسألة التفسير السائد حالياً لروايتك، «صخرة طانيوس». فهناك من يرى ان الرواية تؤشر وربما بشكل مباشر الى مسألة ولادة لبنان من تاريخه في الماضي، وانك تربطها بولادته الجديدة اليوم. ترى ألا يزعجك ان نطاق اهتمامك، اي انتمائك قد ضاق مع مرور الوقت. ففي «الحروب الصليبية» كان اهتمامك مشرقياً - عربياً بصورة عامة. ثم في «سمرقند» اعطيت الكلام للمثقف الرافض للنظام القائم. اما في «بياتريس»، فتعلن انتماءك الى المرأة كفئة ضعيفة في المجتمع. هذه المرة يبدو انتماؤك محصوراً في ضيعة بالجبل اللبناني، انت الذي تتحدث عن الانتماء المفتوح. فكيف تفسر هذا التضاؤل؛ هل له علاقة بعامل السن، ام بتفاؤل ما بولادة لبنان جديد؛ ام ماذا؛**



أمين معلوف، أين نحن؛ وأين ذاهبون؛ (تصوير طوني الحاج)

- ابداً. انا لا اتعامل مع هذا الموضوع من منطلق حجم المكان الذي يتم فيه الانتماء. ليس من الضروري ان يكون الحديث عن ضيعة اشارة الى ضيق الانتماء. فالمرء يمكنه ان يحكي عن اشياء محصورة ويعبر عن العالم كله. بين رواية وأخرى كنت انتقل من قضية الى قضية حسب اهتماماتي المرحلية. ولكن من الواضح في نهاية الامر، انني في هذه المرحلة لديّ هاجس العودة بعض الشيء الى لبنان لكي اتحدث عن مناخاته. ولدي شعور بان لبنان سيخرج اخيراً من ازمته. فتجربة لبنان، على الرغم من الازمة التي كبلته، هي تجربة رائعة ورائدة. الأساس في لبنان هو التعايش. نحن، صحيح، نعيش في عالم يتراجع فيه التعايش ومع ذلك ليس هناك بديل منه، وبالتالي اتصور انني ولو حكيت عن مجتمع قرية في لبنان، فان فكرة التعايش هي واحدة من اوسع وانبل الافكار التي يمكن التعامل معها اليوم. وأنا عندي ايمان كبير بان ثمة جديداً يولد في لبنان، وفي المنطقة حول لبنان. وهذا امر اساسي بالنسبة اليّ. وأساسي بالنسبة الى العالم. ففي اعتقادي ان دور منطقتنا في العالم دور اساسي جداً. ولا اقول هذا لأنني ابن المنطقة. بل لأن موقعها بين الشرق والغرب، مادياً ومعنويا، موقع اساسي ومحوري. واذا كانت هناك منطقة في العالم بامكانها ان تجد حلولاً للصراعات المتفجرة، فان هذه المنطقة هي منطقتنا بالتحديد. وبامكانك القول انني كتبت الرواية الاخيرة من هذا المنطلق، معتمداً على احساسي بهذا الواقع قبل سنتين، وهو احساس زاد لدي في الآونة الاخيرة.

بين معلوف واسماعيل كاداري

● **في «صخرة طانيوس» يخامرنا الشعور، اكثر من اي وقت مضى، اننا امام عمل روائي حقيقي. فالروائي هنا له الحصة الكبرى، وهي تغلب على لمسات المؤرخ التي عهدناها في السابق...**

- هذا هو شعوري ايضاً.

● **من هم الروائيون الذين تربطك بهم وشائج قربى؛ سبب طرح السؤال هو ملاحظتنا انك تقترب في الرواية الأخيرة من عوالم الالباني اسماعيل كاداري.**

- لست ادري. اكيد هناك علاقة باجواء كاداري. على اي حال لقد حدث لي ان التقيت به مصادفة، في اطار عمل مشترك، في اليوم نفسه، الذي اوصلت فيه مخطوطة "صخرة طانيوس" الى دار النشر، فسالني عما افعل حاليا، فاخبرته عن الرواية وموضوعها بشيء من التفصيل. فعلق على ذلك قائلا اننا، في نهاية الامر ننتمي معا الى العالم نفسه: العالم العثماني، وانه ربما كان لدينا معا حنين معيّن الى زمن مضى. هناك قرابة بيننا بالتاكيد. ولكن من الصعب بالنسبة اليّ ان اقول رايي في هذا. ربما كان القارئ او الناقد اكثر قدرة مني على تلمس وشائج القربى اذا كانت هناك وشائج من هذا النوع. كاداري نفسه قال لي ان عوالم اليوغوسلافي ايفو اندريتش تنتمي ايضا الى عالمنا المشترك.

اين اختفى طانيوس؟-

● **«صخرة طانيوس» تنتهي بشكل مفاجئ، ولكن بشكل قطعي ومن دون نهاية واضحة، تماماً كما كان حكواتية المقاهي ينهون حكاياتهم، على امل استئنافها في اليوم التالي. كيف تفسر هذا القطع وهذه النهاية التي تطرح الاسئلة دون ان تقدم اية اجابة؛**

- الفكرة الأساسية في الرواية، بالنسبة الي، هي حكاية هذا الشاب الذي يتابع الاحداث ويجد نفسه عاجزا عن الاندماج في عالم الضيعة. فيجد نفسه مضطراً للخروج. وعندما يتخذ قراره بالهجرة لا يعود من المهم في نظري ان تعرف ما الذي سوف يؤول اليه مصيره. لا يهمنا الى اين ذهب وكيف ذهب. يهمنا قراره كرد على ما يحدث. النهاية هي خروجه من عالم الرواية، اختفاؤه. هذه هي فكرة الكتاب. حكاية الهجرة ما قبل الهجرة. فاذا كان عليّ ان اواصل سيكون من الضروري ان احكي قصة اخرى لا علاقة لها بالأولى...

● **معنى هذا ان الصفحة الاخيرة من الرواية على الاقل تحمل عنصراً ذاتياً...**

- الصفحة الاخيرة... اجل، بالتاكيد.

● **مثلاً، هناك جواب على سؤالك الذاتي، انت امين معلوف، حول مصيرك وتركك للبلد ذات يوم؛**

- اجل. في الصفحة الاخيرة حين يعتلي الراوي الصخرة التي ما كان له ان يعتليها وينظر امامه فيجد البحر كطريق متاح له. انها حالة ذاتية في نهاية الامر. ■



الحائز على "جائزة غونكور": مشرقي الرؤية فرنسي التعبير ثري الانتماءات

امين معلوف: اللون الواحد عقيم

انها الرواية الوحيدة التي يستوحي فيها امين معلوف عالم القرية اللبنانية. وهي رؤية «صخرة طانيوس» التي استوحاها من قصة رواها له والده الصحافي والاديب الراحل رشدي معلوف. في هذه الرواية يتقابل شاب «لقيط» هو طانيوس، مع البنية الاجتماعية كلها، ويواجه «الامير» وينتهي به المطاف لاحقاً الى احتلال منصب «شيخ» المقاطعة (وفق نظام الحكم الاقطاعي الذي كان سائداً في لبنان في ذلك التاريخ). غير انه «يرحل» بعد ان يخرج من تعقيدات ماضيه و«ينتصر». احداث الرواية ليست الاهم فهي عالم بحدّ ذاته، كما هي روايات امين معلوف والروايات العالمية. وهذا العالم دفع بلجنة «جائزة غونكور» الفرنسية الى منحه هذه الجائزة القيّمة التي تعتبر اهم جائزة فرنسية، لرواية «صخرة طانيوس»، وهي آخر اعماله الروائية عن هذا العالم وعوالم الروائي اللبناني امين معلوف الاخرى، كان هذا اللقاء.

○ في رواياتك الخمس السابقة لا حديث عن لبنان. اما الاخيرة فهي لبنانية استيحاء ومادة واجواء. انها «في قلب لبنان». هل انها رغبة في عودة ما، في مصلحة ما مع الذات ولقاء آخر مع الهوية؟

● ينبغي القول انني لم ابتعد ابداً عن لبنان، حتى في رواياتي السابقة. لم اتحدث عنه مباشرة غير ان اهتماماً معيناً به تملّكني دوماً. ففي كتاباتي ما يشير الى لبنان ومأساته بشكل او بآخر، غير انني احسست في المرحلة الاخيرة بحاجة الى الحديث مباشرة عنه، وربما لان البلد يتعافى في رايي ولو بتدرج، في سياق ما يجري في الشرق الادنى. وهو يستعيد مكانته بين البلدان الاخرى التي تملك شيئاً ما تقدمه للعالم.

لماذا احسست بهذه الحاجة الآن، ليس بوسعي الاجابة. تساءلتُ خصوصاً عن الطريقة التي اتحدث بها. عرضت في ذهني مراحل مختلفة تمثل البلد الى هذا الحد او ذاك، وفي لحظة ما تذكرت قصة رواها لي ابي وحدثت في قريتي وبدت لي وافية في معناها. وهي قصة جريمة حدثت فانطلقت منها غير اني بدلت، بطبيعة الحال، في الاشخاص والمرحلة التاريخية فلم اتوسل الواقع التاريخي الا منطلقاً للرواية.

تحدثت عن لبنان لان اموراً عديدة تشدني الى جذوري وقد عشتها خصوصاً في قريتي. هي ذكريات تطفو على السطح عبر هذه القصة وحنين الى زمن مضى لا يشبه اي زمن آخر، وهو ذو دلالة. انه بداية النزاعات الطائفية في لبنان التي يتوهم الناس انها قامت دوماً عندنا وهو امر غير صحيح. اعتقد ان تعايشاً حقيقياً قام في الجبل على مدى زمن طويل وفي فترة محددة، وتحديداً عام ١٨٣٠، في ظروف التنافس الذي كان قائماً بين محمد علي حاكم مصر والعثمانيين، كما خلال التنافس الآخر الفرنسي - البريطاني الذي تزاوج مع الاول. بعد ذلك، نشب اول نزاع طائفي وهو مؤسف. وقد خلّف آثاراً. رغبت في التذكير بتلك الاجواء بدون ان اقوم بعمل تاريخي.

بلدان سريعة العطب

○ قلت مؤخراً في مقابلة تلفزيونية انك رايت حرب لبنان منذ بدايتها بدون اساس، غير ان روايتك تكشف عن بدايات معينة لهذه الحرب. الم يحن الوقت لرؤية المشكلة اللبنانية بدون تقليصها الى مجرد تدخل قوى اجنبية خارجية عظمى؟

● لست من الذين يعتقدون ان القوى العظمى مسؤولة وحدها عما حدث في لبنان. فهناك وقائع لبنانية لا يمكن اسقاطها. غير انني لا اميل الى الاعتقاد بان وجود مجموعة طوائف او اتنيات او تشكيلات ثقافية - دينية يشكل بحد ذاته مشكلة. اؤمن في اعماق ذاتي ان البلدان القادرة على تقديم شيء ما، هي بالذات البلدان «المتعددة». صحيح انها بلدان سريعة العطب، خصوصاً في اوضاع نزاع خطير كما هي الحال منذ حوالي نصف قرن في الشرق الادنى، غير اني اؤمن ان واقع البلد «المتعدد» قد يبدو مشكلة غير انه في الحقيقة حل. المشكلة تطرح حين يأبى الناس ان يتعايشوا بعضهم مع البعض الآخر. لكن المجتمعات ذات اللون الواحد هي عموماً عقيمة ولا جدوى حقيقية لها على المستوى التاريخي، بل هي احياناً خطيرة.

لقد اجتاز لبنان مشاكل. هذا صحيح. وسوف يجتاز مشاكل اخرى. غير انني على يقين ان النموذج المجتمعي الذي نشهده في لبنان هو النموذج الوحيد المؤهل للحياة في المستقبل. لنتصور الشرق الادنى المقبل والعالم الذي سيأتي ايضاً، سيكونان في مطلق الاحوال

امين معلوف: اول لبناني ينال جائزة «غونكور» الفرنسية العالمية لعام ١٩٩٣

تشكيلاً من مجموعات مختلفة. اذاً، ان لبنان على حق والغلبة في النهاية للتعايش. الارض التي تبدو اليوم وكأن اللعنة حلّت عليها هي في الواقع ارض مباركة برسم الازدهار والرفاهية في يوم مقبل.

مكان تواصل

الا ترى ان هذه الصورة التي ترسمها عن لبنان باعتباره نموذجاً للعالم كله تنطوي على بعض المكابرة والمثالية. وكلتاهما دفعنا ثمنهما غالياً، في الامس كما اليوم، وتبدوان بعيدتي المنال في ظروف المعاناة الراهنة التي يشهدها لبنان؟

● ليس في نيتي رسم صورة مثالية. ما اريد قوله اساساً ان لبنان مكان التقاء في عالم يتجه الى انماط قبلية. لبنان ساحة حرب بشكل خاص على خطوط التماس لان مختلف الحدود الثقافية والدينية تخترق مداه. غير ان الوضع يختلف في عالم انفتاح وتحديث يسعى فيه كل منا الى التواصل فتتقارب العوالم المختلفة. في هذه الحال، يجد لبنان مكانته. في منطق المجابهة بين الغرب المسيحي والشرق المسلم، يتحول لبنان الى ضحية لانه خط الحدود المسحوق بين هذين العالمين. وخلاف ذلك يجعل منه مكاناً للتواصل وجسراً للعبور.

انتماءات...

تقول غالباً انك متعدد الانتماءات اللغوية والثقافية. هل انها طريقة اخرى للقول انك «لبناني»؟

● بعض ما يشكل واقع لبنان وخصوصيته انه ارض لا يتجذر الناس فيها وحسب، بل مكان ينطلقون منه الى العالم. نحن في عالم يحاول البعض فيه سجن الناس في انتماءات ضيقة. وانا اقول ان الانتماءات يجب ان لا تكون حصرية. ان ارغام الناس على اختيار جنسية ما، وثقافة ما ودين ما ولغة ما هو، بشكل او بآخر، تحويل العالم الى واقع قبلي. من جهتي، ارى ذاتي في انتماءاتي كلها وارغب في توسيع هذه الانتماءات ايضاً. عشت في عالمين مختلفين. انتمي الى المسيحية الشرقية، غير اني انتمي في الوقت ذاته الى الاسلام كما الى البحر المتوسط واوروبا، بالاضافة الى انتماء اخر، الى هذا العصر ومشاغله. روايتي الاخيرة لم تصدر بالضرورة عن انسان قادم من هذه الحضارة او تلك، بل عن انسان اخر يعيش نهاية هذا القرن وتشغله عمليات التدخل العلمي في تكوين الجينات وما شابه. كل هذه الانتماءات اعلن انها تخصني واللبناني يجسد الحق في عدة انتماءات وديانات وثقافات.

ما هو نصيب البحث التاريخي والمخطوطات والوقائع الفعلية كما الجانب التخيلي في ما تكتب؟

● الامر يختلف بين رواية واخرى. في «صخرة طانيوس» مجال كبير للتخيل. الرواية بحد ذاتها من صنع الخيال... فكتاب نادر «المكاري» (الذي ينقل الاشخاص والامتعة على البغل) هو ايضاً من صنع الخيال. جبرائيل والراوية لا وجود لهما في الواقع. كل ما في الامر انني استوحيت حدثاً هو مقتل البطريرك ولكن حتى في هذه الحكاية ليس البطريرك الذي اتحدث عنه هو ذاته الذي قُتل منذ مئة عام. والقاتل لا يحمل الاسم نفسه. هناك لفتات معينة الى اشخاص وجدوا فعلاً، لا اكثر.

في رواياتي الاخرى يختلف الامر. في «الحملات الصليبية كما رآها العرب» ليس هناك تخيل. اما في «ليون الافريقي»، فالنقيض هو الحاصل. ومع ذلك استوحيت حياة شخص له وجوده التاريخي ورواية رحلة قام بها. هنا الاحداث الفعلية تحتل مساحة لها شأن غير ان كل شيء، يبقى في إطار التخيل. في «سمرقند» عناصر لا تمتّ الى الوقائع بصلة تامة غير انها بعض الحكايات المعروفة، وقد تناولتها كما يحلو لي مثل العلاقات بين عمر الخيام وحسن الصباح ونظام الملك. في «حديقة الضوء» اردت اعادة تكوين واقع تاريخي بما امكن من الدقة، متوسلاً ما نعرف عن حياة الشخصية وعن الشخصية نفسها اي «ماني».

هناك اذاً اعادة تكوين تاريخية تقف عند حد معين، بمعنى ان العناصر الاساسية لهذا التكوين لا تشكل المساحة الغالبة من الرواية. يبقى ان «القرن الاول قبل بياتريس» هو تخيّل خالص.

روايتك من الماضي ولكنها حافلة باشارات ورموز من الحاضر، كيف هذه الموازاة؟

● في كتاباتي اشارات صغيرة وبعض استعارات. في الحديث المباشر تخبو الوان الحلم وتنعدم الجاذبية. لذلك نرى في الكتاب قصة برسم القراءة تبدأ وتنتهي عبر مراحل يستدعيها الايحاء الرمزي. ليس من الحكمة في رأيي تسمية المكان باسمه الحقيقي كما لو ان احدهم يروي فكاهة ويقول للناس في نهايتها: ينبغي الآن ان تضحكوا. يجب سرد القصة وخلال هذا السرد يختار كل من الناس المحطة التي يرغب في التوقف عندها.

غموض وابهام

تبدو في روايتك مشككاً في دور البعثات الغربية في لبنان حين يبدو القس الانكليزي وكأنه يخون رسالته التربوية حتى يظل وفياً للعرش البريطاني. وفي مكان آخر، نرى الجنود المصريين عاجزين عن الدخول الى مبنى احدى الارساليات، في حين انهم كانوا يسرحون ويمرحون في البلاد كلها؟

Le Rocher de Tanios

roman

Grasset

«صخرة طانيوس»: الرواية الفائزة

● شخصية هذا القس ذات وجوه متعددة. في بعض المواقف نشعر انه يخون رسالته التربوية لمصلحة التاج البريطاني. وفي مواقف اخرى يستعيد هذه الرسالة متجاوزاً مصالح بلاده السياسية. الثابت عموماً مشاركة الارساليات في الحياة اللبنانية كما يبدو في الكتاب. وتجدر الاشارة الى ان حضور القوى العظمى الذي اتخذ في بلادنا اشكالاً مختلفة، اثار في بعض المراحل صدامات. ومن الواضح ان الغموض يلف مجرى الاحداث في تلك الفترة. فاعضاء البعثات التبشيرية لم يأتوا الى الشرق في تلك الايام جنوداً في خدمة القوى العظمى بل استجابة لرؤية حملوها في ذواتهم ولرغبة في تثقيف الفتيان والفتيات واهداء بعضهم الى الدين... كان هناك ايضاً انشداد الى هذه الارض، وكان هناك مغامرون. السياسة لم تكن كل شيء.

في موقف من الكتاب، يواجه طانيوس «اللقيط» الامير الذي تصفه بعبارة «الهرم المرعب». هل انها قراءة اخرى للتاريخ اللبناني لا يبدو فيها الامير بهالة تعظيمية؟

● شخصية الامير في الكتاب تنطوي هي ايضاً على بعض الابهام. يبدو من جهة طاغية لا يأنف من سفك الدماء وفظاً مع رعيته، في حين ينحني امام الاجانب. غير ان هذا الجانب ليس الوحيد القائم. فحين يأتي طانيوس يطلب من هذا الامير ان يرحل، يجيبه: «اردت ان ابقي على شيء ما في البلاد. ولم اكن بوسعي ان افعل شيئاً اخر». في هذا الموقف، نميل الى تفهم وضع الامير وندرك ان ليس من السهل ادارة بلاد في حقبة بهذه القسوة بدون ان تتلطخ يدا الحاكم بالدماء. وهنا يبدو معبراً مثل طانيوس حين يعود الى قريته ويحتل منصب الشيخ، فهو يسلك بالذات الطريق التي سلكها الامير. الامر يعني ان الذي يحتل منصباً مهماً في ذلك الزمن الحرج من التاريخ، يدرك ان اتخاذ القرارات مسألة صعبة وان الانسان قد يتحول بسهولة الى قاتل، وان الشعور بالشفقة قد يدفع الى سفك الدماء وان الخير قد يتحول احياناً الى شر والشر الى خير.

فعل الرحيل

لماذا يغيب طانيوس في نهاية روايتك بدون اي تفسير معقول لغيابه وفي مرحلة حلّ فيها عقد ماضيه وبدت الطريق امامه سالكة؟

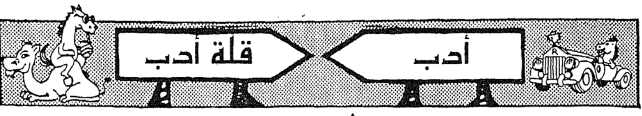
● في وقت ما ينسحب طانيوس من الواقع الذي يعجز عن التعرف على ذاته فيه. يرفض السلطة التي منحوها له. ماذا يحدث بعد؟ اترك لكل انسان مجال التخيل. نادر «المكاري» تصور ان طانيوس صعد على مركب أبحر في اتجاه قبرص ليلتقي فتاة شعرها بلون البرتقال. المهم ان طانيوس اقدم على فعل هو الرحيل.

ماذا يعني لك ان طانيوس «اللقيط» تحول الى بطل يهتف له الناس ويحترمونه؟

● انه يرمز الى كل هذا الاختلاط الذي تتسم به مجموعة السكان في بلادنا. غير ان امة تشبه ايضاً الجبل، «جبلنا الجميل جداً والمثير جداً لرغبات الاحتلال والمتلقي جداً للعنف والاعتداءات».

على مدى الاجيال، تتبدل معاني الكلمات ■

اجرى الحوار: انطوان جوكي



لا كرامة للكاتب أمين معلوف في وطنه!



للمرة الاولى، يحقق كاتب لبناني نجاحا عالميا في مجال الرواية. فلقد فاز الروائي امين معلوف بجائزة «غونكور»، اكبر الجوائز الادبية الفرنسية عن روايته «صخرة طانيوس» الصادرة باللغة الفرنسية عن منشورات Grasset.

... وامين من مواليد ١٩٤٨، وهو نجل الصحافي والأديب الراحل رشدي معلوف، مؤسس جريدة «الصفاء» اليومية اللبنانية.

وقد هاجر من لبنان في العام ١٩٧٦، حين شهد مجزرة عين الرمانة (بيروت) التي راح ضحيتها فلسطينيون امام بيته، وكانت بداية الحرب الأهلية، فقرر الهجرة والاستقرار في باريس.

ولقد وصل الشاب الى العاصمة الفرنسية بلا عمل ولا مورد مالي، ومن دون تخطيط مسبق، فلم يكن يدري اين سيستقر، واين سيعمل، فان همه الوحيد كان الفرار من «اجواء طائفية» قذرة بعدما ايقن بحسه الصحفي ان الحرب الاهلية واقعة لا محالة.

ولم يكن يدري احد من رفاقه انه «موهوب» الى حد الابداع في كتابة الرواية بلغة لامارتين. ذلك ان والده الراحل رشدي كان اديبا مبدعا باللغة العربية. وقد علَّم ابنه امين دقائق هذه اللغة، منذ ان ارغمه على العمل في جريدة «الصفاء» كمصحح طباعي. وكان يقول له: «من يجهل لغته، يجهل تاريخه». «وابدا بالمطبعة... ابدأ من تحت لكي تصعد الى فوق... وتبدأ رحلة العمل الصحفي».

وبالفعل، كتب أمين في «الصفاء» وفي صحف لبنانية اخرى، وهو في العشرين من عمره، ثم مارس العمل الصحفي، وهو على مقاعد الدراسة (علوم سياسية) في جامعة القديس يوسف في بيروت.

وعندما وصل باريس في العام ١٩٧٦، كان يتوقع ان يجد بسهولة عملا في مؤسسة صحفية، في انتظار مرور «العاصفة»... في بيروت وعودة الهدوء اليها. لكن الأزمة استمرت. وها هو امين يقرر التجنس بالجنسية الفرنسية



والبقاء «الى الابد» في باريس.

في العاصمة الفرنسية، كتب في بداية العام ١٩٧٧ في مجلة «المستقبل» اللبنانية التي اصدرها نبيل خوري، ثم في مطبوعات فرنسية كمراسل موفد الى «اماكن الحدث». وقد اثبت براعة جعلت مجلة «جون افريك» الاسبوعية الفرنسية تعرض عليه «رئاسة التحرير»... وهنا اكتشف اصدقاؤه اللبنانيون في باريس انه يجيد كتابة الفرنسية اكثر من ابنائها، وان كان يتحدثها بلكنة لبنانية محببة.

وفي مجلة «جون افريك» الصادرة من باريس باللغة الفرنسية مارس امين معلوف العمل الصحفي بشتى اشكاله والوانه: من كتابة الافتتاحية الى اعداد الريبورتاج السياسي، مرورا بتصحيح المواد قبل ارسالها الى المطبعة. سافر كثيرا. فلم يشأ ان يمارس المهنة من وراء مكتب، وسعى الى اجراء مقابلات وتحقيقات ميدانية. لكنه كان دائما يردد: «العمل الصحفي يتم على وتيرة متسارعة. وانا اهوى ذلك. لكن افضل ليَّ معالجة الاحداث في صيغة روائية تسمح لي بتحليل الواقع وتشريحه انطلاقا من الماضي البعيد احيانا بصورة هادئة».

وقليلون من اصدقائه كانوا يعرفون ان امين يمارس في السر كتابة الرواية كهاو. وقد بدا الاعداد لعمله الاول «الصليبيون كما راهم العرب» في العام ١٩٨٠ ولم ينهه الا بعد ثلاث سنوات.

وفجاة استقال من «جون افريك» وانقطعت اخباره عن الاصدقاء.

Amin Maalouf
Le
Rocher
de
Tanios

roman — Grasset

اعتكف. وتفرغ للبحث التاريخي ولكتابة الرواية. كان يطل بين الحين والآخر من «اذاعة فرنسا الدولية»، او من خلال ندوات او محاضرات عن الشرق الاوسط. لكن امين متحفظ بطبعه لا يحب الظهور في المناسبات الاجتماعية التي يشارك فيها اللبنانيون في باريس، الا فيما ندر. ولذلك، فلم يكن احد منهم يعرف ماذا يفعل امين بالضبط. وكيف يمضي اوقاته. لكن المقربين منه كانوا يعرفون انه قد قرر ان يغامر بالتفرغ لكتابة «الرواية» باللغة الفرنسية بعدما لقيت روايته الأولى نجاحا غير متوقع.

وتعددت اعماله: «ليون الافريقي» (١٩٨٦)، «سمرقند» (١٩٨٨)، «جنائن النور» (١٩٩١)، ثم «صخرة طانيوس». وكلها روايات مستمدة من تاريخ المنطقة القديم. فقد انشغل المؤلف بمراجعة كتب «الف ليلة وليلة»، و«كليلة ودمنة»، والتاريخ العربي الاسلامي واستوحى من هذا التاريخ مواضيع رواياته وشخصياتها «التاريخية».

وللمرة الاولى، يقدم الاديب الى قراء اللغة الفرنسية حكايات التاريخ العربي بلغة روائية مشوقة. وهنا يكمن سر نجاحه.

و«صخرة طانيوس» رواية تدور احداثها في لبنان في القرن التاسع عشر. وهي قصة ولد متنازع النسب بين شيخ القرية الذي وقع في حب لميا، امه، وبين ابيه الشرعي. وقد نعم الفتى بتربية وثقافة احد المرسلين الانكليز الذين كانوا يفدون الى لبنان تحت ذرائع شتى. الا ان الفتى يحاول الزواج من حبيبته، لكن البطريرك الماروني يعترض، مما دفع والد الفتى الشرعي الى قتله والهرب مع ابنه الى قبرص.

والحكاية حقيقية كما تبلغنا كتب التاريخ اللبناني الذي يضيف ان «العملاء» نجحوا في اقتياد القاتل الى لبنان واستصدار حكم باعدامه. ومع ذلك، فان الفتى طانيوس يعود الى قريته ثم لا يلبث ان يختفي بصورة غامضة مشدودا الى الهجرة، تلبية لنداء البحر الذي تقع عليه عيناه عند جلوسه على صخرة...

والرواية تقع في ١٩٠ صفحة. وحصولها على جائزة «غونكور» الادبية الشهيرة يعني فتح باب العالمية امام امين معلوف. ذلك ان العمل الذي يحصل على هذه الجائزة السنوية يبيع اكثر من ٣٠٠ الف نسخة في فرنسا وحدها، وينقل الى لغات اجنبية متعددة، مما يؤمن دخلا صافيا للكاتب في حدود المليون دولار في خلال سنة واحدة. هذا عدا حقوق «الطبعات الشعبية»، والنقل الى الاذاعات او التلفزيون او السينما.

وبحصوله على هذه الجائزة، يتحول امين معلوف الى روائي محترف يمكنه ان يعيش من مدخوله كاديب من دون ان يجد نفسه مرغما على مزاولة اعمال اخرى تسمح له بمداخيل اضافية لتغطية نفقات الاقامة في بلد مثل باريس. واذا كان معلوف هو «العربي» الثاني الذي يحصل على «غونكور» بعد المغربي الطاهر بن جلون، فان هذا الفوز يطرح تساؤلات لا تخلو من المرارة لعل اهمها هذا السؤال الذي يتردد في اوساط الجالية اللبنانية: هل ستكرم الحكومة اللبنانية هذا الكاتب وتمنحه وساما؟

لقد تجاهلت دور النشر اللبنانية كما صحافة بيروت، للأسف، اعمال امين السابقة، ولم تغامر او تقامر بنقلها الى العربية، فهل تعوض الحكومة اللبنانية الآن هذا التقصير وتحتفل بتكريم اول لبناني يخطو خطواته الاولى نحو العالمية؟

أين نحن؟
وأين ترانا ذاهبين؟

في سؤال وجه للكاتب، الاستاذ امين معلوف، ضمن مقابلة اجرتها معه مجلة الوسط في عددها الاخير (١٩٩٣/١١/١٥/٩٤م) بمناسبة منحه جائزة جونكور الادبية، على روايته «صخرة طانيوس».. يقول السؤال (في اربعة من كتبك اشتغلت على احداث تنتمي الى الماضي، وتطرقت في رواية اخرى الى المستقبل اللامنظور مستعيضاً به عن الزمن الحاضر، لانك تتفادى الراهن وتهرب للتعبير عنه الى اطر زمنية اخرى، مستعيراً عناصره الموازية، فهل انت إنسان يعيش في ازمنة اخرى لا في الزمن الحاضر؟)

ويجيب معلوف (الحقيقة انني اشعر دائماً باستحالة الكلام عن الزمن الذي اعيش فيه بشكل مباشر، بل إنني اقترب منه بشكل افضل واهدا حين أضع بيني وبينه مسافة) ويكمل معلوف (الحقيقة ان اهتماماتي الرئيسية تنصب بشكل دائم على سؤال يؤرقني وهو اين نحن؟ وإلى اين ترانا ذاهبين)

ما يطرحه الاستاذ معلوف هنا قضية تكاد تطغى على عصور الفكر والفن ككل، إن عنصر الزمن.. عدم مجابهته حاضرا بحاضر ظاهرة سائدة منذ مسرحيات اليونان وحتى «صخرة طانيوس»، ان الزمن الفني غالباً، بل ربما لا يكاد يكون، إلا ماضياً او تشوفاً مستقبلياً، ولعل ذلك ناتج عن عاملين يحدان من بطولة الزمن الحاضر.

الأول: الحرج في تقرير مواصفات الحاضر، حرج هو مزيج من الخوف ومن الحياء ومن عدم القدرة على توصيف شبه مؤكد لصورة الحاضر. إن الحاضر يعز عن الامساك، ويفلت من التحديد.

الثاني: إن الحاضر، بضغطه المباشر، باثقاله المداهمة، باحداثه اللاهثة، لا يتيح فرصاً للتامل، يقضي على حاسة التخيل لكون الحدث في حينه يصبح اضخم من الخيال.. اي ان الحدث هو الخيال.

وإذاً فالخوف واعاقة الخيال يتدخلان في ذهنية الفنان ويحرفانه اما الى ماضٍ كان أو الى مستقبل قد يكون.

وتكاد تكون مسيرة الفن والابداع هي مسيرة الذاكرة فيما اختزنته من الماضي أو فيما تود الانطلاق منه الى عوالم خارج ما هو كائن: أي الى المستقبل.

ولعل هذا هو ما دفع معلوف الى ان يؤرقه سؤال «اين نحن والى اين ترانا ذاهبين» إنه سؤال يحقق في تفاصيل الماضي كما يحدق في ايماءات الأزمنة القادمة.. إنه سؤال مؤرق بالفعل، لكنه مؤرق ليس للأستاذ المعلوف فحسب وانما لكل فنان ومفكر.. إنه يكاد يكون سؤالاً يطلقه كل معني بامته.. واظن الأمة العربية ككل تردده اكثر من غيرها وإن على لسان مبدعيها امثال ابن معلوف.

امين المعلوف

نزار:
أنا كائن أسطوري

يقول نزار في «متى تصمت العصافير - الحياة - صفحة ١٦ - ١٤١٤/٥/٢٩): «ليس بوسعي ان اجمع ثيابي في حقيبة.. وأغادر بيت الشعر، فانا لا اسكن في شقة مفروشة اسمها الشعر، ولكن الشعر هو الذي يسكنني بموجب عقد ايجار طويل.. طويل لا ينتهي إلا بموت الطرفين» ويضيف: (مشكلة الشاعر انه في المنظور الشعبي كائن اسطوري).

نزار قباني شاعر ادمن قاموسه حتى عاد ماسوراً الى طاحونة التكرار.. كلماته تكاد لا تتبدل ولا تتغير لا يضاف لها او يحذف منها.. استهوته لعبة الاطلاق والتعميم والاستناد الى اللامحدود واللامنظور فالشعر - كما يقول - يسكنه، والشاعر كما يقرر، نيابة عن الشعب: كائن اسطوري.. ونظن ان نزاراً يعرف قبل غيره انه هو من اختار الشعر.. هو من قصد.. هو من ربط مصيره بالشعر.. أعطى له القياد


نزار قباني

وقرر منذ بدا اللهاث خلفه، ان هذا يعني بالذات عكس سكنى الشعر له، هو من افسح للشعر ان يسكن فيه، إنه ليس بالاكراه حدث هذا، ليس رغم الأنف، وانما رغبة عارمة، شوق لاصطحاب الشعر والعيش له.. اختيار وانحياز لشكل فني محدد بوعي وبادراك، تماماً عكس ما يود نزار ان يوهمنا به بانه يقول الشعر رغماً عنه لانه يسكنه ارتداداً لتلك القضية المعروفة قضية «الالهام» او شياطين الشعر، الجدل الذي كان ولم يعد يقبل به احد على علاته لان الشعر ككل فن بحاجة الى ان تذهب اليه ولا ياتي اليك إلا كتهويمات غير مقنعة وغير مدهشة.. إن الشعر والفن جدلية الخيال والصنعة.. معاً يصنعان الدهشة والجمال.

الاشكالية الأخرى، والتي كثيراً ما يحب نزار ان يزف ما يشبهها من تصريحات.. اشكالية الموقف من الشعر والشاعر.. فهو يقرر نيابة عن الشعوب بانها لا ترى الشاعر إلا كائناً اسطورياً.. ولسنا ندري الى اي حد، يجزم نزار، بان هذا هو بالتحديد ما تراه الشعوب في الشاعر.

إن هذا - ربما - ما يود نزار نفسه ان تراه الشعوب في الشاعر.. أي فيه.. أي ان يكون هو كائناً اسطورياً، محاطاً بالرهبة والغموض.. فهل هذا هو واقع الحال؟ إن كل مقاربة لاحاسيس الناس تدلنا على انهم يقفون من الشعراء كما يقفون من كل مشاهير الفنون الاخرى.. مجرد فضول في سماع أو معرفة أو رؤية ما يقال أو ينتج.. لا اساطير ولا خرافة، وانما مجرد تطلع طبيعي لسد حاجات في النفس الانسانية فحسب.

ترى: الى اي مدى سيظل نزار منساقاً مع اطلاقاته وتعميماته والحديث نيابة عن الجمهور، والزعم الدائم بالتفويض والادعاء بأنهم: (خرجوا في مظاهرة، يرفضون تنازلي) من قال هذا؟ انت يانزار؟ ان هذا تضخيم لا طائل من ورائه.

وزير الثقافة اللبناني يحيّي امين معلوف وروايته

□ بيروت - «الحياة»:

■ وجه وزير الثقافة والتعليم العالي اللبناني ميشال اده كلمة الى الكاتب اللبناني امين معلوف هنأه فيها بحصوله على جائزة «غونكور» الفرنسية عن روايته «صخرة طانيوس» وجاء في كلمته:

«ها هو لبنان يتألق مكرماً في جمهورية الآداب. فجائزة غونكور التي كرست اكبر الكتّاب منذ مارسيل بروست تتوج، اليوم، كتابتك واسفارك عبر التاريخ والناس.

«ان عبقرية اسلوبك تنسج، بجملها وعباراتها المتدفقة الكريمة، خيوط الواقع المتداخلة مع حرير الاسطورة والخيال.

«اما الشرق الذي اعدت رسمه، فينساب في اللغة الفرنسية، ليغرس اسماء وأمكنة واجواء تخفق كالاجنحة، وتحمل هذه اللغة صوب آفاق لم تكن لتعهدها.

«قرية كفريبدا التي احببتها بطقوسها ويوميات اهليها تضيء الجذور العميقة لبلاد عريقة، سوف تفتن روايتك لها قراء العالم بأسره. وكم سيكون كبيراً عدد زوار هذه الرواية الذين سوف يرتاحون عند «صخرة طانيوس» المهيبة.

«لقد طافت رواياتك السابقة في مراحل متعددة من تاريخ العلاقة بين لبنان والعالم العربي والشرق عموماً وعالم الغرب، منذ ما قبل «الحروب الصليبية» التي اعدت كتابتها كما رآها العرب. لكن قراءتك الجديدة لهذه العلاقة على مشارف القرن الحادي والعشرين، تنطوي على دعوى مستقبلية من اجل حوار متكافئ بين الثقافات والحضارات، يفسح في المجال امام عالم جديد حقاً، وتبرز في دعوتك هذه موهبة وطننا العريقة وموقعه المضيء في هذا المسار.

فشكراً لك يا كاتب «ليون الافريقي» وسحر «سمرقند» و«حدائق النور» التي تعهدها ماني، وجزيل الشكر على عودتك الى صخرة لبنان الذي لم يغب اصلاً ولا مرة واحدة، في اعمالك السابقة.

«اهنئك بكل حرارة، وادعوك الى زيارة وطنك، في القريب، لنتشارك واياك في تكريم الابداع اللبناني الحاضر دائماً في اغناء ثقافتنا العربية والمسهم في تفتحها في ارجاء العالم».

العربي الثاني بعد الطاهر بن جلون والرواية الفائزة رمز للبنان

باريس: جائزة «غونكور» لرواية أمين معلوف «صخرة طانيوس»

□ باريس - من شربل داغر:

■ فوز الروائي اللبناني أمين معلوف بـ «غونكور» كبرى الجوائز الأدبية الفرنسية، يتوج نجاحاً عرفه هذا الكاتب منذ عمله الأول «الصليبيون كما رآهم العرب» (١٩٨٣)، مروراً برواياته المتتابعة «ليون الأفريقي» (١٩٨٦)، و«سمرقند» (١٩٨٨) و«جنائن النور» (١٩٩١)، لدى القرّاء، بداية، قبل ان يكرسه يوم امس النقاد الفرنسيون.. والى هذا التكريم الأدبي، فللفوز مذاق خاص عند معلوف، بعد ان جعل من لبنان، لأول مرة في نتاجه، موضوعاً لروايته، ومن أحد أفراد عائلته، المدعو «أبو كشك معلوف»، بطلاً لها.

تتحدث الرواية، وهي بعنوان «صخرة طانيوس» (عن دار «غراسيه»)، عن المصير الغامض والساحر لطانيوس معلوف في احدى القرى اللبنانية، في منتصف القرن التاسع عشر، في هذه الرواية، كما في سابقاتها، لا ينسى معلوف الصحافي الذي كان قبل نيف وعشر سنوات، فنجده يستعيد واقعة معروفة، فيعيد كتابتها. الا انه هذه المرة يذهب بعيداً في لعبة «التخفي» هذه، فهو لا يتأخر عن اتباع اسلوب الكتابة في القرن التاسع عشر، مختلقاً عدداً من المخطوطات.

الرواية قصة ولد متنازع النسب بين شيخ القرية الذي وقع في حب لميا، امه، وبين ابيه «الشرعي» نشأة في ظلال الشك، ولكن غنية في آن، لا سيما وان الفتى سينعم بتربية وثقافة قرب احد المرسلين الانكليز. الا ان الفتى لن يستطيع الزواج من حبيبته، بعد حيلة دبرها البطريرك الماروني، ما دفع والده «الشرعي» الى قتل البطريرك، والهرب مع ابنه الى قبرص. حكاية المقتلة هذه وردت في كتب التاريخ والأسر اللبنانية، كما تفيدنا ايضاً ان العملاء سينجحون في اقتياد القاتل الى لبنان، والحكم عليه بالاعدام. واذا كانت الشكوك تحوم حول نسبة طانيوس الى أبيه «الشرعي»، فان لجوء هذا الأخير الى القتل حسم الشكوك هذه تماماً. سيعود طانيوس مع ذلك الى قريته، الا انه لا يلبث أن يختفي في صورة غامضة، مشدوداً الى الهجرة، الى تلبية نداء البحر الذي تقع عليه عيناه عند جلوسه على صخرته: صخرة طانيوس.

اذا كان معلوف يقص في هذه الرواية، تبعاً لعادته، حكاية تاريخية مشوقة، مشبعة بالمعلومات والتفاصيل الدقيقة والغنية، فانه في هذه المرة يذهب أبعد في عملية «الترميز» التي تنهض عليها رواياته. الا تشبه سيرة طانيوس هذه، على خصوصيتها الجميلة، سيرة لبنان نفسها، هذا الوطن «المتنازع» عليه، المتكون في عنف الصراع العائلي، والحائز على رعاية خاصة من الارساليات الاجنبية؟ هل نحمل الرواية ما لا

ISSN 0967-5590

09

9 770967 559118

التتمة في الصفحة (٤)

باريس: جائزة «غونكور» لرواية

تتمة الصفحة الاولى

طاقة لها على حمله، أم انه التاريخ يتكرر؟ الرواية تبدو في عدد من مواضعها، في عدد من شخوصها، قريبة لا بل مطابقة لما عايشه لبنان في سنوات الحرب الأخيرة، سواء في تبين العنف المحلي بين أهله، او مع القوى الدخيلة عليه، لا بل يبدو تصويره لتقلبات القوى المحلية تبعاً لتبدل القوى الخارجية (القوات المصرية في ذلك العهد)، وصفاً لحال القوى اللبنانية في الحرب الأخيرة.

فاز أمين معلوف (٤٤ عاماً) بالجائزة في دورة الاقتراع الثانية بستة أصوات، وهو العربي الثاني الذي ينال «غونكور» بعد الكاتب المغربي الطاهر بن جلون في ١٩٨٧ عن روايته «ليلة القدر». والطريف ان معلوف، بعد بن جلون، يحرم الكاتب الفرنسي انجيلو رينالدي، من الفوز بالجائزة، بعدما ورد اسمه في مقدم المرشحين، في دورتي ١٩٨٧ و١٩٩٣.

ويعيش الوسط الادبي الفرنسي هذه الايام ما يمكن تسميته بـ «حرب الجوائز»، فـ «الاكاديمية الفرنسية» سمحت لنفسها ان تتصدر جائزتها، التي تأسست منذ سنوات معدودة، موسم الجوائز، بعدما جرت العادة على ان تكون «غونكور» اشارة البدء في الموسم. الا ان الأمر انقلب هذه السنة، اذ بادرت «جائزة فيمينا»، يوم الجمعة المنصرم، الى منح جائزتها قبل «غونكور»، ودافعت اللجنة التحكيمية عن خيارها هذا بالقول انها عادت الى ما كانت عليه الحال قبل.. أربعين سنة مضت. ولم يكتف اعضاء اللجنة بهذا الخرق، بل زادوا عليه، اذ جاز القول، فمنحوا جائزتهم لرواية «عين الصمت» (عن دار فلاماريون) للكاتب الفرنسي مارك لامبرون، الذي كانت له حظوظ للفوز بـ «غونكور»، وقد اعتبر غير ناقد أدبي فرنسي، مثل ناقد جريدة «الموند»، ان فوز هذا الكاتب أشبه بـ «العقوبة» له منه بالمكافأة!

يبقى ان نشير في هذا السياق الى «التقدير الخاص» الذي حظيت به الكاتبة

حدث وَطـــني : الـهـراوي يـهــــنئ

أمين معلوف في الدورة الثانية يفوز بجائزة غونكور الادبية ١٩٩٣



امين المعلوف حاملا روايته "صخرة طانيوس" امام المصورين امس عقب اعلان منحه جائزة غونكور في باريس. (اب تيليفوتو)

كأنه حدث وطني حدث، وهو فوز اللبناني امين معلوف بجائزة غونكور الادبية، امس في باريس، تاج الجوائز هناك واهمها. واتصل الرئيس الياس الهراوي بـ"ابن رشدي" وهنأه، وكذلك وزير الثقافة والتعليم العالي ميشال اده الذي من بيروت تحدث عن الفوز وعن الرسالة فيه وعن لبنان الذي نهض وعن نظامنا التربوي وعن موقع بلدنا في المجال الفرنكوفوني.

فاز امين معلوف، الاديب والروائي باللغة الفرنسية، بجائزة غونكور التي اعلنت لجنتها نتائجها، لروايته الاخيرة الصادرة عن دار غراسيه: "صخرة طانيوس". ومعها اعلنت جائزة رينودو ففاز بها نيقولا بريال لروايته "الاجساد السماوية"، عن دار غاليمار.

وامين معلوف كان الذي اختير ليكون في العشر الباقيات من

- التتمة في الصفحة ١٢ -

حــدث وطــني

- تتمة المنشور في الصفحة ١ -

الروايات لدى لجنة غونكور، ثم انتقل الى الروايات الاربع المختارة التي جرى التصويت عليها. وكان نجاحه في الدورة الثانية اذ نال ستة اصوات امام ميشال برودو في روايته: "صديقي بيارو"، عن دار دوسوي، ونال لها صوتين، وفيليب بوسون وصوت واحد في روايته "الوبيز" عن دار غاليمار، وانجلو رينالدي وصوت واحد في روايته: "الايام لا تمضي طويلا"، عن دار غراسيه.

ومن "النهار" الى الزميل السابق معلوف كل التهنئة والتحية، وكل الاعتزاز بمساره الادبي الذي لا يفتأ نجاحه يتكرر، وبالمضمون الذي جعله في روايته، وهو مضمون من بلادنا، من لبنان، من القرن التاسع عشر، وكما قال للتلفزيون الفرنسي، انه على الاقل يقدم لبنان وطنه من خارج اطار الحرب والكوارث، وان يمثله الان عبر الثقافة.

(راجع ص ١٢).

مثقفون يرحبون

رحب المثقفون اللبنانيون امس بفوز الروائي اللبناني امين معلوف بجائزة غونكور الاجنبية لروايته الاخيرة "صخرة طانيوس"، لما في ذلك من اعتراف باهمية هذا الروائي في طرح مشاكل عالمه الشرقي وان باعتماد لغة اجنبية.

وقال الدكتور سهيل ادريس الامين العام لاتحاد الكتاب اللبنانيين لـ "وكالة الصحافة الفرنسية": "نعتز ونفخر بان لبنانيا حاز اكبر جائزة اجنبيه فرنسية في ميدان الرواية". انها "مبادرة تدل على ان لبنان ما زال يحتفظ بحضوره المؤثر على الصعيد الثقافي لا على المستوى العربي وحده وانما كذلك على مستوى الادب المكتوب بلغات اجنبية".

واشار الشاعر انسي الحاج الى انه على رغم موقفه السلبي من الجوائز والمكافآت، فرح كثيراً لامين معلوف. وقال: "جائزة غونكور بما هي جائزة حقيقية تشكل مكافأة لموهبة امين معلوف. وهو يستحق هذه الجائزة ليس فقط لكونه لبنانيا وصديقا وانما لانه كاتب ممتاز بالطفولة الدافئة فيه، بالهدوء، والرقة والشفافية".

وهنأ الروائي الياس خوري امين معلوف لاسباب "اولها انه لبناني وثانيها انه كتب الرواية التاريخية التي تحكي عن قضايا العالم العربي والاسلامي واعاد بذلك وصل سياق الكتابة التاريخية الروائية التي انقطعت بعد موت جرجي زيدان". وذكر بان معلوف هو الكاتب العربي الثاني الذي يفوز بهذه الجائزة بعد الكاتب المغربي الطاهر بن جلون و"يبين ذلك ان الكتاب العرب نجحوا بكسر الطوق المحلي لمخاطبة الوعي الفكري والثقافي في العالم".

ونوه الشاعر بول شاوول بهذه "العبقرية اللبنانية التي رغم كل اهوال الحرب ورغم كل محاولات طمسها بقيت لامعة لانها من تاريخ مميز وخاص". واضاف: "امين معلوف كاتب كبير يعرف كيف يقدم اطروحته الروائية باسلوب وبلغة متميزين، انه كاتب شرقي يختار اشكاليات تاريخية ولا يمكننا ان نصفه انه كاتب فولكلوري فاهميته في مضمون ما يقدمه. ولم ينجذب الى الموقع الغربي في مقاربة المسائل التاريخية الشرقية والعربية واللبنانية التي طرحها".

لئن نال امين معلوف جائزة غونكور الشهيرة ١٩٩٣، فهذا لا يفاجئنا، فكاتب الروايات العدة، والمؤلف باللغة الفرنسية، هو، استطاع ان ينافس اهم الكتاب الفرنسيين ليس لانه لبناني - فرنسي، وليس لانه فرنكوفوني، بل لانه عرف تجسيدا واستلهاما للتراث اللبناني العريق والخرافات والاساطير والخبريات، وانزلها في نمط حياتي يخلط الواقع بالخيال ويوزع هيكلية البشر بين رأس الهرم وعامة الناس، مرورا بنماذج بشرية، لعبت ادوارا تراتبية، عززت سلطة الرأس وجمعت وضمنت استمرارية كل من ينتمي الى فئة في متابعة دوره كما رسم له بحسب الارث والتقليد! و"صخرة طانيوس"، الرواية الفائزة له (عن دار غراسيه - باريس)، حكاية قرية جردية اسمها كفريبدة. احداثها تدور في الربع الثاني من القرن التاسع عشر. ابطالها اسماء قروية لا فلسفة فيها ولا تفرنج. احيانا يحملون القابا ونعوتات فرضتها مواسم او احداث او مناسبات او تصرفات فجاءت متممة للاسم الاساسي او تغلبت عليه واصبحت مرادفة وملتصقة بالشخصية المختارة. وبطل الرواية هنا ابو كشك، يتنازع البطولة مع الحجارة والاشياء والصخور التي تميز قريته عن بقية القرى.

كنا قدمنا الكتاب في مقال نشر في "النهار" في ٧ - ١٠ - ١٩٩٣، وشعرنا انه رواية تتمتع بقوة ومستوى واسلوب وفرادة تستحق التوقف عندها. والقصة لمجموعة من الناس، بل لاسرة بكاملها، تتزاوج، تتعانق، تتخاصم، ترحل، تعود، انها هي النموذج ومن حولها تتآلف الاخبار، تتكون الخلافات، تتكور الاحقاد، تدفن الاسرار وتتفجر الاحداث الكبيرة كلما اهتزت الركائز الاساسية التي تواكب التطورات اليومية في حياة هادئة، سلسة، رتيبة في قناعتها واستسلامها للنمط الاجتماعي والديني الذي يحرك تصرفاتها وينظم علاقاتها ويشرع حقوقها ويفسر ويحدد واجباتها.

اراد امين معلوف ان يضع القرية في واجهة التحركات والاهداف، استعان بالشاعرية والفطرية والسذاجة لدى اهالي الجبل وقولبها في اسلوب بعيد عن التعقيدات اللفظية والجمل الطويلة. اخذ من اللغة اللبنانية المحكية الامثال والحكم والمفردات التي ترتبط ارتباطا وثيقا بعاداتنا وتقاليدنا وطريقة خلطنا الواقع بالخرافة او التكهن او التماس ما هو وراء معاني الكلمات. غالبا يستعمل الجمل القصيرة والمباشرة عندما يتكلم القروي ويلجأ الى الرصانة كلما تكلم الشيخ فرنسيس او البطريرك او الزعماء المحليون. لاحق ابو كشك في صغيراته، رافقه منذ ولادته، وكبرت الصفحات كلما طال شبرا وكبرت طموحاته ومعلوماته وشطارته. فهو رفيق ابنه عند القس الانكليزي، وهو الملهم والواعي والفطن بينما ابن الشيخ كسلان، لا يحب الدراسة ولا الكد. ابوه جريس المتزوج لميا الصبية الجميلة والذي يدير اعمال الشيخ. ولميا الجميلة تعجب الجميع. ولا نعرف عن الشيخ هل استمال لميا وحبلت ووضعت هذا الطفل الموهوب والمميز. وامين معلوف يلمح الى هذه الامكانية لكن العلاقة تبقى ضمن ضبابية مدروسة، لا يمكن ان نتحققها بل نكتفي بالتكهن. والمهم ان جريس يقتل اخيرا البطريرك ويهرب الى قبرص وابنه معه. وتسوء الاوضاع في الجبل. فالامير بشير يزداد شراسة وقساوة، ينجح رجاله في الاحتيال على جريس، فيعود الى الجبل ويدفع حياته ثمن كونه صدق المحتال.

وطانيوس الذي عاد ايضا، يعي ان ما يحصل لا يمكن القبول به. يختار الوحدة، يتردد على الامكنة التي منعتها وحرمتها معتقدات قروية وحملتها مسؤولية اختفاءات وكوارث وفواجع حصلت لمن تجرأ وزارها وقصدها وتمعن في تكاوينها وتجويفاتها. نعرف ان الصخور لها اسماء في القرى. نعرف ايضا ان امين معلوف اراد الابتعاد عن حكاية عادية لاناس عاديين، خدموا الشيخ كما يخدم القندلفت في الكنيسة: ولا نقاش ولا احتجاج، وعاشوا حياتهم كالذين سبقوهم وكالذين من بعدهم، فاختار طانيوس الذكي، والمتوحد، والحالم، والمثالي، ووضعه في بيئة عادية لكنه اعطاه بعدا انسانيا مخالفا لمحيطه فبدا وكأنه نصف جن ونصف انسان، يراعي العقل ويلحق الخيال واذا سلوكاته كأنما نابعة من الاساطير تتممها وتنفصل اكثر واكثر عن الواقع وتسبح في نوع من اللاعقلانية الى حد الاختفاء اخيرا والدخول في كراس الذكريات والابتعاد عن الحياة في خفقانها وايقاعها لانه واكب ودخل عالم التصور والحكايات وتخلى عن جسده الفيزيكي ليتحول الى لا زمن ولا حدود.

لور غريب

أمين معلوف الفائز بجائزة غونكور ١٩٩٣

"صخرة طانيوس": من عندنا الحكاية والمؤلف يدور ويلتقط وينسج الرداء

"حكاية من القرن التاسع عشر".



غلاف الرواية الفائزة.

امين معلوف.

رئيس الجمهورية اتصل به مهنئاً

"مرحلة جديدة لنا من الاشعاع" ورسالة أمل أرادها "ابن رشدي"

باريس – من بشارة غانم البون:

اتصل به رئيس الجمهورية الياس الهراوي ممنئاً، وهو رد شاكراً و"الجائزة التي تلقيتها اليوم اعتبرها هدية للبنان... وأتمنى ان تكون حافزاً للانتماء من الحديث عن مرحلة الكابوس ومدخلاً للبدء بالتكلم عن مرحلة جديدة من الاشعاع الحضاري، والثقافي، والفكري". كلمات لأمين معلوف قالها لـ "النهار" بعيد اعلان منحه ارفع جائزة ادبية فرنسية واشهرها، جائزة غونكور تقديراً لكتابه "صخرة طانيوس".

والقصة من جبل لبنان ايام زمان ارادها "ابن رشدي" ليس فقط "حنيناً الى الماضي الغابر والضائع في ايامه الذهبية بل ايضاً رسالة امل في مستقبل زاهر وشوق لعودة الى لذة الحياة التي كانت تميز العيش الهانىء في القرية اللبنانية".

نجح امين في انتزاع اعجاب اللجنة فمنحته الجائزة في الذكرى التسعين لانشائها باكثرية أصوات اعضائها في دورتها الثانية.

وبذلك يكون معلوف اول كاتب من المشرق العربي ينال هذا التكريم المميز وكان سبقه اليه كاتب من المغرب العربي هو الطاهر بن جلون عام ١٩٨٧. وحامل الجائزة يرى مبيع كتابه يقفز خلال اسابيع الى ٣٠٠ الف نسخة حداً ادنى والى مليون نسخة احياناً.

وكان "الزميل" امين، الذي بقي "اميناً" على سر ابيه رشدي وسيره على خطاه في امتهانه ممنة المتاعب ومن ثم الانتقال الى فن الكتابة، هجر لبنان وحده في بدايتها ومشى على دروب الغربة حاملاً قلمه في يده ووطنه في قلبه.

من الطابق الثالث في جريدة "النهار" في بيروت الى رئاسة تحرير مجلة "جون افريك" في باريس وانتهاء بمجلة "النهار العربي والدولي" وما كان فيها من حنين الى الحبيب الاول استمرت الرحلة بضع سنوات قبل ان يدخل "الصحافي" امين في تجربة جديدة ليستحق بجدارة لقب "الكاتب" ومن ثم "الشهرة" وهو في الرابعة والاربعين.

وخلال مشوار الكتابة الذي مضى عليه اكثر من عشر سنين استعان امين باللغة الفرنسية للكتابة ولجأ الى التاريخ يقتبس منه شخصيات كتبه ومواضيع رواياته.

"صخرة طانيوس" هو الكتاب الخامس والوحيد الذي اتخذ لبنان اطاراً تاريخياً له ورأى معلوف فيه "قصة نموذجية فيها الحنين الى مجموعة من التقاليد العائلية والقروية المفقودة والتي شكلت ثروة الحياة القروية اللبنانية في عهدها الذهبي" وهو وصف خيار اللغة الفرنسية "انتماء حاراً وعلاقة عاطفية" تبناها هو وابناء جيله جسرا للتواصل الفكري والثقافي".

واتصل الرئيس الياس الهراوي ممنئاً باسم الشعب اللبناني وناقلاً اعتزازه وافتخاره ومعتبراً ان تكريم معلوف "وسام" لكل لبناني، فرد امين شاكراً ومعرباً عن الامل "ان تكون الصورة التي التصقت باللبناني خلال سنوات الحرب مضت الى الابد وان تكون حلت محلها الصورة الاصيلة للابداع اللبناني الفكري والثقافي ورسالته الحضارية".



معلوف امس على التلفزيون الفرنسي، القناة الثانية، بعيد اعلانه فائزاً.

وزير الثقافة يرى في الفوز ان لبنان نهض وله موقعه

رأى امس وزير الثقافة والتعليم العالي المحامي ميشال اده ان فوز الروائي اللبناني امين معلوف بجائزة غونكور الادبية لروايته "صخرة طانيوس"، وهي للمرة الاولى لكاتب لبناني، يشكل "حدثا بالغ الاهمية" ويدل على موقع لبنان المميز بين البلدان الناطقة كليا او جزئيا باللغة الفرنسية.

وقال لـ"وكالة الصحافة الفرنسية": "تفهمون تأثري العميق، لانها المرة الاولى يفوز روائي لبناني يكتب باللغة الفرنسية بهذه الجائزة الشهيرة، وذلك يشكل للبنان حدثا بالغ الاهمية. فاذا كان الحصول على هذه الجائزة يعتبر حدثا في فرنسا، فكيف للبنان".

وهذه الجائزة "ليست مجرد مكافأة لامين معلوف على موهبته، وانما كذلك دليل على نهضة لبنان وعلى اهمية موقعه بين البلدان الناطقة كليا او جزئيا باللغة الفرنسية".

وحصول معلوف على هذه الجائزة "دليل على ان النظام التربوي في لبنان الذي يعتمد اضافة الى اللغة العربية الام اللغة الفرنسية كلغة ثانية، قادر على تقديم نتائج مميزة، كما يشكل حافزا يشجع الشباب اللبناني الذي يعتمد هاتين اللغتين".

و"اهنئ معلوف من كل قلبي واهنئ اللبنانيين به".

واشار الى ان كثيرا من اللبنانيين يعتمدون الكتابة باللغة الفرنسية ومنهم جورج شحاده، اندريه شديد، صلاح ستيتيه، ميشال شيحا، جورج قرم وفينوس خوري – غاتا. و"يحكى عن تراجع لحضور اللغة الفرنسية في نظامنا التربوي، ومن الواضح ان ذلك غير صحيح (...) نبذل جهودا كبيرة لنحافظ على مكانة اللغة الفرنسية في نظامنا التربوي والدليل على ذلك توجه معظم اللبنانيين، الذين هربوا من الحرب، تلقائيا الى بلدان فرنكوفونية كفرنسا وبلجيكا وكندا".

ونوه الوزير اده بـ"الجهود التي تبذلها وزارة الثقافة الفرنسية وعلى رأسها الوزير جاك توبون".

وذكر ان رشدي معلوف والد امين، كان من كبار الصحافيين المعروفين في العالم العربي.

ولاحظ ان نيل امين معلوف جائزة غونكور الادبية يأتي قبل ايام من افتتاح مهرجان "القراءة بالفرنسية" في بيروت، والذي يصنف لبنان في "المرتبة الثالثة للبلدان المستوردة للكتاب الفرنسي" بعد بلجيكا وسويسرا وقبل كندا.

—

امين معلوف يقدم روايته الجديدة «سمرقند»:

الشاعر والحاكم والثائر في رحلة مكوكية

بعد عامين من صدور «ليون الأفريقي» ها هو الكاتب اللبناني امين معلوف يخبط من جديد، سالكاً مرة اخرى درب الرواية التاريخية، عبر كتاب جديد ينزل هذا الاسبوع الى المكتبات الفرنسية، بعنوان «سمرقند». هذا الكتاب الذي يقع في ٣٨٠ صفحة من القطع الكبير، والذي كتبه معلوف، كما كُتُبه الاخرى، بالفرنسية وصدر عن منشورات «جان كلود لاتيس»، هو رواية تتحلق من حول شخصية عمر الخيام، صاحب الرباعيات، الفلكي العالم الرياضي المسلم، الذي اكتشفه الغرب اواخر القرن المنصرم فعشقه.. قبل ان يعود لينساه!

في «سمرقند» لا يقدم أمين معلوف سيرة خطية عادية للخيام، بل يرسم عملاً تخيلياً ـ تاريخياً على شكل مسار مكوكي، يتقافز بين الماضي والحاضر، بين السلطة والثورة، بين الشرق والغرب، بين العقل والقلب.. في نص يختلط فيه الخيام بالسواح الاميركيين، بارهابيي الحشاشين، باصلاحيي الدولة السلجوقية، بثوار تبريز في القرن المنصرم، بتجار البازار، برجال المخابرات الاوروبيين والاميركيين، بجنود القوقاز... نص دائري يتحرك من سفينة التيتانيك التي غرقت، الى اسطنبول الى لندن الى سمرقند في حركة دائمة... تنتهي كما تبدأ عبر هدوء وصفاء واشخاص يتأملون الحياة ويتفرسون حكمها هل سيلاقي «سمرقند» نجاحاً يماثل نجاح «ليون الأفريقي»؟ على الأرجح.. نعم، لانه كتاب جميل... ممتع وبسيط رغم دورانه المدوخ.

لمناسبة صدور «سمرقند» التقت «اليوم السابع» أمين معلوف وسألته ان يقدم الكتاب لقرائها عبر حوار ننشره هنا مرفقاً بمقاطع من الرواية، على ان نعود في عدد مقبل لتقديم قراءة لها.

■ **امين معلوف، كيف ولدت لديك فكرة هذا الكتاب الجديد؟**

ـ ولدت الفكرة بشكل مفاجيء، خلال قراءتي لنص كتبته الفرنسية الراحلة مرغريت يورسنار في مجال تعليقها على كتابها عن هادريان، إذ قالت: «هناك فقط وجه تاريخي واحد يغريني بنفس الالحاح الذي يغريني به وجه هادريان، انه عمر الخيام، الشاعر والفلكي». هذه العبارة ليورسنار قراتها منذ فترة طويلة، وربما خلال اشتغالي على «ليون الافريقي» فظلت تشغل بالي... ثم حين انتهيت من كتابة «ليون»... عادت الفكرة تلح بقوة لكني ظللت فترة متردداً ثم اذعنت ورحت ابحث عن عمر الخيام وعن شعره وحياته. وتبين لي بسرعة ان اهم ما عند هذا الرجل ـ اضافة إلى امتلاكه للقدرة على التعبير الحر ـ هو كونه قد عاش خلال القرنين الحادي عشر والثاني عشر، واشتهر خلال حياته كعالم رياضي وفيلسوف وفلكي، اكثر بكثير مما اشتهر كشاعر. بل يمكننا أن نقول ان الخيام لم يعرف على نطاق واسع كشاعر إلا في القرن التاسع عشر حين ترجم إلى الانكليزية وهذا الواقع هو الذي استوقفني: اذ نلاحظ ان ثمة اكثر من سبعة قرون تفصل بين موت الخيام و«عودته الى الحياة»، وهو شيء ندر حدوثه بالنسبة لاي مؤلف من المؤلفين. ومعنى هذا ان حياة الخيام هي بالنسبة الينا حياتان اولاهما خلال القرنين ١١ و١٢ والثانية خلال القرنين ١٩ و٢٠. وهذا الامر سحرني، ولذلك جاء كتابي في قسمين: يدور اولهما في القرنين ١١ و١٢، ويبدأ الثاني في القرن ١٩ لينتهي في قرننا العشرين هذا. وانا اشتغلت على كل من القسمين بشكل مختلف، علماً بأن القسم الأول يدور اساساً في سمرقند، المدينة التي عاش فيها الخيام مرحلة شبابه وكتب اول نصوصه وفي أصفهان، اما القسم الثاني فيدور جزء منه في الغرب، وجزء ثان بين تبريز وطهران.

الشعر حقيقة الشاعر

■ **بمعنى ان الخيام، واكتشاف الغرب لشعره، كانا المفصل الذي ربط لديك القسمين؟**

ـ اجل. المفصل هو ما قمت به من ربط بين الفترتين. كتابي هو قبل اي شيء آخر، حكاية مخطوطة كتبها الخيام خلال حياته.. وبدأ سطورها الأولى في سمرقند.. لذلك حملت اسم «مخطوطة سمرقند»، وهو كان يدون فيها رباعياته اولاً باول. هذه المخطوطة نراها تختفي حين يغزو التتار المدينة، لتظهر من جديد في القرن التاسع عشر. من هنا وجدت ان كتابي يمكنه ان يرتكز إلى هذه المخطوطة التي تجتمع لديها حياة الخيام كانسان، وحياته الثانية كشاعر.

■ **هل تعني بهذا ان حياة الخيام ستبدو لنا اسطورية ان لم يكن هناك وجود للمخطوطة؟**

ـ إلى حد ما.. نعم. فالمخطوطة هي حقيقة الخيام. ولنتذكر هنا انه كانت هناك، على الدوام شكوك قوية حول نسبة الرباعيات الى الخيام. وهناك على الدوام مجموعات عديدة تنسب اليه عشرات، الوف، بشكل يجعلنا، في نهاية الامر، غير قادرين على تحديد ما إذا كانت هذه الرباعية او تلك، من وضع الخيام ام لا.

■ **لكن كتابك عمل روائي في نهاية الامر...**

ـ روائي اجل. لكنه لا يلغي كون ولادة المخطوطة مسألة مهمة تاريخياً.. لأن هذه الولادة ناتجة عن وجود الشكوك التي ذكرتها ووجود المخطوطة يساوي وجود الرباعيات الحقيقية. بيد ان المخطوطة هي ركيزة الرواية لا موضوعها ومسارها. ففي المرحلة الاولى من الرواية، كما في المرحلة الثانية، هناك الرحلة. وتحديداً: الرحلة إلى الشرق وفي الشرق سمرقند، اصفهان، اسطنبول، بلاد فارس وهناك عصران: العصر السلجوقي الذي عاش فيه الخيام، والعصر الحديث...

■ **لنبق عند العصر الأول.. هنا نراك تقترح بان ثمة صداقة وعلاقة قامتا بين عمر الخيام وحسن الصباح ونظام الملك.. فهل اقتراحك هذا ينتمي إلى الواقع التاريخي، ام ينضوي إلى البعد التخييلي؟**

ـ في الحقيقة هناك رواية شبه مؤكدة تقول انهم كانوا اصدقاء، وهي رواية نقلها عدد من المؤرخين، ووردت اشارات اليها في بعض المصادر الاسماعيلية كما نقلها فيتز جيرالد (مترجم الرباعيات إلى الانكليزية) ونقلت عنه. اذن، هناك بالتأكيد معلومات حول علاقة قامت بين الخيام ونظام الملك وحسن الصباح. لكني في الرواية اوغلت في الأمر اكثر، إذ اعطيت صورة روائية، ليست مستحيلة، لامكانية ان تكون قد قامت بينهم صداقة، وربما سجالات وتواطؤ وما شابه. وثمة ما يؤكد لي على اي حال انهم تواجدوا معاً، في العام ١٠٧٥ في وقت واحد في اصفهان. ايامها كانت الخلافة للعباسيين، والحكم للسلاجقة السنّة. وانا اخذت خلفية ذلك العصر وانطلقت من فرضية اللقاء حيث جعلت القسم الأول من الرواية يتمحور حول ثلاثة اشخاص يمثلون وجوها مختلفة من ذلك التاريخ. نظام الملك، رجل دولة من طراز رفيع، ومفكر سياسي، حكم امبراطورية ودوّن نظرته إلى الحكم.. كان مصلحاً وفي بعض الاحيان بطاشاً. كان حاكماً فعلياً لكنه لم يكن حاكماً مطلقاً، إذ كان هناك سلطان قادر على عزله بل وعزله بالفعل. وإلى نظام الملك، هناك حسن الصباح، الثائر على اساس «ديني»، والقائد الذي اسس اهم منظمة سياسية وعسكرية في التاريخ. انه، إذا شئنا ان نستخدم مصطلحات حديثة رائجة، ال الارهابي بامتياز، لكني لست ارى في هذه الكلمة الدقة التي يفرضها البحث التاريخي ولا سيما في مرحلة لم تكن فيها الحدود بين بطش الحاكم وبطش الثائر، هي الحدود بين تصرف السلطة الشرعية وتصرف الفئة الخارجة عنها لقد كان هناك صراع حقيقي بين نظام الملك وحسن الصباح، صراع ادى عملياً الى تدمير الامبراطورية السلجوقية، امبراطورية ملكشاه التي كانت تمتد من الصين الى المتوسط. كان الصراع عنيفاً، صراع جبابرة. وفي خضم هذا الصراع نرى عمر الخيام ـ في الرواية طبعاً ـ وهو يحاول ان يلعب دور «المهدىء»، فيفشل لكن موقفه لم يكن موقفاً خطأ، كان «طريقاً ثالثاً» هو طريق الشاعر والفلكي والعالم. طريق من يرفض العنف، ويبتعد عن السلطة، ويضع في سلم الأولويات الحياة فوق العظمة والجبروت.

رسالة الى العالم

■ **هل تعني بهذا انه انصرف الى الحياة بسبب فشله في منع الإصطدام؟**

ـ هو لم يكن، اصلاً، في حجم يؤهله لمنع الاصطدام.. هو تأثر بالاصطدام ودفع الثمن غالياً، مع انه لم يشأ لنفسه منذ البداية ان يكون صاحب دور سياسي او طموح سياسي بل وجد نفسه، فجأة ورغماً عنه في موضع من يحس ان عليه ان يحاول اصلاح الأوضاع لكنه كان على الدوام بعيداً عن شؤون الحكم والسلطة. بل والأرجح انه كان يشعر باشمئزاز تجاه كل سلطة، كما تجاه كل عنف.

■ **هل تحس، انت مثلاً، ان عمر الخيام كان نقيض ليون الأفريقي، بمعنى ان هذا الاخير لم يفته ان يغوص في السلطة ولو عن طريق العلم والمعرفة، فيما استنكف الأول السلطة ورغب في ملذات الحياة.. مما ادى به إلى اختفاء وفشل؟**

ـ ربما.. لكن المهم هنا هو ان فشل الخيام في منع الصدام داخل العالم الاسلامي، لا يعني ان حياته هو كانت فاشلة. فالخيام، من



امين معلوف.. هي صورتنا في العالم

غلاف «سمرقند».. رائحة آسيا الوسطى

خلال الشعر الذي انتجه، حقق ما لم يستطعه احد غيره. فهو، بعد وفاته بـ ٧٠٠ سنة، اوصل إلى الغرب رسالة كانت من اهم رسائل الشرق إلى الغرب: رسالة حياة وحرية وحب. لأن شعر الخيام كان شعر حياة وحرية وحب. ومن خلال هذه العناصر رسم الخيام صورة للشرق تختلف جذرياً عن الصورة التي تبدو من خلال احداث الشرق الدائمة. الخيام هو الوجه المشرق للشرق. الوجه الذي يرسم للشرق مكانته الحقيقية في الحضارة الانسانية. وليس ادل على ذلك من ان يجد الغربي نفسه مضطرا لاستخدام كلمات الخيام، وهو يبوح لحبيبته بحبه، وأن يستعيد ذكر كلمات الخيام في اجمل لحظات الحياة. انه وجه مشرق، كثيراً ما طمسته الأحداث التي اعتاد العالم على مشاهدتها ومشاهدة الشرق من خلالها.

■ هذا الالحاح على صورة الشرق لدى الغرب، اهو الذي جعلك تسلك في رواياتك سلوكاً مكوكياً يتحرك بين شرق وغرب، وبين ماض وحاضر وبين سلطة ومعارضة؟

- في القسم الأول من الكتاب صراع بين الشرق والشرق. وفي القسم الثاني صراع بين شرق وشرق وكذلك بين شرق وغرب...

■ واضح .. ولكن من ناحية ثانية يخطر للقارىء سؤال: إلى اين تريد ان تسير به. هل الماضي يحكي ذاته هنا، ام يقول اشياء اخرى؟

- في الكتاب، هناك شرق يعيش صراعاته.. او صراعاً له جوانب عديدة، ونحن بامكاننا ان نعتبر ان الصراع الأساسي يقوم بين حسن الصباح ونظام الملك: هذا الأخير يفكر ويبني ما قد نسميه اليوم «الدولة العصرية» يبنيها بحزم وأحياناً ببطش. أما حسن الصباح فانه يقود حركة ذات طابع «ديني» وان كان الدين ليس طابعها الوحيد. وبين الرجلين، يقف الخيام، رجل القلب والعقل، العالم، يقف ليذكر بان الشرق ليس هذا الصراع وحده.. بل انه يتخطى الصراع فكرياً وجمالياً. الخيام يرفض في الوقت نفسه، بطش السلطة وقمعها، كما يرفض بطش الثورة وقمعها. انه رجل الفكر، في المقام الاول، الفكر الحر الذي يكون في العادة أول ضحايا الصراع الذي يقوم دائماً بين امثال نظام الملك، وامثال حسن الصباح...

■ يجرنا هذا إلى اسقاط الماضي على الحاضر..

- انا لم احاول، عمداً، ان اقحم الحاضر في احداث الماضي. طبعاً لم يغب عن فكري ان هناك تشابهاً وتلاقياً بين الماضي والحاضر. لكنني في روايتي لأحداث ماضية حاولت ان افهم تلك الاحداث من الداخل وافهم شخصياتها.. كذلك من الداخل. قد يجد البعض، وقد أجد انا ايضاً شبهاً، متعدد الجوانب، بين ضحية نظام الملك، وشاه ايران الراحل. لكن الشبه محدود. كذلك الشبه محدود بين الحسن الصباح، الثائر الاسماعيلي، وبين الذين يقودون الآن حركة ذات قناع «ديني». يكفي أن نشير مثلاً، إلى ان حسن الصباح ثار، اولاً، على معتقدات أهله، اي معتقدات الشيعة الاثني عشرية، وبالتالي لا يمكن أن تكون هناك مقارنة كلية بينه وبين شخصيات عاشت في بلاد فارس في المرحلة التي باتت فيها الشيعة الاثني عشرية المذهب المهيمن. هناك شبه لكنه محدود جداً. لكنني لن افاجأ ازاء مقارنات سيوردها البعض. بيد أن الحقيقة هي اكثر تعقيداً بكثير مما تبدو وللوهلة الاولى. وحتى ولو كان بامكان المرء أن يستفيد من دروس الماضي، لا بد له من رؤية الماضي كما كان، ومن تفادي ادخاله طرفاً في صراعات الحاضر.

عالم التخوم

■ حسناً.. لننتقل الى موضوع آخر كيف اشتغلت على هذا الكتاب؟

- في المرحلة الأولى حاولت أن اجمع اكبر قدر من المعلومات عن حياة الخيام وعن انتشار الرباعيات في العالم، وهذا ما فرض عليّ تلقي دروس الفارسية.. إلى درجة تسمح لي بالا أنظر إلى الفارسية القديمة كلغة غريبة عني كلياً. بعد تعلم جوانب من اللغة الفارسية القديمة، وبعد جمع المعلومات وبعد شروعي في التفكير الجدي بالمشروع، اكتشفت حكاية طريفة سرعان ما جعلتها منطلقاً اساسياً للكتاب: اكتشفت انه حين غرقت سفينة «التيتانيك» أوائل هذا القرن، كان على متنها نسخة نادرة للرباعيات. والكتب التي تتحدث اليوم عن إعادة اكتشاف التيتانيك تقول ان من بين الاسئلة المطروحة سؤالاً عن امكانية العثور على نسخة الرباعيات. اما انا فقد جعلت من هذه المخطوطة شيئاً آخر: جعلتها النسخة الاصلية للرباعيات، النسخة التي كتبها الخيام بخط يده.

■ من هو الراوي في «سمرقند»؟

- الرواي هو شخص كان على ظهر السفينة وهو الذي يملك المخطوطة. كان هناك، بالفعل، على ظهر التيتانيك شخص حقيقي افترضت أنا انه نجا من الموت، وراح يخبرنا عن المخطوطة التي دون فيها الخيام رباعياته، وعن الهوامش المرفقة فيها، والتي تحكي حكاية المخطوطة وحكاية الخيام. في البداية يبدأ الراوي بحكاية قصة مخطوطته، ثم في النصف الأول من الكتاب يخبرنا بحكاية الخيام من خلال المخطوطة. وحين تنتهي قصة الخيام، يخبرنا الراوي كيف التقى بالمخطوطة. وهو اميركي ينتمي إلى جيل تأثر اهله بشخصية عمر الخيام. بل واسمه الثاني هو «عمر».. لذلك نراه متأثراً بالشخصية، من خلال اكتشافنا له تدريجياً...

■ سواء اكان ذلك في «ليون الافريقي» او في سمرقند، نلاحظ دائماً ان احداث رواياتك تدور على تخوم الأمة، من داخلها إلى الخارج او بالعكس...

- اهجس دائماً بمسألة العلاقة بين الشرق والغرب. ولكن، كل مرة، بشكل مختلف: في كتابي عن الحروب الصليبية هناك صدام الشرق والغرب. وفي «ليون الافريقي» هناك سيرة ليون التي تجمع الشرق بالغرب. صحيح ان كتابي الثالث يهتم اكثر بصدمة الشرق الشرق، لكنه يهتم في الوقت نفسه بصورة الشرق كما يراها الغرب. ولهذا، فيما تلاحظ ان راوي الحكاية في «ليون» هو شخص شرقي، تجد ان الراوي في «سمرقند» شخص غربي. وربما كان السبب الأساسي لهذا الاختيار هو اهتمامي - كما قلت لك - بصورة الشرق عند الغرب، ورغبتي في اظهار جوانب ربما صارت اليوم منسية: جوانب صورة الشرق. وقد يكون عمر الخيام أجمل ما رآه الغرب في الشرق. هناك «الف ليلة وليلة» طبعاً، لكن الخيام كان أجمل .. لأنه كان انساناً حقيقياً.. وصاحب عقل ومعرفة واسعين.

■ بين رحلة ليون من الداخل الى الخارج . ورحلة الخيام من تخوم الامة إلى داخلها... هل لك ان تموضع هذه المسيرة بالنسبة اليك؟

- أنا ابن الشرق.. لكنني نفيت منه بسبب ظروف فرضت علي العيش في الخارج، بل وحتى الكتابة في لغة الخارج وهذا يفرض عليّ، بالضرورة، ان اطرح تساؤلات حول مشكلات الشرق. ان هناك مشكلة اساسية في العلاقة بين الشرق والغرب.. هذا صحيح، ولكن هناك ايضاً مشكلات الشرق نفسه: حرية التعبير، البحث عن الهوية... الخ. هناك تساؤلات يطرحها على نفسه الشرقي منذ عصور عديدة، دون أن يعثر، حتى الآن، على جواب مقنع بتساؤلات مثل كيف لنا ان نبني مجتمعاً حديثاً دون أن نفقد هويتنا؟ تساؤلات دائمة الوجود، وان كان التعبير عنها يختلف بين حين وآخر، بل والالفاظ تختلف. لقد شعرت ان شخصية عمر الخيام وسطرنه إلى هذا الصراع مهمتان اولاً: لأن بمقدور ابن الشرق ان يجد لديه موقفاً مغرياً وحداثياً، موقفاً قد لا يكون هو الحل كله، لكنه قريب من الحل، موقف عدم الخضوع للسلطة، سياسياً كانت او ذات قناع ديني. اذن، لدى الخيام، يجد ابن الشرق بداية موقف، كما يعثر ابن الغرب على صورة للشرق مختلفة.. اقصد ان الغربي الذي يحب الشرق، فعلاً، سيرتاح حين يكتشف ان هناك اسماً/ رمزاً اسمه عمر الخيام.

■ وانت.. إذا بحثنا عنك، اين سنجدك بين شخصيات الرواية واحداثها؟

- ليس هناك ما يمنع من اعتبار الكاتب، البطل الدائم لقصته. وانا اشعر، على اي حال، ان هناك جوانب في «ليون» و«عمر» استعرتها من ذاتي. لكن هناك جوانب اخرى عديدة ادخلتها بصورة موضوعية احتراماً للواقع التاريخي، او لما يشبه الحقيقة التاريخية. يبقى ان اختيار شخص كـ «ليون الافريقي» او كـ «عمر الخيام» انما يعبر، في نهاية التحليل عن حد ادنى من الانسجام مع هاتين الشخصيتين. لكن هناك فارقاً اساسياً في التعامل لليون في «ليون الافريقي» كان هو راوي الحكاية. اما عمر فليس هو الراوية في «سمرقند». الراوي هنا شخص يقف خارج هذا العالم، وعنده نظرة تاتي في معظم الاحيان مجردة.. وهو لا يخوض، عاطفياً، الصراعات التي يرويها. على اي حال، لا يخلو الامر من تشابه ما بين الراوي والمروي عنه . وبين الراوي والمروي عنه والكاتب. ورغم هذا التشابه احاول ان اضع دائماً مسافة بيني وبين الاحداث.. احاول ان اروي بعقل بارد.

■ في هذه الرواية، على عكس ما في «ليون» وما في «الحروب الصليبية» اجدك اقل اقتراباً من التاريخ، اكثر اقتراباً من الرواية . حتى ولو كانت الرواية التاريخية .

- هذا صحيح، لكني اعتقد مع هذا ان التاريخ لايزال شديد الحضور...

■ في كتابك التالي . هل ستمعن في الاقتراب من الرواية اكثر واكثر؟

- ربما.. مع انني لا اعرف بعد اي اتجاه سوف اسلك بعد «سمرقند». انا عندي، في الحقيقة، رغبة كبيرة بالابتعاد اكثر واكثر عن التاريخ. واعتقد ان «سمرقند» تحوي من القسط التاريخي اكثر مما كنت اريد بكثير، رغم ان الراوي فيها خيالي، وبعض مفاصل الاحداث خيالية.

■ في كتابتك عن صدمة الشرق/ الغرب. اتيت حتى الآن على الحروب الصليبية. وعلى ليون الذي بدا من الشرق واصلاً الى الغرب، واليوم تصل الى عمر الخيام الذي ايقظ في الغرب حساً استشراقياً هائلاً .. في هذه المسيرة ذاتها تنقصك الحملة البونابرتية؟

- لست مخطئاً في هذا فالحال ان حملة نابوليون تهمني كثيراً تهمني لكونها ملحمة في علاقة الشرق بالغرب، ولكونها اثرت على بدايات النهضة. للحظة تخيلت انني ساكتب رواية عن تلك الحملة، لكنني بعد ان فرغت من كتابة «الحملات الصليبية» شعرت انه لم يعد بامكاني ان اعود لرواية قصة حملات غربية من هذا النوع كذلك كانت لدي فكرة مشروع عن ابن بطوطة

■ سؤال اخير روايتك الجديدة عن «عمر الخيام» فلماذا اخترت لها اسم «سمرقند»؟

- لم يأت الامر صدفة اذ في الحقيقة هناك اسطورة قديمة عن ملك في سمرقند حاول ان يهرب من الموت فبنى قصراً تحت الارض املا في ان يعجز الموت عن الوصول اليه وفي سبيل ذلك سد كل النافذ لكن الموت وصل رغم ذلك في النهاية. لقد اعجبني هذا الرمز ورمز سمرقند كله خاصة وان اسم سمرقند هو رمز لسحر الشرق والصدفة جعلت الخيام يكتب اول كتاباته في سمرقند

(حاوره ابراهيم العريس)

«سمرقند» لأمين معلوف: مقاطع من فصول مختلفة

«... ومع هذا، كان على النهار ان يكون نهار احتفالات، كما يحدث لدى كل زيارة يقوم بها السلطان الى سمرقند، بيد ان السرور سرعان ما انطفأ منذ الدقائق الاول. والخان، بعد ان صعد الطريق المدملزة التي تصعد من نهر سياب، دخل دخولاً جللاً من باب بخارى الواقع شمالي المدينة. كان يبتسم ابتسامة عريضة تملأ وجهه، وكانت عيناه الصغيرتان تبدوان اكثر غوصاً من اي وقت مضى، اما وجنتاه، فكانتا تشعان بانعكاسات الشمس العنبرية. ثم، بغتة، انقلب مزاجه. اقترب من حوالي مائتين من الاعيان اجتمعوا من حول القاضي ابي طاهر، ووجه ناحية المجموعة التي انضم اليها عمر الخيام، نظرة مدققة، قلقة، وكأنها نظرة شك...» (ص ٣٧).

«وهكذا، سرعان ما صار حسن الصباح معاون الوزير الاكبر الذي لا يستغنى عنه. ونجح في ان يمركز شبكة من العملاء تضم تجاراً مزيفين ودراويش مزيفين، وحجاجاً مزيفين، يذرعون الامبراطورية السلجوقية، غير موفرين من نشاط آذانهم، اي قصر، او منزل او قعر سوق. وراحت المؤامرات والاشاعات والدسائس، تتنقل اخبارها اولاً بأول وتعرض مساراتها وتفشل، بأسلوب متكتم ومثالي» (ص ٤٨).

«وفي يوم كان فيه الخيام جالساً في غرفته كعادته، وعلى ركبتيه كتاب «الشفاء» لابن سينا مفتوحاً على فصل عنوانه «الواحد والعدد»، احس عمر بألم اخرس يتملكه. فوضع مسواكه الذهبي الذي كان ممسكاً به، بين صفحات الكتاب ليعلم الى اين وصل، وغلق الكتاب، ودعا اهله لكي يملي عليهم وصيته. ثم اقام صلاة انهاها بالكلمات التالية: «يا الهي.. انت تدري انني سعيت بكل ما لدي من قدرة لكي اراك. فاغفر لي اذا كانت معرفتي فيك، طريقي الوحيدة اليك» (ص: ١٨٥).

«عند المساء، في بازار تبريز، ظلت حوانيت قليلة مشرعة الأبواب، لكن الشوارع كانت تغص بالحركة، وكان الرجال يتسامرون عند المنعطفات، في حلقات الكراسي القصبية، وحلقات القاليان، التي راحت رائحتها تطرد روائح النهار قليلاً فقليلاً. ورحت احث خطاي لاحقاً بهوارد الذي راح ينحرف من زقاق الى آخر من دون نظرة تردد. ومن وقت لآخر، كان يتوقف لكي يحيي اهل تلميذ له.. وفي كل مكان راح يعبره، كان الصبية يوقفون لعبهم مفسحين له الممر.. ووصلنا في النهاية امام باب كبير اكله الصدأ. دفع رفيقي الباب فاجتزنا حديقة صغيرة معشوشبة، حتى وصلنا الى منزل من الطين. وباب المنزل سرعان ما فتح بعد سبع دقات، وهو يطلق ازيزاً. ليطل على غرفة فسيحة اضاءها صف من المصابيح المعلقة في السقف حيث راح الهواء العابر يهزها دون انقطاع...» (ص ٢٩١).

conteur inspiré

Trois hommes pour un étrange rendez-vous dans les jardins ensorcelés de Samarcande

Du poète persan Omar Kayyam nous connaissons bien peu de chose. Il est né en 1050 à Nichàpour, il fut un astronome célèbre, un mathématicien, un philosophe, et il inventa un nouveau calendrier. A ses moments perdus, il se dégourdissait les doigts en composant des quatrains, les *Robaiyat* : amoureux du vin et des femmes, insensible aux séductions de l'arrière-monde, Omar Kayyam y disait, dans des vers lumineux, la beauté désespérée des choses. Au dix-neuvième siècle, l'Occident découvre les *Robaiyat* et s'émerveille.

Pour le reste, sa vie est un songe. Elle est embrouillée de légendes. L'une de celles-ci prétend que le poète connut deux hommes aussi extraordinaires que lui : le premier fut le vizir Nizam-el-Molk, un ministre sage, modeste et dont le seul souci était de mettre un ordre relatif dans la maison disloquée des hommes. L'autre s'appelait Hassan Sabbah, qui deviendra l'un des plus sombres fanatiques de l'histoire en créant l'ordre des Assassins.

Légende ou vérité, comment ne pas être fasciné par la rencontre de ces trois hommes : Omar Kayyam, l'adorateur de la vie, Hassan Sabbah, le servant de la mort, Nizam-el-Molk, l'ordonnateur de la Cité. Amin Maalouf n'a pas résisté à la tentation d'écouter cette fable et il a fourré dans le même sac les trois personnages pour voir un peu ce qui allait se passer. Plaisir de romancier, mais plaisir légitime. Maalouf n'a pas eu besoin de forcer beaucoup la vérité : Nizam-el-Molk et Omar Kayyam se sont, en effet, connus, puisque le vizir fit construire un observatoire pour le poète. Quant au futur maître des Assassins, il rôdait, c'est vrai, dans ces parages en l'année 1074.

L'Orient fragile d'Omar Kayyam

Amin Maalouf s'est donc borné à organiser un rendez-vous à Samarcande. Les trois hommes répondent à son appel, ils se rencontrent, ils font un bout de chemin ensemble, mais ce chemin est bref car leurs voies bifurquent : Hassan Sabbah va grimper dans une montagne et dépêcher des tueurs perfectionnés dans tout le royaume. Une de leurs premières victimes sera, précisément, le vizir Nizam-el-Molk. Omar Kayyam, lui, sera ballotté ici et là, au gré de ses désirs et de ses tendresses, il refusera toutes les gloires que les sultans lui proposent. Il préfère le vin et les femmes, le soleil et les nuits à l'or ou au pouvoir. Astrologue fastueux ou proscrit, vagabond ou ivrogne, il n'habitera jamais d'autre lieu que son propre poème.

Ce sujet est superbe. Il est également périlleux. On avait à craindre que l'auteur ne déballe la pacotille de l'orientalisme littéraire, n'accumule des tonnes de pierreries, des litres de parfum, des régiments de houris et des douzaines de lampes d'Aladin, mais Maalouf, conteur inspiré, a retenu les leçons d'Omar



Kayyam. Son texte est léger, il fait des bruits de ruisseau, il a des odeurs de vent, de sable. Point de pittoresque et pas d'éloquence. L'Orient fragile d'Omar Kayyam, miraculeusement, tremble sous nos yeux.

Du génie oriental, Maalouf n'a retenu que ses plus belles performances : l'art de conter et le goût de multiplier les événements. Il entrelace des dizaines d'histoires, au point de nous égarer, comme par jeu : entre ces vizirs et ces cadis, entre ces sérails et ces « divans », comment ne perdrions-nous pas le fil d'Ariane, parfois, mais quel plaisir aussi de s'égarer dans pareil labyrinthe !

Face à Omar Kayyam grimace la figure du maître des Assassins (les *Assasiyoun*, ceux qui sont fidèles au *Assas*, au « fondement » de la foi) né à Kom et ce nom, en 1988, nous est déplorablement familier. Hassan Sabbah est un personnage héroïque. Il ensanglante la terre.

Il s'empare d'une forteresse dans la montagne, à 6 000 pieds de hauteur, Alamout (« La leçon des aigles »). Là, il crée un couvent de la mort, dans lequel il forme des hommes programmés pour tuer au nom du bien, les « fidaïs ». Mais, Hassan ne plaisante pas avec le meurtre. Il n'est pas question de tuer n'importe comment : le vendredi, durant les prières, le tueur pénètre dans la mosquée. Il poignarde sa victime et ne s'enfuit pas. Il attend que la foule le dépèce. Il est calme, il est heureux, car *« mourir est plus important que tuer »*, et le martyre ouvre le ciel. C'est ainsi que Hassan monte la machine à tuer la plus redoutable de tous les temps, et cette machine va survivre à son inventeur, elle fonctionnera sans à-coups durant cent soixante-six ans.

Il va de soi que le maître des Assassins n'est pas un homme vulgaire : austère et dévoué, perdu en prières, capable de décapiter ses propres enfants pour une peccadille, propre, chaste et vertueux, cet homme est parfait : il est le modèle absolu de tous ces fanatiques de la pureté, qui, au nom de l'idéal, ou de la vérité, ou du Bon Dieu, ont fait de l'histoire un cauchemar.

Les roses, le bon vin et le corps des femmes

Face à cet assassin vertueux, comme il est rafraîchissant le cher Omar Kayyam ! La vertu ne l'étouffe pas. Il ne fut pas un croyant intrépide. En guise de prière, il contemplait les roses. Il aimait le bon vin, le corps des femmes, l'inutile beauté des vergers, il était triste et il nous disait le bonheur et les tendresses du monde. Il ne s'occupait guère du salut de ses contemporains, il préférait les aimer.

— Amin Maalouf a cru bon d'ajouter à son beau récit un long appendice qui nous transporte, sans crier gare, au vingtième siècle. Il nous raconte que le manuscrit d'Omar Kayyam après avoir été conservé par la secte des Assassins a subi d'infinies tribulations, après que les Mongols eurent détruit Samarcande. Aux dernières nouvelles, le précieux manuscrit se trouvait à bord du *Titanic* quand un iceberg envoie celui-ci par le fond en 1912, de sorte que les calligraphies de Kayyam reposent dans les abîmes. Cette rêverie politico-policière ne manque pas de charme, je l'ai lue cependant avec un peu de distraction : je n'avais pas envie de quitter les jardins ensorcelés de Samarcande.

GILLES LAPOUGE.

★ SAMARCANDE, d'Amin Maalouf, Lattès, 376 p., 95 F.

Amin Maalouf :
tout l'Orient d'hier

« Samarcande », d'Amin Maalouf (Lattès, 95 F)

● Amin Maalouf possède un vrai talent de conteur. Mêlant l'histoire à l'imaginaire, il sait, pour le plus grand bonheur du lecteur, faire revivre l'Orient d'hier à travers les aventures de ses personnages. Après « Léon l'Africain », qui contait l'errance d'un Arabe d'Andalousie, chassé par les souverains de la très catholique Espagne au Maghreb et au Moyen-Orient, c'est, cette fois, pour l'essentiel en Perse que se déroule l'histoire de « Samarcande ».

Le « fil rouge » du récit, c'est un manuscrit unique, celui dans lequel le poète Omar Khayyam avait, en l'an mil, calligraphié ses « Robayates », courts poèmes d'une pure beauté dans lesquels il chantait la vigne et le vin, la tolérance et la vie.

« Samarcande » c'est aussi l'histoire de ce poète, qui fut un astrologue et un philosophe, à la fois homme de science et humaniste dans une Perse déjà déchirée par les affrontements religieux. De la cour à l'exil, Omar Khayyam côtoiera les grands d'alors, comme celui qui deviendra leur ennemi numéro un : le fondateur de la célèbre secte des Assassins, la première des grandes organisations chiites, qui, de son repaire d'Alamut, commanditait au nom d'un certain islam assassinats et attentats.

Commencé dans la légendaire Samarcade, le manuscrit échouera


UP

Amin Maalouf : à lire pour le plaisir

dans la bibliothèque d'Alamut. Amin Maalouf imagine qu'ensuite, sauvé de l'incendie qui détruira la bibliothèque de la secte des Assassins, il sera retrouvé, quelques siècles plus tard, par un Américain amoureux de l'Orient et d'une princesse perse, alors que l'Orient connaît de nouveaux soubresauts et la Perse un court printemps.

L'Américain emportera aux Etats-Unis sa princesse et le précieux manuscrit. Mais il les perdra l'une et l'autre. La première disparaîtra peu après avoir débarqué dans le Nouveau Monde. Le second sera englouti par l'océan en même temps que le « Titanic ». La sagesse et le fanatisme qui s'affrontent aujourd'hui encore dans cet « Orient compliqué » dont Amin Maalouf sait merveilleusement recréer les parfums sont au cœur de ce roman. Mais « Samarcande », c'est d'abord un récit d'aventures, à lire pour le plaisir.

Dominique LAGARDE

chands était descendu du la citadelle, précédé de porte-flambeau qui se dispersèrent dans la ville pour annoncer : « Selon un décret de Sa Royale Majesté le sultan, son abolis les taxes mensuelles et hebdomadaires et tous les impôts indirects sans exception, y compris les droits sur les moulins du Caire. »

Le sultan était décidé coûte que coûte à attirer sur son œil la miséricorde du Très-Haut. Il ordonna de rassembler dans l'hippodrome tous les chômeurs de la capitale, hommes et femmes, et leur fit l'aumône de deux pièces d'un demi-fadda chacun, soit une dépense totale de quatre cents dinars. Il fit également distribuer trois mille dinars aux pauvres, surtout à ceux qui habitaient la mosquée al-Azhar ainsi que les monuments mortuaires de la Karafa.

A la suite de ces mesures, Kansoh convoqua à nouveau les cadis et leur demanda de faire dire dans toutes les mosquées du pays des prières ardentes pour la guérison de l'œil auguste. Seuls trois magistrats purent répondre à l'appel ; le quatrième, le cadi malékite, devait enterrer ce jour-là deux de ses jeunes enfants victimes de la peste.

Si le sultan tenait tant à ces prières, c'est qu'il avait fini par accepter qu'on l'opère, ce qui eut lieu, à sa demande, un vendredi, juste après la prière de midi. Il garda sa chambre jusqu'au vendredi suivant. Alors il se rendit aux tribunes d'Achrafiah, fit venir les prisonniers retenus dans les quatre maisons d'arrêt, dans le donjon de la citadelle ainsi que dans l'Arkana, la prison du palais royal, et signa un grand nombre d'élargissements, surtout de ses familiers tombés en disgrâce. Le plus célèbre bénéficiaire de l'auguste clémence fut le maître barbier Kamaleddin, dont le nom fit très vite le tour du Caire, suscitant maints commentaires ironiques.

Beau garçon, Kamaleddîn avait longtemps été le favori du sultan. L'après-midi, il lui massait la plante des pieds pour le faire dormir. Jusqu'au jour où, le souverain ayant été atteint d'une inflammation des bourses qui avait nécessité des saignées, ce barbier en avait répandu la nouvelle à travers la ville avec force détails, s'attirant le courroux de son maître.

Désormais, il était pardonné. Non seulement il était pardonné, mais le sultan s'excusait même de l'avoir maltraité et lui demandait, puisque tel était son vice, d'aller raconter par toute la ville que l'œil auguste était guéri. En fait, les paupières étaient encore recouvertes d'un bandage, mais le souverain se sentait assez vigoureux pour reprendre ses audiences. D'autant que survenaient des événements d'un gravité exceptionnelle. Il venait en effet de recevoir, l'un après l'autre, un envoyé du chérif de La Mecque et un ambassadeur hindou arrivés quelques jours plus tôt dans la capitale pour l'entretenir du même problème : les Portugais venaient d'occuper l'île de Kamaran, ils contrôlaient fermement l'entrée de la mer Rouge et avaient débarqué des troupes sur la côte du Yémen. Le chérif craignait qu'ils ne s'attaquent aux convois des pèlerins d'Égypte qui avaient l'habitude de passer par les ports de Yanbouh et Djeddah, désormais directement menacés. L'émissaire hindou était venu quant à lui en grande pompe, accompagné de deux énormes éléphants caparaçonnés de velours rouge ; il était surtout préoccupé du commerce entre les Indes et l'empire mamelouk subitement interrompu par l'invasion portugaise.

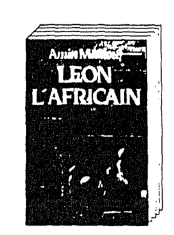
Le sultan se dit très affecté, observant que les astres devaient être particulièrement défavorables aux musulmans cette année-là, puisque dans le même temps survenaient la peste, la menace sur les Lieux saints et sa propre maladie. Il ordonna à l'inspecteur des greniers, l'émir Khuchkadam, de raccompagner l'émissaire hindou en cortège jusqu'à Djeddah, puis de s'y installer afin d'organiser un service de renseignements sur les intentions des Portugais ; il promit éalement d'armer une flotte et de la conduire lui-même si Dieu lui prêtait santé.

Ce n'est pas avant le mois de *chaabane* que l'on vit Kansoh arborer à nouveau sa pesante *noria*. On comprit alors qu'il était définitivement guéri et la cité reçut l'ordre de pavoiser. Une procession fut organisée, en tête de laquelle marchaient les quatre médecins royaux, vêtus de pelisses de velours rouge garnies de zibeline, cadeau du souverain reconnaissant. Les hauts fonctionnaires portaient tous des écharpes de soie jaune et aux fenêtres des rues traversées par le cortège pendaient des tissus de même couleur en signe de réjouissance. Les grands cadis avaient orné leurs portes de mousselines brochées et parsemées de grains d'ambre, les timbales résonnaient dans la citadelle. Le couvre-feu ayant été levé, la musique et les chants retentirent au coucher du soleil dans tous les coins de la ville. Puis, quand la nuit fut bien noire, des feux d'artifice jaillirent au bord de l'eau, accueillis par des acclamations frénétiques.

A cette occasion, dans la liesse générale, j'eus soudain l'irrépressible envie de m'habiller à l'égyptienne. Je quittai donc mes vêtements de Fassi, que je rangeai consciencieusement pour le jour où je repartirais, puis j'enfilai un robe étroite à rayures vertes, cousue sur la poitrine puis évasée jusqu'au sol. Aux pieds, je mis des sandales à l'ancienne. Sur ma tête, j'enroulai un large turban en crêpe indien. Et c'est ainsi accoutré que je fis venir un âne, sur lequel je me mis à trôner au milieu de ma rue, entouré de mille voisins, pour suivre les festivités.

Je sentais que cette ville était mienne et j'en éprouvais un immense bien-être. En quelques mois j'étais devenu un véritable notable cairote. J'avais mon ânier, mon fruitier, mon parfumeur, mon orfèvre, mon papetier, des affaires prospères, des relations au palais et une maison sur le Nil.

Je croyais avoir atteint l'oasis des sources fraîches.



« J'étais devenu un véritable notable cairote. J'avais mon ânier, mon fruitier, mon parfumeur, mon orfèvre, mon papetier, des relations au palais et une maison. »

démie. Sa paupière tombait. Bientôt elle se referma si complètement qu'il devait la relever avec son doigt pour lancer le moindre regard. Son médecin diagnostiqua un ptôsis et prescrivit une incision.

Mon interlocuteur venait de m'offrir un gobelet de sirop de rose et me proposa de m'asseoir sur une caisse en bois, ce que je fis. Autour de nous, plus aucun attroupement. L'histoire reprit :

— Comme le monarque refusait catégoriquement, son médecin amena devant lui un officier supérieur, commandant de mille, atteint du même mal, et l'opéra séance tenante. L'homme revint une semaine plus tard montrer un œil complètement rétabli.

Inutilement. Le sultan, disait mon conteur, préféra faire appel à une guérisseuse turque qui promit de le soigner sans chirurgie, rien qu'en lui appliquant une pommade à base de poudre d'acier. Après trois jours de traitement, le mal s'était étendu à l'œil droit. Le vieux sultan ne sortait plus, ne traitait plus aucune affaire, ne parvenait même plus à porter sur la tête sa *noria*, la lourde coiffure à longues cornes qu'avaient adoptée les derniers souverains mamelouks d'Égypte. Si bien que ses propres officiers, convaincus qu'il allait bientôt perdre la vue, s'étaient mis à lui chercher un successeur.

La veille même de mon arrivée au Caire, des rumeurs de complot emplissaient la ville. Elles étaient naturellement parvenues aux oreilles du sultan, qui avait décrété un couvre-feu du crépuscule à l'aube.

— C'est pourquoi, termina le vendeur de sirop en me désignant le soleil à l'horizon, si ta maison est éloignée tu ferais bien de courir, parce que dans sept degrés toute personne trouvée dans les rues sera flagellée en public jusqu'au sang.

Sept degrés, c'était moins d'une demi-heure. Je regardai autour de moi. Il n'y avait plus que des soldats, à tous les coins de rues, qui lorgnaient nerveusement du côté du couchant. N'osant ni courir ni demander mon chemin de peur de paraître suspect, je me contentai de longer le fleuve, pressant le pas et espérant que la maison serait aisément reconnaissable.

Deux soldats venaient à ma rencontre, pas et regards inquisiteurs, lorsque je vis un sentier à ma droite. Je m'y engageai sans un instant de réflexion, avec la curieuse impression de l'avoir pratiqué chaque jour de ma vie.

J'étais chez moi. Le jardinier était assis à terre devant la porte, le visage figé. Je le saluai d'un geste et sortis ostensiblement mes clés. Sans un mot, il s'écarta pour me laisser entrer, ne paraissant nullement surpris de voir un inconnu pénétrer ainsi dans la demeure de son maître. Mon assurance l'avait rassuré. Me sentant tout de même obligé de lui expliquer la raison de ma présence, j'exhibai de ma poche l'acte signé par le copte. L'homme ne le regarda pas. Ne sachant pas lire, il me fit confiance, reprit sa place et ne bougea plus.

Le lendemain, quand je sortis, il était encore au même endroit, sans que je puisse savoir s'il y avait passé la nuit ou s'il avait repris sa faction à l'aube. Je fis quelques pas dans ma rue, qui me sembla fort animée. Mais tous les passants me regardaient. Bien que je fusse habitué à ce désagrément que connaissent tous les voyageurs, je sentais néanmoins une insistance inhabituelle, que je mis sur le compte de mon accoutrement maghrébin. Mais ce n'était pas cela. Un fruitier quitta son échoppe pour venir me prodiguer conseil :

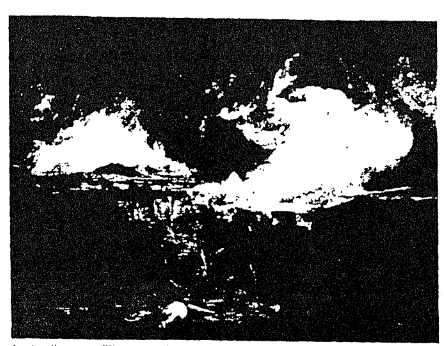
— Les gens sont étonnés de voir un homme de ta qualité se déplacer humblement à pied dans la poussière.

Sans attendre de réponse, il héla un ânier qui m'offrit une bête majestueuse, garnie d'une belle couverture, et me laissa un jeune garçon en guise d'estafier.

Monté de la sorte, je fis le tour de la vieille ville, m'arrêtant surtout à la célèbre mosquée d'Amr et au souk des étoffes, avant de pousser une pointe en direction du nouveau Caire d'où je revins la tête chargée de chuchotements. Désormais, cette promenade serait quotidienne, plus ou moins longue selon mon humeur et mes occupations, mais toujours fructueuse. Car je rencontrais des notables, des officiers, des fonctionnaires du palais, je faisais des affaires. Dès le premier mois, je m'arrangeai pour placer dans une caravane de chameaux, affrétée par des commerçants maghrébins, un chargement de crêpe indien et d'épices à l'adresse d'un marchand juif de Tlemcen. A ma demande, il me renvoya un coffret d'ambre de Messa.

Entre deux affaires, je recueillais des confidences. C'est ainsi que j'appris, une semaine après mon arrivée, que le sultan était désormais dans de meilleures dispositions. Persuadé que sa maladie était un châtiment du Très-Haut, il avait convoqué les quatre grands cadis d'Égypte, représentant les quatre rites de la Foi, pour leur reprocher de l'avoir laissé commettre tant de crimes sans l'avoir réprimandé. Il avait, dit-on, éclaté en sanglots devant les magistrats qui en étaient restés médusés : le sultan était en effet un homme imposant, très grand et très corpulent, avec un majestueuse barbe arrondie. Jurant qu'il regrettait amèrement son comportement à l'égard du vieux calife, il avait promis de réparer sans délai le mal qu'il avait causé. Et, séance tenante, il avait dicté, à l'intention du pontife déchu, un message qu'il avait fait porter sur-le-champ par le commandant de la citadelle. Le billet était ainsi libellé : *Je t'apporte le salut du sultan, qui se recommande à tes prières. Il dégage sa responsabilité de la conduite qu'il a tenu à ton égard et serait désireux de n pas encourir tes reproches. Il n'a p. su résister à une mauvaise impulsion*

Le jour même, le prévôt des m



La cinquième peste d'Egypte par Turner (1775-1851). Indianapolis Museum. (Edimédia)

revint s'accroupir à mes côtés. Tout en écrivant, il s'enquérait de mon nom, de mes surnoms, de ma qualité, en parut satisfait et me remit, en même temps que le document, un trousseau de clés dont il m'indiqua la répartition. Enfin il m'expliqua, en termes précis, où retrouver la maison et comment la reconnaître.

— C'est une bâtisse blanche, entourée de palmiers et de sycomores. Elle se trouve sur une petite élévation, à l'extrême nord de la vieille ville, directement sur le Nil. J'y ai laissé un jardinier qui sera à ton service.

Je n'en étais que plus impatient d'arriver à destination. Je demandai à mon interlocuteur quand on pourrait espérer la fin de la peste.

— Les épidémies précédentes se sont toutes terminées avant le début de *mésori*.

Je le priai de répéter ce dernier mot, que je croyais avoir mal entendu. Il eut un sourire bienveillant.

— *Mésori* est, dans l'année copte, le mois où culmine la crue des eaux.

Je murmurai :

— L'Égypte a bien du mérite d'être musulmane quand le Nil et la peste suivent encore le calendrier des pharaons.

A sa manière de baisser les yeux, à son sourire confus, je compris que lui-même n'était pas musulman. Il s'affaira aussitôt :

— Il se fait tard. Je crois que nous devrions hisser les voiles.

S'adressant à l'un de ses enfants, qui tournait inlassablement autour d'un palmier, il cria :

— Sesostris, remonte dans la barque, nous partons !

Il me serra une dernière fois la main, non sans ajouter sur un ton embarrassé :

— Il y a dans la maison une croix et une icône. Si elles t'offensent, tu peux les décrocher et les ranger dans un coffre jusqu'à mon retour.

Je lui promis qu'au contraire rien ne serait déplacé et le remerciai pour son extrême attention.

Pendant que je conversais avec ce copte, les mariniers s'étaient mis à l'écart, gesticulant avec animation. Dès que mon bienfaiteur se fut éloigné, ils vinrent m'annoncer, sur un ton solennel, leur décision de partir dès le lendemain pour la capitale. Ils n'ignoraient pas, bien qu'ils fussent tous musulmans, que la peste ne disparaîtrait pas avant *mésori*. Mais d'autres raisons les poussaient.

— L'homme a dit que le prix des denrées a subitement augmenté. C'est le moment d'aller au vieux port, de vendre notre cargaison et de rentrer enfin chez nous.

Je ne songeai pas à protester. J'étais moi-même comme un amant las de dormir nuit après nuit à quelques brasses de l'objet de ses désirs.

Enfin Le Caire ! Dans nulle autre cité on n'oublie aussi vite qu'on est étranger. A peine arrivé, le voyageur est happé par le tourbillon des rumeurs, des anecdotes, des moues bavardes. Cent inconnus l'abordent, lui chuchotent à l'oreille, le prennent à témoin, le poussent par l'épaule pour mieux le provoquer aux jurons ou aux rires qu'ils attendent. Désormais il est dans la confidence, il tient le bout d'une fabuleuse histoire, il lui faut connaître la suite, dût-il rester jusqu'à la caravane suivante, jusqu'à la prochaine fête, jusqu'à la saison des crues. Mais, déjà, une autre histoire est commencée.

Cette année-là, lorsque je débarquai épuisé et hagard à un mille de ma nouvelle demeure, toute la ville, pourtant meurtrie par la peste, se gaussait sans retenue de « l'œil auguste », celui du monarque s'entend. Le premier vendeur de sirop, devinant mon ignorance et s'en délectant, se fit un devoir de m'éclairer toutes affaires cessantes, éloignant d'un geste dédaigneux ses clients assoiffés. Le récit que me firent plus tard notables et marchands ne différait en rien de celui de cet homme.

— Tout a débuté, me dit-il, par une entrevue orageuse entre le sultan Kansoh et le calife.

Ce calife était un vieil homme irréprochable qui vivait paisiblement dans son harem. Le sultan l'avait rudoyé et avait exigé de lui qu'il se démît, prétextant que sa vue baissait, qu'il était déjà quasiment aveugle de son œil gauche et que sa signature sur les décrets était toute barbouillée. Kansoh voulait apparemment faire peur au prince des croyants pour lui extorquer quelques dizaines de milliers de dinars en échange de son maintien dans ses fonctions. Mais le vieil homme ne s'était pas prêté au jeu. Il avait pris un papier glacé et rédigé sans trembler son acte d'abdication en faveur de son fils.

L'affaire se serait arrêtée là, une injustice de plus qu'on aurait bientôt oubliée, si, quelque temps après, le sultan lui-même n'avait senti, un matin, une douleur à son œil gauche. Cela se passait deux mois avant mon arrivée, au moment où la peste était la plus meurtrière. Mais le souverain se désintéressait maintenant de l'épi-

« Pour se préserver de la peste le sultan décida de porter au doigt deux bagues de rubis ; il décréta aussi l'interdiction du vin et du haschisch. »

début de cette année-là, au lendemain d'une violente tempête et de pluies torrentielles, signes évidents pour tous les Cairotes de la colère du Ciel et de l'imminence d'un châtiment. Les enfants avaient été touchés en premier, et les notables évacuaient leurs familles à la hâte, les uns vers Tor, au sud du Sinaï, où l'air est salubre, d'autres vers les oasis, d'autres encore vers la haute Égypte quand ils y avaient une résidence. D'innombrables embarcations nous croisèrent bientôt, pitoyables grappes de fugitifs.

Il aurait été imprudent d'aller plus loin avant de connaître l'extension du mal. Nous accostâmes donc sur la rive orientale, en un lieu désert, décidés à rester le temps qu'il faudrait, nous nourrissant des marchandises transportées, changeant chaque nuit d'emplacement pour dérouter d'éventuels pillards. Cinq à six fois par jour nous allions aux nouvelles, ramant jusqu'au voisinage de ceux qui remontaient le Nil pour les interroger. L'épidémie ravageait la capitale. Chaque jour, on dénombrait cinquante, soixante, cent décès sur les registres d'état civil ; or l'on savait d'expérience qu'il fallait compter dix fois plus de morts non déclarées. Chaque embarcation rapportait un nouveau chiffre, toujours précis, souvent accompagné d'explications qui ne souffraient nulle discussion. Ainsi, le lundi des Pâques chrétiennes, la terre avait tremblé trois fois ; dès le lendemain, on enregistrait deux cent soixante-quatorze décès. Le vendredi suivant, survint une averse de grêle, inouïe pour la saison ; on dénombra le jour même trois cent soixante-cinq morts. Sur conseil de son médecin, le sultan d'Égypte, un vieux mamelouk circassien du non de Kansoh, décida, pour se préserver de la peste, de porter aux doigts deux bagues de rubis ; il décréta aussi l'interdiction du vin et du haschisch ainsi que du commerce des prostituées. Dans tous les quartiers de la ville, de nouveaux bassins furent aménagés pour la toilette mortuaire.

Bien entendu, les victimes n'étaient plus toutes des enfants et des domestiques. Soldats et officiers commençaient à succomber par centaines. Et le sultan se dépêcha d'annoncer qu'il hériterait lui-même de leur équipement. Il ordonna de mettre aux arrêts les veuves de tous les militaires décédés jusqu'à ce qu'elles aient livré à l'arsenal une épée incrustée d'argent, une cotte de mailles, un casque, un carquois, ainsi que deux chevaux ou leur contre-valeur. En outre, estimant que la population du Caire avait sensiblement diminué du fait de l'épidémie, et qu'elle allait se réduire davantage, Kansoh décida de prélever sur la nouvelle moisson une importante quantité de blé qu'il envoya aussitôt à Damas et Alep, où il pourrait la vendre trois fois plus cher. Du jour au lendemain, le prix du pain et de la farine augmenta démesurément.

Lorsque, peu après l'annonce de ces décisions, le sultan quitta sa citadelle et traversa la ville pour aller inspecter la coûteuse reconstruction du collège qui devait porter son nom, qu'il avait dessiné lui-même et dont la coupole venait de se fissurer pour la troisième fois, la population de la capitale le conspua. Des cris parvenaient à ses oreilles : « Que Dieu fasse périr ceux qui affament les musulmans ! » Au retour, le souverain évita de traverser le quartier populaire de Bab Zuwaila, il préféra rejoindre la citadelle par des rues moins grouillantes.

Ces nouvelles nous furent rapportées par un jeune commerçant riche et lettré qui, fuyant la capitale avec sa famille sur sa barque privée, accosta quelques heures près de nous avant de poursuivre sa route. D'emblée, il se prit d'amitié pour moi, s'enquit de mon pays et de mes derniers voyages, et ses questions étaient plus lourdes de savoir que mes réponses. Quand je ramenai la conversation à l'Égypte, il me confia d'une voix sereine :

— Heureusement que les monarques vont parfois trop loin, sinon ils ne tomberaient jamais.

Avant d'ajouter, les yeux pétillants :

— La folie des princes est la sagesse du Destin.

Je croyais avoir compris :

— C'est bientôt l'insurrection, n'est-ce pas ?

— Ce mot n'est pas de chez nous. Il est vrai qu'en temps d'épidémie les gens des rues se montrent courageux, la puissance du sultan paraissant bien frêle face à celle du Très-Haut qui fauche les militaires par régiments entiers. Mais dans les maisons il n'y a pas la moindre arme, à peine quelque couteau pour couper le fromage. Quand vient l'heure des bouleversements, c'est toujours un mamelouk circassien qui en remplace un autre.

Avant de partir, le commerçant me fit une proposition inattendue que j'acceptai avec gratitude, bien que je n'en eusse pas, sur le moment, mesuré toute la générosité.

— Je vais m'installer quelques mois à Assyout, ma ville natale, et je ne voudrais pas que ma maison du Caire reste aussi longtemps abandonnée. Je serais honoré si tu pouvais y habiter en mon absence.

Comme j'esquissais un double mouvement de remerciement et de refus, il me prit par le poignet :

— Ce c'est pas une faveur que je te fais, noble voyageur, car, si ma maison demeurait sans maître, elle serait la proie des pillards, surtout en ces temps difficiles. En acceptant, tu m'obligerais et du résoudrais un problème qui me préoccupe.

Dans ces conditions, je ne pouvais qu'aquiescer. Il poursuivit, du ton confiant d'un homme qui a longtemps mûri sa décision :

— Je vais te rédiger un acte certifiant que tu peux jouir de ma propriété jusqu'à mon retour.

Il alla prendre dans sa barque papier, calame et encrier, puis il

AMIN MAALOUF

Léon l'Africain

Authentique géographe du XVI[e] siècle, Léon l'Africain débarque au Caire. Touchée par une épidémie de peste, la glorieuse capitale égyptienne est bruissante de rumeurs qui courent sur le Nil. Et l'on entend beaucoup murmurer à propos du sultan.

L'EXTRAIT



uand je suis arrivé au Caire, mon fils, elle était depuis des siècles déjà la prestigieuse capitale d'un empire, et le siège d'un califat. Quand je l'ai quittée, elle n'était plus qu'un chef-lieu de province. Jamais, sans doute, elle ne retrouvera sa gloire passée.

Dieu a voulu que je sois témoin de cette déchéance, ainsi que des fléaux qui l'ont précédée. Je voguais encore sur le Nil, rêvant d'aventures et de joyeuses conquêtes, lorsque le malheur est venu s'annoncer. Mais je n'avais pas encore appris à le respecter, ni à déchiffrer ses messages.

Étendu paresseusement dans la vaste djerme, la tête légèrement relevée sur une traverse de bois, bercé par le bavardage des mariniers qui se fondait avec harmonie dans le clapotement de l'eau, j'observais le soleil, déjà rougeâtre, qui allait disparaître dans trois heures sur la rive africaine.

— Demain à l'aube, nous serons à Misr-la-Vieille, me cria un nègre de l'équipage.

Je lui répondis par un sourire aussi étalé que le sien. Désormais, plus aucun obstacle ne me séparait du Caire. Je n'avais plus qu'à me laisser porter par l'écoulement inexorable du temps et du Nil.

J'étais sur le point de m'assoupir lorsque les voix des mariniers s'élevèrent, leur conversation s'anima. Me redressant, je vis une djerme qui remontait le fleuve et arrivait tout juste à notre hauteur. Il me fallut un long moment pour discerner ce qu'il y avait d'étrange dans cette embarcation que je n'avais pas vue approcher. De belles femmes, richement habillées, y étaient entassées avec leurs enfants, l'air ahuri, au milieu de centaines de moutons dont l'odeur parvenait jusqu'à moi. Certaines portaient sur le front des bijoux en guirlandes, et sur la tête des coiffes hautes et étroites en forme de tuyau.

Il suffit parfois d'un spectacle insolite pour qu'un drame se révèle. Les mariniers vinrent à moi en procession, mines allongées et paumes levées vers le ciel. Un long silence. Puis, des lèvres du plus âgé, un mot sortit en rampant.

— La peste !

L'épidémie s'était déclarée dès !.

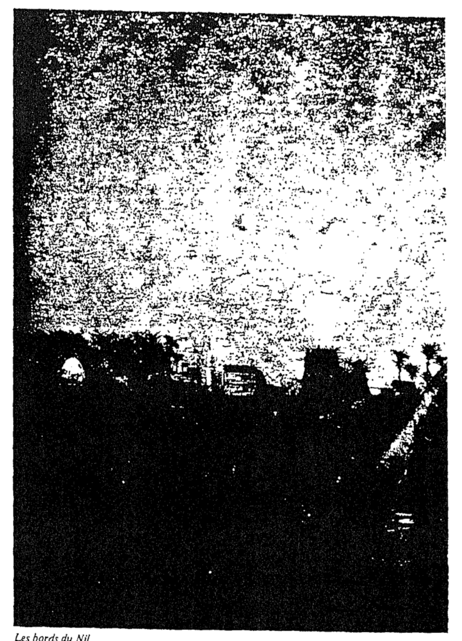
LE LIVRE

LÉON L'AFRICAIN : un nom composite qui reflète bien la destinée de cet homme hors du commun, représentant de plusieurs civilisations, voyageur et savant, diplomate, grand reporter avant la lettre. Tout au long de sa vie, un même schéma se répète : la découverte de capitales et de cultures florissantes, vouées sous ses yeux à la ruine. Grenade, sa ville natale, est reprise aux Maures par les Espagnols en 1492 (il a alors trois ans). Tombouctou brûle. Le Caire est dévastée par la peste et la conquête ottomane. Rome saccagée par des lansquenets luthériens à la solde de Charles Quint.

Le séjour romain est peut-être le chapitre le plus exotique de cette étrange existence : Hassan al-Wazzan — véritable nom de Léon — y arrive captif en 1519, enlevé à son retour du rituel pèlerinage à La Mecque par un pirate sicilien. Qui l'offre en cadeau au pape Léon X de Médicis, grande figure de la Renaissance. Frappé par la personnalité de son « esclave » autant que par son expérience d'ambassadeur, celui-ci s'empresse de le libérer, le baptise et l'adopte en lui donnant son propre nom, avant de l'instituer professeur d'arabe au Vatican. Toujours prêt à s'adapter aux événements, Hassan-Léon devient une figure de la vie romaine, écrit de nombreux ouvrages, dont une Description de l'Afrique *toujours considérée comme une référence essentielle. Après le sac de Rome, on perd sa trace.*

C'est grâce à une note de bas de page dans un ouvrage d'érudition qu'Amin Maalouf, journaliste libanais, auteur remarqué de Croisades vues par les Arabes *(Lattès 1983), a découvert Léon l'Africain. Ses recherches pour en apprendre davantage sur le personnage s'étant révélées peu fructueuses, il a décidé de combler lui-même cette lacune. Il a dû se sentir d'autant plus à l'aise qu'il a trouvé en Léon un héros selon son cœur, curieux et tolérant, homme de culture et d'aventure. Mêlant adroitement les textes authentiques d'al-Wazzan à sa propre inspiration romanesque, Maalouf donne à son premier roman historique des allures de conte oriental. Une belle réussite.*

Léon l'Africain, par Amin Maalouf, 363 p., Jean-Claude Lattès.

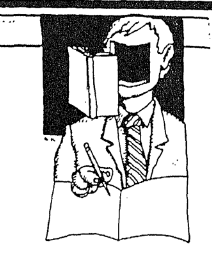


Les bords du Nil peints par Narcisse Berchère (1819-1891). Coll. part. (Photo Edimédia).

Le Prix des Maisons de la presse

Le Prix des Maisons de la presse 1988, attribué par le Syndicat national des dépositaires de presse, présidé par Gérard Boissin, et les Editions Jean-Claude Lattès, a couronné Amin Maalouf, pour son roman « Samarcande » (Editions Jean-Claude Lattès). La manifestation s'est déroulée sous la présidence d'Alain Gründ, président du Syndicat national de l'édition.

NOTES DE LECTURE



LE MANUSCRIT DE SAMARCANDE

Quel merveilleux conteur qu'Amin Maalouf ! Son troisième livre après «les croisages» et «Léon l'Africain», «Samarcande» (1) est supérieur à ce dernier qui fit son succès. Cette fois il nous transporte en Asie centrale et en Perse sur les traces d'Omar Khayyam d'abord, de son recueil de «robaiyates» ensuite. Deux parties distinctes dans ce livre, dont, après en avoir refermé la dernière page, à regret, on ne sait finalement laquelle préférer.

C'est en 1072, Omar Khayyam a 25 ans, il arrive à Samarcande venant de sa ville natale Nichapour, et, à la faveur d'un incident qui le met en présence d'un futur haschichiin, il fait la connaissance du vizir Abou Taher qui lui permet d'exercer dans la paix et dans le calme non seulement son activité de poète, mais, officiellement celles de savant, alchimiste, philosophe, astrologue, médecin, mathématicien, etc, et surtout de rencontrer celle qui sera sa femme et qu'il chantera dans ses robaiyates, Djahane. Le décor est planté. Sage, Omar Khayyam peaufinant dans le silence son recueil de poèmes se tient à l'écart des intrigues du pouvoir qui plaisent tant à Djahane, mais il ne peut échapper aux bouleversements de l'empire seljoukide naissant et il est convié à Ispahan, capitale de l'empire, par le grand vizir Nizam al Molk. Chemin faisant, il rencontre Hassan Sebbagh, de Kom, futur fondateur de la secte de Haschichiin (2). Ainsi se trouvent en présence le trio qui a fondé la Perse, le savant et poète qui a observé le monde, le vizir qui l'a gouverné et le fanatique qui l'a terrorisé. Amin Maalouf y voit, avec raison les prémisses des temps modernes de l'Iran. Les luttes entre le vizir et Hassan Sebbagh, la naissance dans les montagnes d'Alamout de la forteresse des Haschichiin, leurs meurtres, les intrigues du pouvoir, la mort de Djahane et Omar Khayyam se voit condamné à l'exil en compagnie de son seul manuscrit, qui, volé se retrouve à Alamout, laquelle sera ultérieurement détruite par Gengis Khan. Ce premier livre terminé par la mort d'Omar Khayyam pourrait se suffire à lui même si Amin Maalouf, en poursuivant son conte, n'avait voulu démontrer, à travers plus de 8 siècles, la continuité de la quête.

En effet, le second livre s'ouvre à la fin des années 1800 lorsque le jeune américain Lesage, prénommé aussi Omar, puisque ses parents, américano français étaient tombés amoureux des quatrains d'Omar Khayyam, traduits en Occident entre 1867 et 1868, tire le premier fil de sa recherche du «manuscrit de Samarcande» que l'on pensait détruit dans l'inendie par Gengis Khan de la forteresse d'Alamout. Les étapes de la connaissance sont Henri de Rochefort, mais surtout le réformateur persan Djamaleddine, à la poursuite duquel il prend la route de Constantinople et de Téhéran. Mêlé à l'assassinat du Shah, sauvé par la princesse Chirine, il retrouve sa ville natale d'Annapolis et poussé par l'«obsession de l'Orient» y devient un spécialiste de l'Iran. Il y retournera donc ne serait ce que pour retrouver le manuscrit d'Omar Khayyam en possession de Chirine mais y tombe en pleine lutte libérale contre la destruction du parlement, assiste et participe au siège de Tabriz et au milieu de toute cette effervescence révolutionnaire parvient quand même à vivre avec Chirine dans le culte des robaiyates. L'évocation d'un Iran en proie aux affres d'une libéralisation avortée est particulièrement puissante et constitue le thème majeur de cette seconde partie qui se termine comme un songe. La révolution vaincue, la modernisation bafouée, Lesage part avec Chirine et le manuscrit pour l'Europe et s'embarque sur le Titanic pour rejoindre les USA. Le bateau sombre le manuscrit aussi. Lesage et Chirine sont sauvés, mais Chirine disparait comme si elle n'avait jamais existé, nous laissant complètement haletants et espérant que Amin Maalouf voudra bien nous donner, ultérieurement, la suite de cette fabuleuse histoire.

Z DAOUD

(1) Ed. J.C. Lattès. Paris 150 DH. 376 p.
(2) fondée par un imamien, la secte groupe des ismaëliens chiites appelés hashichiin non pas, comme on l'a longtemps cru parce qu'ils étaient drogués aux haschich, mais parce qu'ils se voulaient fidèles aux fondements. Ils sont unis par une féroce discipline et un culte du martyr mis au service de la religion. Autour du grand maître, 3 dai ou adjoints, des rafiq (compagnons), des organisateurs (lassek), des novices ou mujid et des fidai, les premiers kamikazes envoyés en mission de mort.

Mani sans manichéisme

Amin Maalouf sur les chemins de celui qui a voulu fonder au troisième siècle une religion universelle

par Jacques Lacarrière

LES JARDINS DE LUMIÈRE
d'Amin Maalouf.
Lattès, 340 p., 119 F.

Etrange destinée que celle de Mani et du manichéisme ! Celui qui, en son temps – le troisième siècle après Jésus-Christ, – s'est voulu le conciliateur et le réconciliateur de toutes les religions, l'ultime porteur d'un message universel, parachevant celui de ses prédécesseurs, est devenu le plus méconnu et le plus oublié d'entre eux. Abraham, Bouddha et Jésus ont toujours des millions de fidèles. Mani, lui, n'en a plus un seul, et la religion qu'il fonda n'a laissé, dans l'histoire, que l'image simpliste et fausse d'un univers scindé irréductiblement entre le Bien et le Mal.

Pourtant, dès son origine et dans les siècles qui suivirent, le message de Mani disait tout autre chose. Il disait que l'homme, image en réduction de l'univers, est fait comme lui d'une alliance et même d'un alliage de lumière et de ténèbres. Le but de sa vie est de diminuer (et si possible d'extirper) en lui la part obscure du Mal, afin d'accroître celle, lumineuse, du Bien. L'être humain devient ainsi, dans cet enseignement, le lieu privilégié d'un affrontement entre les entités cosmiques qui le composent et le tourmentent depuis son origine.

Si, par l'ascèse, la prière, l'amour, par une vie et par des rites appropriés, chacun de nous accroît en lui sa part de lumière, c'est l'univers entier qui en profitera et permettra un jour le triomphe du Bien. Conception nettement dualiste, d'inspiration gnostique, qu'on retrouvera des siècles plus tard chez les Pauliciens d'Arménie, les Bogomiles de Bosnie et les Cathares d'Occitanie, et qui fut radicalement condamnée, combattue et éliminée par l'Eglise.

Les Jardins de lumière racontent cette histoire mouvementée, et surtout celle de Mani lui-même : sa naissance, sa première rencontre avec une communauté religieuse de baptistes, la révélation de sa mission universelle, tout cela se situant vers le milieu du troisième siècle après Jésus-Christ dans le sud de l'actuel Irak, qui était alors partie intégrante de l'empire perse sassanide. L'enfance et l'adolescence de Mani se déroulent dans un paysage d'oasis et de palmeraies au milieu de la communauté baptiste, mais, bientôt, une voix secrète lui soufflera que son avenir n'est pas là, et qu'un jour il devra partir pour accomplir ce à quoi il est prédestiné. Ce qu'il fera, à l'âge de vingt-quatre ans, entraînant avec lui quelques disciples, dont son père, qui le suivra dans sa mission jusqu'au bout du monde. Le bout du monde, alors, c'est l'Inde, et c'est vers l'Inde que se dirigera Mani, prêchant et enseignant du Tigre vers l'Indus et circulant sans cesse sur les pistes du désert ou les voies fréquentées. Il fait halte avec ses disciples au cœur de villes et de provinces aux noms chantants : Ctésiphon, Suse, Ganktaï, Kholosar, Sogdiane, Bactriane, Osrhoène, Adiabène et Atropatène. Il rencontrera sur sa route d'étonnants personnages, mages et magiciens, et surtout ce roi Shabbur – le Chapur Iᵉʳ des historiens, – dont Mani fréquentera la cour à plusieurs reprises.

On peut voir d'ailleurs sur les rochers de Bichappur et de Naqsh-i Roustam, en Iran, sculptés par les artistes sassanides en pleine falaise, l'investiture et les exploits guerriers de ce souverain exceptionnel. Sur l'un des bas-reliefs, il est monté sur son cheval et tient captif derrière lui l'empereur romain Valérien, qu'il vient de vaincre. C'est précisément ce Roi des Rois qui commande alors à un empire immense allant de la Méditerranée à l'Indus, c'est ce roi éclairé qui sera tout au long de son règne le plus sûr et le plus fidèle soutien de Mani. Grâce à sa protection, Mani le Messager, Mani l'Apôtre de Lumière pourra se déplacer et prêcher sans encombre, sous la dictée de celui qu'il nomme son Double ou son Jumeau, l'ange Al-Tawn, figure ou voix en lui de l'Esprit-Saint. Mais ses paroles et ses sermons ne plaisaient pas à tous, surtout pas aux mages, tenants et célébrants de la religion officielle, qui voyaient en Mani un hérétique et un rival.

Une religion cosmique

Tant que Shabbur vécut, Mani demeura intouchable, mais dès la mort du roi, son fils Vahram, partisan des mages, bannira Mani de la cour. Les mages obtiendront sa mise à mort, et Mani, arrêté, enfermé, sera supplicié publiquement pendant vingt-six jours avant de rendre l'âme. Cela se passa le quatrième jour du mois d'Addar en l'an 584 du calendrier de Babel, autrement dit le lundi 2 mars 274.

Les Jardins de lumière est soustitré «roman». L'auteur lui-même avoue ainsi prendre quelque distance avec l'histoire. Une histoire qui est loin d'être toujours sûre d'ailleurs, souvent tissée d'ajouts et d'épisodes merveilleux. Mais le cas de Mani est plus singulier : il a vraiment voulu fonder non pas une religion nouvelle qui s'ajouterait aux précédentes et accroîtrait la confusion des croyances et des sectes, mais une religion universelle englobant les enseignements et les apôtres des précédentes. Une religion cosmique en somme pour que la lutte des hommes contre le Mal et les Ténèbres soit une lutte commune, unifiée pour le triomphe du Bien. Son influence fut grande alors, et saint Augustin lui-même devint, neuf ans durant, disciple de Mani.

C'est donc un roman qu'on lira, le roman d'un voyage et d'une révélation, le roman d'un triomphe et celui d'un martyre, où l'on traversera tour à tour des oasis lumineuses, des villes surpeuplées, mais où on fera halte en des jardins crépusculaires. C'est une plongée initiatrice et poétique dans un monde et un siècle ignorés, d'autant plus salutaire que cette entreprise grandiose et attachante est à jamais morte. Je dis grandiose parce qu'elle fut la seule, alors, à étendre son influence de la Méditerranée à la Chine, et attachante parce que ce livre narre moins l'histoire d'une religion ou d'un message abstrait que celle d'un homme de chair, entouré d'hommes et de femmes de chair, vivants et fragiles théâtres de l'affrontement de la Lumière et des Ténèbres.

Sommes-nous vraiment à la hauteur d'un tel combat ? C'est sûrement ce que devaient se dire bien des disciples de Mani. Si celui-ci avait enseigné de nos jours, nul doute que l'ange Al-Tawn ne lui eût soufflé d'autres mots que Bien et Mal ou Lumière et Ténèbres pour dire ce qui, depuis toujours, divise et déchire l'être humain dans son effort vers l'unicité. En attendant l'éblouissement ou l'apocalypse finale, ce livre jette en tout cas une vivante et vivace lueur sur celui qui le premier désigna, décrivit et affronta en notre nom les forces et les armées de l'Ombre.

▶ **Signalons aussi le très intéressant ouvrage de Charles-Henri Puech *Sur le manichéisme* (Flammarion, 1979).**



Peinture murale (VIe siècle - Asie centrale) d'inspiration manichéenne.

(avez-vous remarqué comment les gens confondent Arabes et musulmans ?) et je crois que l'intolérance commence là : dès que quelqu'un dit « Je suis né dans la vérité et tous les autres sont dans l'erreur ».

— Regardez comment Saddam Hussein a enflammé les foules arabes en lançant sa « croisade » contre l'Occident. Et comment les islamistes gagnent du terrain dans tous ces pays. Mani n'aurait aucune chance d'être entendu aujourd'hui.

— Je n'en suis pas si sûr. Mani a été le premier défenseur de la séparation de l'Eglise et de l'Etat et je ne crois pas du tout à cette « déferlante » islamiste qui, dit-on, va embraser la région de l'Iran à l'Algérie. Il ne faut pas s'effrayer des cris et des slogans qu'on entend dans les rues d'Alger ou ailleurs. Que veulent les gens ? Ils sont désemparés ils n'ont plus de modèle : le communisme est mort, le nationalisme arabe a abouti à un échec et Saddam Hussein — leur dernier porte-drapeau — s'est fait battre à plate couture. Il ne reste plus qu'un modèle, l'Occident, et ce modèle-là leur paraît inaccessible. Quelles que soient les erreurs du passé (les revenus du pétrole ont évidemment été très mal utilisés par les dirigeants arabes), il faut maintenant que l'Occident aide ces pays à se sortir du sous-développement et à accéder à la démocratie.

J'entends dire que l'Islam serait incompatible avec la démocratie. Si je comprends bien, la liberté, ce n'est pas pour les Arabes ! Comme si cette région devait être éternellement confiée à des dictateurs.

Prenez les Américains : après leur victoire sur l'Irak, ils avaient une occasion en or pour imposer un régime démocratique au Koweït. Vous n'imaginez pas l'effet d'entraînement que cela pourrait avoir pour toute la région. Mais l'Occident a toujours soutenu des despotes contre d'autres despotes.

— Comment peut-on croire en une réconciliation entre Islam et Occident quand on est né, comme vous, à Beyrouth ? Le Liban aujourd'hui c'est tout ce que Mani détestait : l'incapacité totale à faire cohabiter entre elles plusieurs communautés, plusieurs religions.

— Quand on est né à Beyrouth, on ne peut pas considérer la tolérance comme une vue de l'esprit. Là-bas, c'est une condition de survie. Le Liban a tenté de faire vivre ensemble des communautés : c'est beaucoup plus louable que d'imposer par la force une religion ou l'idée d'un peuple unique, comme dans certaines dictatures.

— Avez-vous encore l'espoir de rentrer un jour dans un Liban en paix et multiconfessionnel ?

— Oui, sans doute. Si le Moyen Orient sort de son sous-développement et se démocratise. Il n'y a pas d'autre solution ●

Propos recueillis par
THIERRY LECLERE

– 15 –

MAALOUF

MANI L'INCOMPRIS

Amin Maalouf, historien libanais, a voulu savoir qui se cachait derrière le mot « manichéisme ». Il a découvert Mani, humaniste perse du IIIe siècle, injustement oublié. Un homme qui était la tolérance même.

LES JARDINS DE LUMIERE d'Amin Maalouf (Ed. Jean-Claude Lattès, 338 p., 119 F).

Bagdad n'existait pas encore. Et les Perses occupaient la Mésopotamie. Le centre du monde, en cette aube du IIIe siècle, s'appelait Ctésiphon. Là-bas, à quelques kilomètres de l'actuelle capitale de L'Irak, Shabuhr, le roi des rois, régnait sur un immense empire allant de l'Indus, près de l'actuel Pakistan, jusqu'en Arménie. Au-delà, les Romains regardaient avec méfiance ce royaume tout puissant dont l'éclat faisait de l'ombre à cette Rome de plus en plus fascinée par l'Orient. Ce siècle perturbé, violenté, happé par les nouvelles religions (christianisme, zoroastrisme, bouddhisme) vit tout naturellement apparaître son prophète : Mani fut celui-là. Prince parthe, médecin, peintre puis écrivain, cet intellectuel prit son bâton de pèlerin pour prêcher la tolérance dans tout l'empire. Pour réconcilier les religions.

Le héros du nouveau roman d'Amin Maalouf, *Les Jardins de lumière*, mourut tragiquement comme un prophète, supplicié et incompris des puissants. Triste fin pour cet humaniste injustement oublié, philosophe et artiste qui eut une influence extraordinaire sur les esprits (sept siècles plus tard on retrouvait des « manichéens » en Bulgarie) et les arts : Mani est considéré comme le père de la culture persane, même si on n'a retrouvé à ce jour aucune de ses œuvres !

— Tout le monde a oublié que votre héros a donné son nom au manichéisme. Plus personne aujourd'hui n'a envie d'être « manichéen ». Pourquoi réhabilitez-vous Mani ?

— C'est précisément ce mot de « manichéisme » qui m'a donné envie de voir qui se cachait derrière. Et là, surprise : j'ai découvert qu'on avait honteusement trahi Mani. Qu'on utilisait son nom à tort et à travers. On a détourné le sens d'une doctrine, on a détourné l'Histoire, c'est très grave !

— Pourquoi ? Qu'est-ce que le manichéisme ?

— L'esprit même de la tolérance. C'est l'idée que l'homme peut avoir plusieurs sources d'inspiration religieuse. Mani refusait l'idée qu'un individu, dès sa naissance, appartienne à une religion donnée, sans se poser de questions. Il dénonçait cette sorte d'enrôlement culturel qui oblige les hommes à épouser une religion comme ils adhèrent à une tribu : on est musulman ou chrétien parce qu'on est né dans tel contexte culturel, linguistique, ethnique et non parce qu'on a fait un véritable choix spirituel.

— Mani rêvait d'une Eglise universelle ?

— En quelque sorte. Il aurait aimé que voie le jour une religion syncrétique alliant à un fond chrétien (il était lui-même chrétien),



JOHN FOLEY/OLYMPE

Amin Maalouf.

des éléments pris au bouddhisme et au parsisme. Le troisième siècle est une période passionnante pour cela : Mani arrive à un moment où l'empire perse — dominé par la dynastie sassanide — et l'empire romain sont plongés dans une grave crise morale. C'est une période de bouillonnement intellectuel extraordinaire où le paganisme est en train de disparaître et où des religions nouvelles, dont le christianisme, sont en train d'apparaître. Mani espérait pouvoir conserver cette diversité de cultes tout en rapprochant les Eglises.

— Comment a-t-on pu détourner à ce point sa doctrine au fil des siècles ?

— On a volontairement falsifié son message en caricaturant sa vision du Bien et du Mal. Mani rejette l'idée de péché originel ; il a effectivement parlé de lumières et de ténèbres, mais pour dire qu'en tout homme, qu'en toute chose le Bien et le Mal existent et s'opposent. On a voulu lui faire dire que tout était soit noir, soit blanc. Ce détournement de sens a commencé avec Saint Augustin qui a donné une image polémique du manichéisme, après avoir été lui-même manichéen.

Il faut dire que les disciples de Mani ont très vite été considérés comme des hérétiques. Au sud de la France, les Cathares ont été combattus et condamnés comme manichéens. Sa pensée a eu aussi un grand retentissement dans le nord-ouest de la Chine : les VIIe et VIIIe siècles ont vu s'épanouir un royaume manichéen qui a produit d'ailleurs une très belle peinture inspirée de Mani. En Perse, en Afrique du nord et même en Europe orientale, les doctrines filles du manichéisme ont été combattues par toutes les religions et tous les empires.

— Mais on ne connaît aucun texte ni aucune peinture de Mani à ce jour. Comment avez-vous travaillé ?

— Effectivement, pendant longtemps, on ne l'a connu que par les écrits de ses adversaires. Très récemment, on a découvert en Asie centrale, en Egypte et un peu en Afrique du nord des textes de ses disciples. J'ai eu connaissance d'un manuscrit grec qui est en cours de traduction en français et qui contient les éléments les plus authentiques sur la vie de Mani.

— En quoi le « manichéisme » vous paraît-il actuel ?

— Fondamentalement, je constate que la relation entre l'homme et la religion est très malsaine. Nous avons tous besoin de spiritualité mais les hommes se sont jetés sur des dogmes, ils se sont installés dans leur foi sans se poser de questions. Le temps est peut-être venu de s'interroger sur nos croyances. Je suis chrétien et je ne renie absolument pas ma religion, mais j'éprouve, comme Mani, le besoin de puiser à d'autres sources comme l'islam, le judaïsme, le bouddhisme et beaucoup d'autres religions asiatiques.

— De Léon l'Africain à Mani, en passant par le poète Omar Khayyan, tous vos livres racontent la vie de grands esprits tolérants, comme si vous vouliez réécrire l'Histoire à votre façon.

— Oui, mais Mani va plus loin. J'ai voulu aller aux racines de l'intolérance. Les religions, qui devraient être universelles, appartiennent à des mondes culturels

a une bibliothèque : le jeune Mani va y trouver les éléments qui serviront de base à l'élaboration de sa doctrine. A la faveur d'escapades hors de l'étouffante communauté, il découvrira aussi la peinture. Ce ne sera pas sans conséquence : Mani est sans doute le seul fondateur de religion qui ait également été peintre. Plus tard, il se servira autant de son verbe que de ses dessins pour attirer les foules et diffuser son message. Amin Maalouf raconte qu'il réalisa même un recueil complet de son enseignement sous forme d'images qu'il intitula tout simplement *L'Image*. En somme une Bible en bandes dessinées avant la lettre...

A 12 ans il eut sa première révélation : une voix qui lui annonçait son destin exceptionnel. Mais il attendra encore une douzaine d'années avant de « se manifester au monde » : il quitte les Vêtements blancs accompagné de son père et d'un ami de son âge, déjà installé comme commerçant, mais qui abandonne tout pour le suivre. L'enfant vertueux et sage qui rend le bien pour le mal, la longue maturation de la vie cachée, le départ pour délivrer la Bonne Parole... ce n'est pourtant pas une nouvelle version de la vie de Jésus. Mani va partir très loin, jusqu'en Inde, affronter tempêtes, guerres, dangers de toutes sortes, vivre une existence mouvementée et précaire. Un événement va bientôt radicalement changer le cours de sa carrière : en guérissant l'arrière-petit-fils d'un roi de la dynastie sassanide, il en devient le protégé. Bientôt le souverain lui donnera carte blanche pour propager la nouvelle foi dans son immense royaume. Mais les jeux du pouvoir n'ont rien à voir avec l'ascèse mystique et Mani sera exécuté au terme d'une étonnante existence où il aura été tout à la fois prophète inspiré, conseiller du prince, conquérant, philosophe et artiste.

En le suivant à travers ce livre, on fait un étonnant voyage dans le temps et l'espace. Quand dès la première page on se retrouve aux environs de Bagdad, en l'an 200, on se sent un peu perdu : Jésus est mort depuis longtemps, Mohamed n'est pas encore né, l'empire romain agonise et l'histoire a déserté les rives du Tigre et de l'Euphrate. Privé de toute référence, on se raccroche alors au guide. Heureusement, Amin Maalouf en est un bon : il n'a pas son pareil pour nous faire visiter le palais du roi ou une ville indienne, croquer une palmeraie, suggérer un parfum de girofle ou de cardamome. Chemin faisant, il fait revivre une époque hantée par la quête de l'absolu, et évoque admirablement l'âme d'une terre brûlée par la soif de Dieu où marchait un homme tout seul qui avait rêvé de faire reculer la nuit.

Jean-Claude Lamy

LES JARDINS DE LUMIERE, *par Amin Maalouf. Ed. Lattès, 17, rue Jacob, 75006 Paris. 339 p. 119 FF.*



Le nouveau grand roman historique d'Amin Maalouf

Honni soit qui Mani pense !

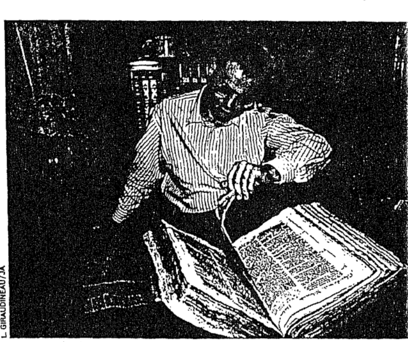
Au IIIe siècle, ce prêcheur venu de Mésopotamie fonda le manichéisme, une religion qui eut des adeptes de l'Algérie jusqu'à la Chine. Condamné comme hérétique, il périt sous la torture en 274. L'itinéraire d'un prophète dont le message, qui ne se résume pas à la lutte du bien contre le mal, reste étonnamment moderne.

Il est des auteurs qui savent trouver les sujets dont on se dit, une fois qu'ils les ont dégottés, « comment se fait-il que cela n'ait jamais été traité auparavant ? ».

Amin Maalouf appartient à cette race-là. Il a commencé avec *Les Croisades vues par les Arabes*. Bon Dieu, bien sûr, comment n'y avait-on pas pensé plus tôt ! Que savait-on des croisades ? Godefroy de Bouillon, Richard Cœur de Lion, le siège de Saint-Jean-d'Acre... côté croisé la tradition historique et légendaire est riche mais *quid* du côté arabe ? On ne connait guère que Saladin, personnage glorieux et chevaleresque mais toujours entrevu à travers les récits des chevaliers de France ou de Flandre. Restait à découvrir le vrai Salah al-Din et toutes les répliques orientales des paladins occidentaux. Amin Maalouf a apporté la contre-enquête avec son livre.

Cette fois-ci, il a choisi, avec *Les Jardins de lumière*, de raconter la vie d'un grand méconnu, Mani. Ça vous dit quelque chose ? Mani... mani.. manichéen, bravo, vous êtes sur la voie ! Ce nom, dont il ne reste plus guère qu'un adjectif, est celui du fondateur d'une grande religion à vocation universelle qui s'est diffusée entre le IIIe et le Xe siècle en Mésopotamie, en Perse, en Inde, au Tibet, en Chine, au Turkestan, en Afrique du Nord, dans le sud de l'Italie et de l'Espagne. Traqués, persécutés un peu partout, les manichéens ont disparu avec le premier millénaire. Mais il y a eu des résurgences et les bogomiles bulgares, tout comme les cathares albigeois, ont emprunté maints traits à cette religion née sur les bords du Tigre.

Le manichéisme lui-même a beaucoup emprunté aux religions antérieures : à Jésus, à Zoroastre et à Bouddha, mais il a fondu tous ces apports dans un ensemble original où l'univers et la vie sont l'enjeu d'un combat sans fin entre les ténèbres et la lumière, le Bien et le Mal. C'est tout ce que l'histoire en a retenu et elle y a ajouté une distinction définitive et sans nuance entre les bons et les mauvais qui a donné la connotation péjorative actuelle du mot. Honni soit qui Mani pense ! Pour Amin Maalouf, tel n'est pas l'esprit de l'enseignement de celui qu'il appelle Mani, et qui est plus connu sous le nom de Manès : les hommes, bien loin de se partager entre bons et mauvais, sont tous l'enjeu d'un combat entre le Bien et le Mal.



L. GIRAUDINEAU/JA

Amin Maalouf : un écrivain qui aime voyager dans le temps et l'espace.

Ce sont là des choses que l'on apprend au fil des pages mais *Les Jardins de Lumière* sont d'abord un roman.

L'histoire commence en Mésopotamie dans une petite communauté d'hommes vivant dans le jeûne et la prière : les Vêtements blancs. C'est là que fut élevé Mani, arraché très tôt à sa mère par un père qui avait tout abandonné pour vivre avec ces nouveaux compagnons. L'ambiance n'y a pourtant rien de bien folichon : on s'y nourrit essentiellement de mauvais pain, la discipline est impitoyable et la délation systématique. Heureusement, il y

Quand Amin Maalouf retrouve le Liban

La Montagne tragique

Dans son nouveau roman, « le Rocher de Tanios », Amin le sage explore l'histoire de son pays natal quand au XIXe siècle il bascula dans la violence

Il a longtemps raconté l'Orient aux Occidentaux, dévoilant la face cachée des croisades, suivant les traces de Léon l'Africain de Grenade à Rome, flânant dans les jardins de Samarkand. Spectateur plutôt qu'acteur, il charmait, mais semblait s'attacher à garder une distance. Aujourd'hui Amin Maalouf s'expose. Il retrouve son pays meurtri. Il revient au Liban. Parce qu'il a toujours refusé la guerre fratricide et ses implications, son nouveau roman, « le Rocher de Tanios », se situe dans le Liban du XIXe siècle, celui d'avant les premières crises, lorsque les Libanais vivaient dans leur montagne une vie encore rude.

Kfaryabda est un village comme on en voit partout au Mont Liban. Une grande place qu'on appelle *blata*, la dalle. Un chêne qui va sur ses 600 ans, une église millénaire et une école paroissiale où enseigne bouna Boutros, le curé. A un bout de la place, la fontaine d'où jaillit l'eau glacée venue des sommets et, au-dessus, dominant les maisons, le château de pierre chauffé par le soleil où règne le cheikh Francis, un cheikh débonnaire que rien ne distingue apparemment de ses administrés si ce n'est son gilet vert pomme soutaché d'or. Le village a ses rites, sa vie close, ses odeurs et ses bruits. On entend les gamins courir et crier autour de la fontaine. On voit passer Lamia, dont la beauté resplendit sous les voiles. Le matin, les hommes en saroual noir bouffant et chemise à rayures se pressent dans les couloirs du château et murmurent des vœux bourdonnants quand le cheikh apparaît. Au-dessus du cheikh règne l'émir de la Montagne, et au-dessus de l'émir les pachas de Tripoli et de Damas, et plus haut encore le sultan d'Istanbul, toutes autorités supérieures que le village ignore.

Le village vit sa vie. Le fils de l'intendant, Tanios, est-il l'enfant bâtard de cheikh Francis et de Lamia la belle ? Raad, le fils légitime, a-t-il offensé Mrs. Stolton, la femme du pasteur anglais venu apporter en ce coin reculé l'ouverture sur le savoir et la modernité ? Les rumeurs circulent, les femmes louent le Seigneur et font la cuisine, les hommes rentrent des champs à l'heure où le soleil tombe d'un coup derrière les collines noires. La tragédie va se nouer, et les malheurs fondre sur le village en l'an 38, de sombre mémoire. D'abord, le 1er janvier, sous la lumière blanche et froide qu'on appelle « soleil de l'ours », un tremblement de terre lézarde le château et secoue les maisons endormies sous la neige. Première infortune qui sera suivie de signes annonciateurs – disette, double impôt, naissances monstrueuses et exactions des soldats du pacha d'Egypte –, avant que n'éclate le drame dont le destin déjà serrait les nœuds.

Partant à la recherche d'un passé proche mais longtemps occulté, Amin Maalouf ne pouvait pas ne pas retourner à Kfaryabda, son village d'enfance. Pour s'y asseoir sur le rocher qu'on appelle depuis des siècles le rocher de Tanios.

En ce temps-là, qu'est-ce qui compte dans la vie, si ce n'est l'honneur ? Et pour garder l'honneur, la vengeance... Un mariage promis puis refusé. La fausse médiation du patriarche, qui détourne pour son neveu la jeune fille qu'aimait Tanios. L'embuscade, le dos aux rochers, sur un sentier de montagne, et le patriarche qui tombe, le nez sur son cheval une balle entre les yeux. Le crime doit être puni. Il le sera plus tard, après une longue traque, quand l'assassin abusé reviendra au village. Mais Kfaryabda n'est plus la paisible communauté d'autrefois. Les puissances prennent le parti du sultan et le pacha d'Egypte tient toujours la Montagne. Tanios se retrouvera mêlé aux querelles ottomanes et anglaises. L'émir est exilé. C'en est fini déjà du Liban d'autrefois que parcourait Nader le muletier, dont la langue bien pendue brûlait d'impertinence mais savait aussi distiller la sagesse. L'époque est aux meurtres et aux exécutions. La longue théorie des vengeances s'enclenche, annonciatrice des massacres futurs entre chrétiens et Druzes.

Le récit d'Amin Maalouf s'arrête là, comme au bord d'un gouffre. Comme si lui, le pacifiste, l'homme qui déteste la guerre, ne pouvait mener plus loin cette histoire devenue trop brûlante. Quand Tanios disparaît soudain, n'est-ce pas Amin qui éprouve lui aussi l'urgence de s'éloigner ? Car c'est évidemment l'auteur et lui seul qu'on entend à travers les récits croisés des chroniques montagnardes, des confidences du vieux Gebrayel ou des éphémérides du pasteur Stolton. Ces multiples voix qui se répondent ne sont là que pour se conforter, donner au livre une profondeur semblable à celle du paysage libanais : au premier plan, des maisons, une église, des arbres aux lignes nettes, des personnages colorés, des détails précis. Puis les collines vert sombre qui s'élèvent au-dessus de la mer. A l'arrière, les montagnes brumeuses aux tons mauves. C'est là que résident le mystère, l'esprit, la vie secrète et le cœur du Liban. Partant à la recherche d'un passé proche mais longtemps occulté, Amin ne pouvait pas ne pas retourner à Kfaryabda, son village d'enfance. Pour s'y asseoir sur le rocher qu'on appelle depuis des siècles le rocher de Tanios. Pour y réfléchir à l'étrange pouvoir de cette terre que ses enfants vénèrent et qu'ils quittent pourtant, lieu de refuge, lieu de passage, lieu d'enracinement et lieu de mémoire.

JOSETTE ALIA

« Le Rocher de Tanios », par Amin Maalouf, Grasset, 278 pages, 125 F.

Des Prix littéraires sans surprise ni remous

Le Goncourt à Amin Maalouf, le Renaudot à Nicolas Bréhal

Bientôt chez Drouant, le restaurant de la place Gaillon à Paris, un nouveau portrait va être accroché à la suite des autres prix Goncourt : celui d'Amin Maalouf, le lauréat 1993, pour *Le Rocher de*

PAR JEAN-CLAUDE LAMY

Tanios (Grasset). C'est au deuxième tour par six voix contre deux à Michel Braudeau (*Mon ami Pierrot*, au Seuil), une à Philippe Beaussant (*Héloïse*, chez Gallimard) déjà couronné par l'Académie française, et une à Angelo Rinaldi (*Les jours ne s'en vont pas longtemps*, chez Grasset) que les « Dix » l'ont distingué comme prévu. En effet, depuis que Marc Lambron était « hors Goncourt » après avoir reçu le prix Femina vendredi dernier, il devenait le grand favori. Les jurés du prix Renaudot, réunis dans un salon voisin, n'eurent pas non plus à délibérer longtemps : Nicolas Bréhal (*Les Corps célestes*, chez Gallimard) l'emportait au premier tour par cinq voix contre trois à Michel Braudeau et une à Angelo Rinaldi.

« *Le premier tour est un tour de gentillesse. Au second tour, Amin Maalouf avait déjà cinq voix quand j'ai voté en dernier. Mon boulot, c'est de faire la majorité.* » Le président de l'Académie Goncourt, Hervé Bazin, résume une situation que Robert Sabatier voit ainsi : « *Ça s'est passé très gentiment. C'est un Goncourt calme.* » Ayant apporté sa voix à Angelo Rinaldi, il explique, avec son ironie coutumière : « *J'avais mis comme préalable qu'on ne me traite pas de masochiste.* » Lors de l'ultime réunion de sélection, il avait montré que dans son rôle de franc-tireur il pouvait agacer ses « petits camarades » qui n'apprécient pas le critique de *L'Express*.

Quoi qu'il en soit, il ne fallait pas s'attendre à une lutte à couteaux tirés pour désigner le lauréat des quatre-vingt-dix ans du prix décerné pour la première fois en 1903 à John-Antoine Nau, rigoureusement inconnu à l'époque, et qui l'est resté. L'affaire fut si vite réglée que, pour la première fois, les académiciens Goncourt, à l'exception de Jean Cayrol, dont l'état de santé l'empêche de se déplacer et qui vota par téléphone, déjeunèrent en deux temps. A onze heures trente ils étaient tombés d'accord sur le nom d'Amin Maalouf. Pour patienter une heure et demie jusqu'à l'annonce officielle par François Nourissier (à treize heures trente à cause des journaux télévisés et des radios en direct), les académiciens mangèrent les hors-d'œuvre (caviar, petits homards à la nage, foie gras d'oie en gelée).

Cet intermède culinaire avant le lièvre à la royale est évidemment agrémenté de conversations : « *On a beaucoup blagué* », remarque Hervé Bazin, qui avait d'autant plus de mérite qu'une sciatique le faisait souffrir. Le coup de Jarnac des dames du Femina valut, bien sûr, quelques commentaires aigres-doux. « *On prendra nos précautions l'année prochaine* », dit le président des Goncourt, le ton dubitatif.

Dans la foule de chez Drouant, une lectrice s'était déplacée spécialement pour suivre l'événement : Joëlle Lasserre, le nouveau commissaire de police du deuxième arrondissement. Hier, c'était son jour ne congé, mais elle voulait être là pour son « premier prix Goncourt ».

J.-C. L.

« Le Rocher de Tanios » : contre tous les fanatismes

Il n'a eu que quelques jours pour devenir nerveux. Amin Maalouf, il y a une semaine encore, n'osait sans doute pas espérer le Goncourt. Depuis fin août, déjà, tout le monde jurait un autre, Marc Lambron, favori des Académiciens. Ceux-ci ne

PAR LAURENCE VIDAL

démentaient pas. Il a fallu le coup d'éclat des dames du Fémina qui, devançant les Dix de trois jours, leur ont raflé leur candidat, pour que la place, devenue libre, commence à susciter de nouveaux espoirs. Dans la redistribution des cartes, Amin Maalouf semblait le mieux doté. C'est chose faite *Le Rocher de Tanios* (1), Goncourt 1993 ; un prix mérité. Un choix heureux, quels qu'aient été les aléas, coups de théâtre et jeux de massacres qui l'ont précédé.

Heureux, d'abord, parce que le roman, cette légende revisitée des années 1830 au mont Liban, a de quoi charmer le public le plus large sans démériter pour autant aux yeux du lecteur difficile (2). Heureux, ensuite, parce qu'est récompensé un auteur, un écrivain, qui, depuis dix ans, élève inlassablement le double chant de son talent de conteur et de sa foi d'humaniste candide.



Amin Maalouf : le retour au Liban natal.
(Photo Colacicco/Le Figaro)

Descendant d'une famille qui, depuis le XVIIIe siècle, a donné au Liban une vingtaine d'écrivains. Amin est fils de Ruchdi Maalouf, journaliste et écrivain lui-même, enseignant, peintre, poète et grande figure du Beyrouth des années 40 à 80. Dans le sillage de ce père aimé et respecté qui « *rêvait d'une démocratie idéale et a beaucoup souffert de l'échec d'une république fraternelle* », Amin Maalouf apprend très tôt le sens du mot « paix ». Ce chrétien du Liban élevé par les jésuites a été façonné par la double culture, arabe et française, par le goût des lettres et l'esprit de tolérance.

Diplômé de sociologie et d'économie politique, Amin Maalouf, très tôt, reprend l'un des flambeaux paternels et devient journaliste. Il est à Saïgon à la fin de la guerre du Vietnam. On le retrouve dans l'avion qui ramène en Iran l'ayatollah Khomeyni. Quant à la première fusillade entre Palestiniens et Phalangistes, qui fit plus de 20 morts et mit le feu aux poudres de Beyrouth, elle eut lieu sous les fenêtres de son appartement familial.

Profession de foi

L'année suivante, Amin Maalouf s'installe à Paris. Et c'est en 1983 que paraît son premier ouvrage : *Les Croisades vues par les Arabes* (3). Une vie passée à jeter un pont entre ses deux mères, l'Orient et l'Occident, vient de commencer. Car cet homme qui a vécu vingt-sept ans sur une terre déchirée par des conflits à caractère religieux, cet érudit souriant qui déclare parfois écrire « *parce que j'ai besoin de réfléchir sur ma vie, sur mon siècle* », n'abandonnera jamais son obsession : réunir les frères ennemis, qu'ils soient d'ici ou d'ailleurs.

C'est, en 1986, *Léon l'Africain* (3), biographie très romancée de Hassan Al-Wazzan, alias Jean Léon de Médicis, ce musulman né à Grenade en 1488, mort à Tunis vers 1555, et entre-temps baptisé à Rome par le pape Léon X, dont il fut le conseiller et l'ambassadeur. Portrait d'un homme qui résume en lui, et réconcilie, toutes les contradictions, les déchirements et les affrontements d'une époque. Place ensuite à Omar Khayyam, poète, astronome et philosophe persan que l'on retrouve dans *Samarcande* (4). Un sceptique dans la lignée d'Avicenne, un chantre du *Carpe diem* qui préférait les femmes et le vin au fanatisme religieux. Puis, toujours en quête de figures symboliques, Amin Maalouf s'intéresse à Mani.

C'est *Le Jardin des lumières* (3), en 1991, où se révèle un prophète qui n'a rien d'un manichéen au sens où on l'entend aujourd'hui, mais qui recommande, au contraire, de nourrir la lumière qui se cache en chaque être et chaque chose ; qui prône une foi réconciliée, mélange de christianisme, de bouddhisme et de zoroastrisme (les trois religions dominantes dans la Perse des Sassanides). Belle constance d'un écrivain qui, dans *Le Premier Siècle après Béatrice* (1), nous dépeint une humanité du XXIe siècle qui nous ressemble comme une sœur, se déchire, et menace de se détruire.

Avec *Le Rocher de Tanios*, pour la première fois, Amin Maalouf a rompu la distance qu'il avait toujours maintenue avec ses livres. C'est le retour au Liban, à Kfaryabda, village de ses ancêtres, en un siècle où déjà des intérêts étrangers soufflent la tempête sous les branches du Cèdre. Là encore, dans ce roman où plane « *toute la subtile et trouble poésie du conte oriental* » (2), c'est le refus de se laisser entraîner dans l'enchaînement des vengeances qu'il illustre. Dans un monde qui « *se bestialise* », quand « *les citoyens les plus paisibles se transforment soudain en tueurs* » parce qu'ils sentent leur communauté menacée, c'est, encore et toujours, la profession d'une foi indéracinable chez cet homme blessé à mort par tous les fanatismes . « *Il n'est qu'une valeur immuable : la liberté de la personne humaine.* »

Ainsi parle Amin Maalouf, prophète dans le désert, prix Goncourt 1993.

L. V.



GIRAUDINEAU/J.A.

AMIN MAALOUF PRIX GONCOURT

Pour leur 90e anniversaire, les jurés du Goncourt, le plus prestigieux des grands prix littéraires français, ont choisi de récompenser Amin Maalouf pour son roman *Le Rocher de Tanios* (Grasset). Et par-delà, l'œuvre de cet écrivain singulier, né au Liban en 1949, qui vit en France depuis 1976 et se situe au carrefour de plusieurs cultures, sans renier ses racines, ainsi qu'en témoignent ses précédents romans : *Léon l'Africain* (Lattès, 1986), *Samarcande* (Lattès, 1988) et aussi l'essai *Les Croisades vues par les Arabes* (Lattès, 1983), son premier livre, qui fut une véritable révélation. Grâce à ce prix, et à ses ventes assurées de plusieurs centaines de milliers d'exemplaires, Amin Maalouf va toucher le plus vaste public. On ne peut que s'en réjouir, d'autant plus qu'Amin Maalouf fut rédacteur en chef à *Jeune Afrique*. □

Jean-Claude Perrier

RENÉ WORMS

Les prix littéraires

Goncourt : Amin Maalouf (Grasset) Renaudot : Nicolas Bréhal (Gallimard)

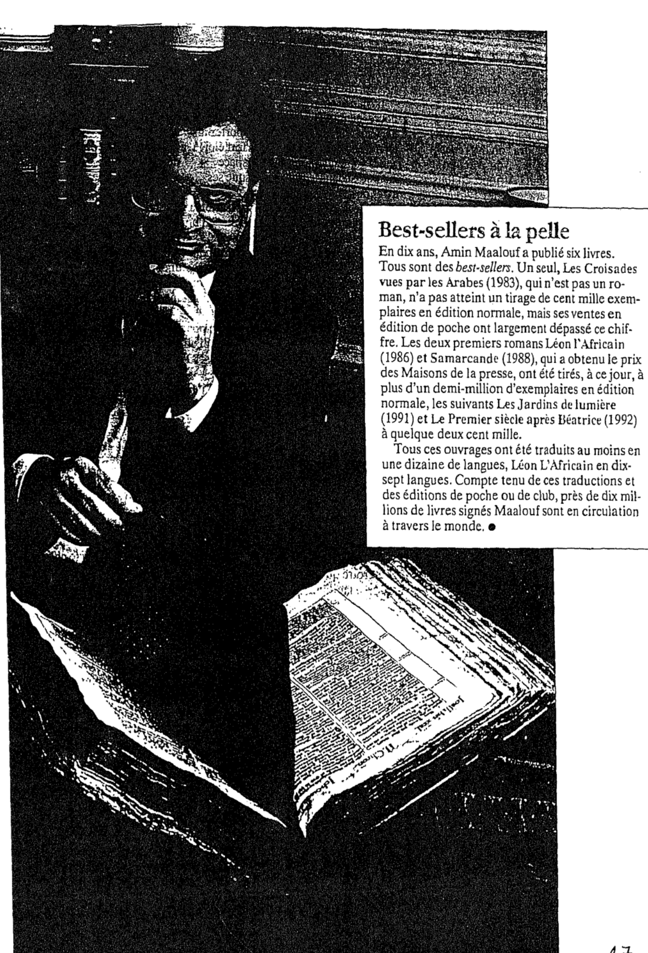
Le prix Goncourt a été attribué à Amin Maalouf pour *le Rocher de Tanios* (Grasset), au deuxième tour de scrutin, par six voix contre deux à Michel Braudeau pour *Mon ami Pierrot* (Seuil), une à Angelo Rinaldi pour *Les jours ne s'en vont pas longtemps* (Grasset), et une à Philippe Beaussant pour *Héloïse* (Gallimard). Le prix Renaudot est allé à Nicolas Bréhal pour *les Corps célestes* (Gallimard), au premier tour de scrutin, par cinq voix contre trois à Michel Braudeau et une à Angelo Rinaldi *(nos dernières éditions du 9 novembre).*

« Nous sommes ici dans l'Orient chrétien qui offre, par nature, un terrain de prédilection à l'épanouissement de tout un monde de signes, de symboles grâce auxquels une sorte d'humanisme de base, pétri de tolérance, se relie au divin et noue avec lui de subtiles relations où il serait trop simple de ne voir que des coïncidences », écrivait Alain Jacob à propos du roman d'Amin Maalouf que les Goncourt viennent de primer (« le Monde des livres » du 8 octobre). Par touches délicates, s'appuyant sur des souvenirs et des chroniques de l'époque, Amin Maalouf a construit un conte oriental où se mêlent l'histoire et la légende, la réalité et la fiction. Le récit se déroule dans la montagne libanaise, dans les années 1830; il met en scène l'esprit de vengeance, qui se transmet de génération en génération, et le destin, *« dont les redoutables passages ponctuent notre existence et la façonnent »*.

C'est dans une tout autre atmosphère que se déroule le sixième roman de Nicolas Bréhal, *les Corps célestes*. A travers l'amitié de Vincent et de Baptiste, l'auteur met en scène une parabole métaphysique dont Jean-Noël Pancrazi résumait en ces termes l'enjeu (« le Monde des livres » du 1er octobre) : *« Peut-on rester indéfiniment du côté du ciel en évitant d'être corrompu par les désirs et les désordres de la terre, vivre à l'écart de la vie sans que cette pureté se révèle, à la longue, dangereuse ? »*

GONCOURT DES LYCÉENS : Anne Wiazemsky. – A Rennes, le prix Goncourt des lycéens (le jury représente treize établissements scolaires) a été attribué, lundi 8 novembre, au second tour de scrutin à Anne Wiazemsky, pour *Canines* (Gallimard), par sept voix contre trois à Marc Lambron (*l'Œil du silence*, Flammarion) et trois à Philippe Beaussant (*Héloïse*, Gallimard). – *(Corresp.)*

RENAUDOT JUNIOR : Jack-Alain Léger. – A Loudun, dans la Vienne, ville natale de Théophraste Renaudot, des lycéens ont décerné pour la deuxième fois un « Renaudot junior » : il est revenu, au premier tour de scrutin, à Jack-Alain Léger pour *Jacob Jacobi*, publié chez Julliard. – *(Corresp.)*



Best-sellers à la pelle

En dix ans, Amin Maalouf a publié six livres. Tous sont des *best-sellers*. Un seul, Les Croisades vues par les Arabes (1983), qui n'est pas un roman, n'a pas atteint un tirage de cent mille exemplaires en édition normale, mais ses ventes en édition de poche ont largement dépassé ce chiffre. Les deux premiers romans Léon l'Africain (1986) et Samarcande (1988), qui a obtenu le prix des Maisons de la presse, ont été tirés, à ce jour, à plus d'un demi-million d'exemplaires en édition normale, les suivants Les Jardins de lumière (1991) et Le Premier siècle après Béatrice (1992) à quelque deux cent mille.

Tous ces ouvrages ont été traduits au moins en une dizaine de langues, Léon L'Africain en dix-sept langues. Compte tenu de ces traductions et des éditions de poche ou de club, près de dix millions de livres signés Maalouf sont en circulation à travers le monde. ●

Ma conviction est que l'islam est parfaitement compatible avec une gestion moderne de la société, économiquement et politiquement. Il doit être une composante de la société orientale comme le christianisme est une composante de la société occidentale, aussi laïcisée qu'elle soit. Mais la religion ne propose pas de solution aux problèmes politiques, ni aux problèmes de développement, ni aux problèmes de relations avec le reste du monde.

Certains soutiennent, en Algérie ou en Egypte, qu'un gouvernement islamiste serait un moindre mal...
Il serait irresponsable de plonger un peuple dans dix ou vingt années de purgatoire sous prétexte qu'à la sortie qui ne peut être qu'un échec il aura appris que c'était une impasse.

Au point où nous sommes, et tout en sachant qu'on ne peut pas en attendre un effet immédiat sur l'Algérie ou sur l'Egypte, l'Europe serait bien inspirée si elle se préoccupait d'intégrer tranquillement, lentement, une dimension musulmane. Il ne s'agit pas de changer les caractères prédominants de l'Europe, mais de faire coïncider l'Europe géographique et l'Europe politique : qu'elle intègre la Bosnie, l'Albanie... Et la Turquie. Ce serait la seule façon de casser cette impression que deux mondes, islam et chrétienté, se font face sans jamais se rejoindre.

Prenons la Turquie. Depuis trois quarts de siècle, elle cherche à suivre l'exemple de l'Europe. Plus l'intégration à l'Europe deviendra plausible, plus les Turcs qui y sont favorables renforceront leur position chez eux. Et réciproquement. Quand le rapprochement de l'Europe apparaît comme la voie d'accès au modernisme, ceux qui s'y opposent le font plus par dépit de se heurter à une porte close que pour toute autre raison. On objecte les positions d'Ankara à l'égard de Chypre et des Arméniens. Mais n'est-ce pas au cours du processus d'intégration de la Turquie à l'Europe que ces questions auraient les meilleurs chances, les seules peut-être, d'être réglées ?

Pourquoi la France s'oppose-t-elle à une véritable intégration des musulmans ?
L'attitude des musulmans qui vivent en France me paraît déterminante. Si l'islam apparaît comme une protestation culturelle contre l'Occident, l'intégration sera très difficile. Mais s'il se contente d'être une religion, il n'y aura pas d'obstacle à l'intégration. Les musulmans de France se doivent d'accepter la légalité française. Ce qui complique les choses est que beaucoup d'entre eux considèrent qu'être français est une espèce de trahison. A tort, car l'appartenance religieuse n'a rien à voir avec la nationalité.

Je ne nie pas les attitudes de rejet et d'intolérance du côté français, mais l'intégration exige aussi que les musulmans n'éprouvent pas de honte à devenir français ou à se sentir français.

«Pour un musulman de France, choisir la nationalité française ne doit pas passer pour une sorte de trahison.»

N'y a-t-il pas plus grave, du côté français, que l'intolérance de certains : l'ignorance crasse à l'égard de l'islam, y compris chez des intellectuels comme Malraux, Sartre, Aron et même Camus l'Algérien, pour ne parler que des morts ?
Vous prêchez un convaincu. J'ai toujours été frappé, et préoccupé, par l'ignorance réciproque que partagent, si je peux dire, l'Orient et l'Occident. Mais je me refuse à mettre tous les torts d'un côté. Des communautés venues de pays musulmans pour vivre en France devraient être fières d'appartenir à deux civilisations différentes et goûter au bonheur de prendre le meilleur de l'une et de l'autre. A l'inverse, elles se sentent souvent à la fois étrangères où elles sont et coupables à l'égard de ceux qu'elles ont laissés où elles ne sont plus.

Sans doute éprouvez-vous moins que d'autres, en France, les attitudes de rejet. Parce que vous êtes chrétien ?
Plutôt, je crois, du fait de mon appartenance au Levant. Le Maghreb a été envahi, a été soumis. Même après les indépendances, les rapports sont restés inégalitaires ; les années d'adversité ont laissé des séquelles. Au Levant, la présence française a été une parenthèse de vingt-cinq ans dans une relation séculaire d'échanges. Les Levantins n'ont jamais vécu l'émigration comme l'acte désespéré de celui qui est contraint de quitter son pays et qui s'en repent ensuite ; c'est pour eux presque l'aboutissement normal de la vie d'un être ambitieux. Le rapport aux langues étrangères est tout aussi différent : la connaissance des langues est une commodité, une habileté pour ces gens de tradition marchande que sont les Levantins, alors que l'utilisation de la langue de l'occupant pose un problème de conscience à quelqu'un qui a subi une oppression culturelle.

En somme, l'Occident ne demanderait pas mieux que de s'intéresser à l'Orient, pour peu que les Orientaux fassent l'effort de venir à lui, comme l'attestent les immenses tirages des œuvres d'Amin Maalouf....
C'est vrai que, sans parler des romans, il est considérable que plus de cent mille Français aient acheté *Les Croisades vues par les Arabes*, premier livre d'un Arabe inconnu. Penser que les Français ou les Occidentaux ne s'intéressent pas à l'Orient est faux. Il ne faut pas oublier la longue tradition d'idéalisation de l'Orient dans l'imaginaire des Européens. Et les travaux des orientalistes européens sont fondamentaux. Deux mondes sont face à face et ils le resteront indéfiniment. Ils ont eu toutes sortes de rapports entre eux, ils se définissent l'un par rapport à l'autre. Dès qu'on établit un pont entre eux, on découvre que beaucoup de gens ont envie de le franchir. ●

le sexe d'un enfant à naître. Or il y a des sociétés où cette connaissance aboutit, pratiquement, à l'élimination des filles. J'ai vu un film de la BBC sur les équipes médicales qui parcourent une région de l'Inde, détectent le sexe des foetus et font avorter les femmes qui portent des filles. Un médecin se vantait devant la caméra d'avoir procédé à trente mille avortements. Epouvantable, inqualifiable. Et je me suis interrogé sur une autre dimension : que donnera une telle distorsion ajoutée à la cassure Nord-Sud ?

C'est un livre féministe...

Foncièrement. Je suis très attentif aux droits de la femme et scandalisé par tout ce qui y porte atteinte.

Auteur de livres dont les tirages approchent ou même dépassent le million d'exemplaires, vous êtes un écrivain heureux et un homme riche...

Pas un homme d'argent. Personnellement, je n'éprouve qu'un besoin, celui de temps. La vente de mes livres m'assure du temps pour travailler. Pour moi, l'argent c'est du temps.

On ne voit autour de vous aucun signe extérieur de richesse. Votre vie n'a-t-elle pas changé ?

Si, complètement. Mais absolument pas de cette façon-là. Selon un proverbe arabe, la richesse ne se mesure pas à ce que l'on possède, mais à ce dont on peut se passer. C'est ma règle de vie et, de ce point de vue, je suis riche. Je vis en ermite dans ma petite maison à l'île d'Yeu, et mon unique loisir est la promenade au bord de la mer. Quand j'ai besoin de voyager pour mes recherches, je peux financer mon déplacement, mais je suis devenu sédentaire. Autrefois je passais ma vie de voyage en voyage, maintenant, de livre en livre. Ce qui a vraiment changé, c'est ma gestion du temps.

En définitive, le roman n'est-il pas une autre façon de faire de la politique ?

Je ne crois pas. Autrefois, la politique était importante pour moi. Elle a cessé de l'être. L'ambition politique, le désir de jouer un rôle ou d'avoir une influence politique me sont devenus étrangers.

Ce qui se passe dans le monde ne vous est pas devenu indifférent. Vous pourriez utiliser votre audience.

Ce qui se passe dans le monde m'intéresse toujours autant, sinon de plus en plus. Si ce que j'écris peut avoir de l'influence, d'une manière ou d'une autre, c'est important pour moi. Mais je n'utilise pas de moyens d'influence en dehors de ce que j'écris. Par tempérament et par décision, je ne signe pas de manifestes ; je n'arrive pas à signer un texte que je n'ai pas écrit. J'ai une opinion sur ce qui se passe, par exemple, en Somalie, mais j'ai une certaine méfiance à l'égard de l'engagement politique, qui ne pourrait être qu'au détriment de ce que j'écris. Je ne fais d'exception que très rarement : j'ai publié un article à propos de la Yougoslavie parce que j'avais quelque chose à dire, sur les massacres qu'on aurait pu éviter, sur la tribalisation, que personne ne disait.

Quand je sors un livre, je veux bien parler, mais parler de ce livre et de ce qui tourne autour. Après, je retourne m'enfermer. Ce que j'ai à dire est dans mes livres.

***Le Rocher de Tanios* a été publié au moment de la signature de l'accord israélo-palestinien. Pure coïncidence ?**

Evidemment, mais heureuse. Je n'osais pas espérer que les événements iraient aussi vite. Pourtant, je n'aurais pas pu écrire ce livre si je n'avais pas pressenti une évolution au Proche-Orient.

Ce qui arrive a une importance qui va bien au-delà. Les Arabes et les musulmans s'entendent dire qu'il existe un seul modèle aujourd'hui, celui du monde occidental, et qu'ils n'y ont pas accès. C'est la meilleure manière d'attiser les idéologies de désespoir et d'enfermement. Or, s'il y a une chance pour que le monde musulman produise son propre modèle, elle se trouve au Proche-Orient, où vivent différentes communautés, des gens qui viennent de partout, qui ont des connexions avec toutes les régions du monde, qui ont un accès direct, qu'ils soient musulmans, juifs ou chrétiens, au cœur de la civilisation occidentale tout en étant au cœur du monde arabo-musulman.

Pourquoi l'Occident est-il incapable d'exporter un modèle ?

Ce n'est pas une de ses préoccupations. L'Europe a pour soucis primordiaux de se construire, de sortir de la crise, de redéfinir ses relations avec l'ex-bloc soviétique et avec l'Amérique. L'Occident peut offrir des éléments, sur la démocratie et sur l'organisation économique et sociale, qui doivent faire partie de n'importe quel modèle. Sans plus. De toute façon, personne ne produit consciemment un modèle.

Pourquoi les musulmans sont-ils incapables de produire leur propre modèle ?

Depuis un demi-millénaire, l'Occident a développé la civilisation la plus avancée. Il est devenu le siège de la modernité. Il domine le monde militairement, économiquement et intellectuellement. En sorte qu'il paraît de plus en plus difficile de produire un autre modèle, même pour un empire tel qu'était l'Union soviétique, qui se proposait de le faire. Qui, parmi les Etats du Tiers Monde, singulièrement musulmans, a la capacité de survivre, économiquement, en dehors du modèle occidental ? Aucun. Le nécessaire alignement économique entraîne l'alignement politique et, *mutatis mutandis*, intellectuel et scientifique.

Et l'islamisme, dans tout cela ?

Il représente l'attitude de ceux qui, devant un horizon bouché, se rabattent sur une affirmation entêtée de leur identité en espérant sortir miraculeusement de l'impasse. A l'épreuve du pouvoir, l'islamisme ne peut aboutir qu'à un echec.

« L'arabe n'est pas totalement sécularisé. Quand j'écris dans cette langue, je sens un poids sur ma main. »

part : le Liban n'avait pas la capacité de conclure la paix, englué qu'il était dans des querelles qui le dépassaient.

Je voyais le pays, après une période de paix relative, glisser irrésistiblement dans la guerre. Or je pensais qu'on pouvait arrêter cette dégradation. Je le disais sans être entendu : les uns ne voyaient pas ce glissement et les autres le tenaient pour irrémédiable. J'ai essayé d'agir pour ouvrir les yeux de mes compatriotes. J'ai invité Raymond Aron, André Fontaine et Jean Daniel. Fontaine est venu. Il a rencontré les gens qui comptaient. Malade, Aron a dû décommander son voyage. Il disparaîtra peu après. Daniel devait venir à la fin de juin, mais c'était trop tard. Je ne pouvais plus rien faire. Je suis reparti le 7 juillet 1983. Je ne suis jamais retourné au Liban.

Vous tirez donc un trait pour plonger dans la fiction.
J'avais eu des velléités romanesques. Cette fois, c'était sérieux. Je n'avais pas ma place dans l'univers de la politique. Ma vie était ailleurs.

Dix ans après, on peut dire que cette décision était définitive. Aurait-elle pu l'être sans le succès de *Léon l'Africain* ?
Elle était définitive. Je m'étais retiré du monde, j'étais entré dans les ordres. Si *Léon l'Africain* n'avait pas eu de succès, j'aurais continué à écrire des romans. Dans des conditions plus difficiles, c'est tout.

Le roman historique n'est-il pas une autre façon de faire du journalisme ?
Le journalisme m'a apporté deux exigences fondamentales. La première est d'écrire pour le grand public, jamais pour des spécialistes. J'informe. En essayant de n'être jamais hermétique, mais sans sacrifier la rigueur, sans concessions, sans simplifier. La deuxième exigence est l'enquête, et je dirai à deux degrés. J'enquête à travers l'histoire, je recoupe les sources, etc. Ensuite, j'introduis un jeu d'enquête dans le récit, des sources imaginaires auxquelles le narrateur se réfère, etc.

En ce sens, vous restez journaliste. Etes-vous devenu historien ?
Pas du tout. Je n'ai pas fait d'études d'histoire. Le premier ouvrage historique qui m'a passionné est le *Fouché* de Stefan Zweig, qui n'est pas un historien. Même *Les Croisades vues par les Arabes* n'est pas un livre d'histoire ; tout au plus peut-on dire que c'est un essai historique. Je m'intéresse à l'histoire, mais je ne suis pas historien. J'utilise trois types de matériaux : la nature, les passions humaines et l'histoire. L'histoire pour y puiser des événements, mais aussi parce qu'elle est un réservoir de passions humaines. Donc ce que j'écris n'est pas la vérité. Je place les événements historiques dans un contexte qui n'est pas leur contexte réel. Je laisse dire que j'écris des romans historiques, mais je n'en ai pas le sentiment. En vérité, je joue avec l'Histoire.

« La laïcité n'est pas une invention perverse de l'Occident. C'est un emprunt à Averroès. »

Après *Léon l'Africain*, comment avez-vous choisi vos sujets ?
L'idée de *Samarcande* m'a été suggérée par une note de Marguerite Yourcenar dans les *Mémoires d'Hadrien*, indiquant qu'elle avait d'abord pensé à écrire un livre sur Omar Khayam, et qu'elle y avait renoncé parce qu'elle ne connaissait pas son univers. Je suivais les événements d'Iran et je sentais le besoin d'aller creuser l'histoire de ce pays pour trouver les racines de ce qui arrivait. D'ailleurs, à côté de Khayam, j'ai trouvé Hassan Sabbah, le fondateur des Hashashin, qui était de Qom comme Khomeiny. Il se trouve que certains hadiths apocryphes selon les sunnites , où il est question de Qom et que citait volontiers Sabbah, ont été remis en vogue par Khomeiny.

***Les Jardins de lumière* ?**
J'ai découvert Mani au cours de mes recherches pour *Samarcande*. Je dis bien découvert : je ne savais même pas que le manichéisme était la doctrine de Mani. Or ce personnage illustrait parfaitement l'idée dont nous avons parlé, qu'on doit pouvoir revendiquer plusieurs appartenances, même sur le plan de la cohérence.

Ce livre est très peu romancé. J'ai reconstitué autant qu'il était possible, à partir d'éléments très fragmentaires, ce qu'a pu être la vie de Mani. Entendons-nous bien : il y a sans doute dans ce livre quatre-vingt-cinq pour cent de fiction, mais d'une fiction dont l'objectif est d'approcher la vérité au plus près. J'ai voulu révéler une figure latente. J'ai d'ailleurs introduit dans le récit une image effacée que l'on s'efforce de retracer, et c'est un peu cela le symbole du livre. J'ai donc été comblé par une lettre d'un grand spécialiste de Mani ; il m'écrivait que *Les Jardins de lumière* lui avaient permis, pour la première fois, de visualiser le personnage.

Cette volonté de donner un fort degré de vraisemblance à la fiction était déjà présente dans *Léon l'Africain*.
Sans doute, mais Léon était plus romanesque. Il y avait dans sa vie une succession de voyages et d'exils à travers laquelle on devinait des épisodes rocambolesques. Sur cette trame réelle, j'ai construit mon récit sans beaucoup me soucier de vraisemblance historique. Je ne pouvais pas prendre autant de liberté avec un personnage religieux.

***Le Premier siècle après Béatrice* s'inscrit dans une tout autre lignée : Orwell, Huxley...**
Ce livre est né d'une réflexion sur le monde d'aujourd'hui, sur le fossé entre l'évolution des techniques et celle des mentalités. La toute dernière illustration est la réussite du clonage. Je suis scandalisé de voir que l'on cautionne des recherches dont la seule finalité envisageable est la défiguration et la distorsion de l'espèce humaine. Prenons un autre exemple, qui ne concerne pas l'avenir, mais le présent. Par des techniques très simples, on peut déterminer

différents sujets. Il m'a suggéré d'écrire un livre sur Ibn Batouta. J'ai commencé à faire des recherches. J'ai été déçu par le personnage, dont la curiosité portait exclusivement sur ce qui était religieux. Et puis, au fil de mes lectures, j'ai rencontré Léon l'Africain. C'est ainsi que j'ai changé de sujet, mais il s'agissait toujours d'une biographie. A un moment précis, alors que je commençais à rédiger, il s'est produit un déclic. Après un retour au Liban, j'étais choqué, déçu. J'avais envie de m'éloigner de la politique. J'ai voulu passer de la planète politique à la planète esthétique. J'ai basculé dans la fiction. Je me suis mis à inventer des personnages, des scènes, des vies. L'éloignement du réel m'a procuré une véritable joie.

Ce retour au Liban vous avait amené à tâter de la politique...

Dans ma jeunesse, à l'université, nous étions tous dans une mouvance politique. Après, j'ai fait du journalisme. Je n'ai jamais fait de politique active. Puis je suis venu en France, en 1977, dégoûté de la tournure que prenaient les événements au Liban. Au début de 1983, des négociations ont été ouvertes entre le Liban et Israël, et j'y ai vu un changement positif, une perspective qui s'ouvrait. J'ai envisagé de me réinstaller au pays. J'accompagnais souvent la délégation libanaise, je rencontrais des Israéliens. J'étais admis dans la salle de négociation, où siégeaient les émissaires israéliens et américains ; j'écoutais. Apparemment, cela ne gênait personne, et moi, cela m'amusait. J'étais là comme journaliste en qui on avait confiance, devant qui on parlait ; je n'avais aucune responsabilité politique. Mais j'ai bientôt senti que tout cela n'était pas sérieux, ne menait nulle

d'éditer un premier roman, et de l'intérêt qu'il aurait, s'il veut à tout prix écrire, à commencer par ce que sait faire un journaliste, soit un récit fondé sur une enquête. Et nous voilà parlant de croisades vues par les Arabes... et par Amin Maalouf. Quinze jours plus tard, il me remet un synopsis dont

texte est lu... et refusé. Sans doute influencé par sa carrière de journaliste où on lui a appris à privilégier la recherche de l'objectivité, il a produit une histoire des croisades tout à fait originale, puisqu'elle fait pour la première fois la part aussi belle aux récits de « l'autre côté » qu'à ceux des chrétiens, mais très dif-



À *Jeune Afrique*, avec, de g. à dr., Béchir Ben Yahmed, Sennen Andriamirado et Léopold Sédar Senghor.

la qualité emporte tout de suite l'adhésion.

Un contrat est signé. Un peu plus d'un an après, un manuscrit... aux trois quarts terminé m'est transmis par Amin Maalouf, désormais plus assuré de ses sources après plusieurs dizaines de lectures d'ouvrages en français, anglais et arabe. Le

férente de ce qui était attendu. La commande n'était pas celle-là : raconter la vision des croisades par les populations envahies supposait non pas d'établir « la » vérité, autant que faire se peut, mais de rapporter « une » vérité, celle d'un des deux camps.

Dans la nuit qui suit notre rencontre, Amin Maalouf déchire la totalité de son manuscrit. Il n'émet aucune protestation. Il recommence à la page 1 ! Six mois environ plus tard, il remet à nouveau un texte. Il est quasi parfait, il est accepté immédiatement sous réserve de retouches de forme mineures, puis envoyé en fabrication. Dès sa publication, la critique, quelques historiens prestigieux en tête, salue le travail réalisé. Le public réserve plus qu'un succès d'estime à l'ouvrage qui bénéficie vite d'un deuxième tirage, cas rare pour un premier livre. Et l'éditeur demande immédiatement à l'auteur de passer à un second sujet. On l'incite à écrire, en conservant le mode de récit qui a fait le succès des *Croisades*, un « roman vrai » qui raconterait les aventures du célèbre voyageur de l'islam, Ibn Batouta.

Amin Maalouf hésite, il n'est pas séduit par le personnage. Un jour, pendant qu'il lit un texte pour parfaire sa première documentation, il tombe sur une note de bas de page évoquant l'extraordinaire histoire de Léon l'Africain. Il a trouvé son nouveau sujet : une vraie-fausse biographie de l'auteur de la célèbre *Description de l'Afrique* au XVII[e] siècle, un peu à la manière des *Mémoires d'Hadrien* de Marguerite Yourcenar. Cette fois, le succès confine au triomphe. Amin Maalouf abandonne le journalisme, il devient écrivain. Avec son sixième ouvrage, *Le Rocher de Tanios*, il a obtenu, cette année, le prix Goncourt. Il n'avait pas eu tort de parier sur son destin un jour où le téléphone avait sonné, une dizaine d'années auparavant... ●

RENAUD DE ROCHEBRUNE

rien de bon. Je m'arrêtais, j'écoutais les informations, je lisais, j'ouvrais mon courrier, je téléphonais. Ainsi coupé du monde extérieur, je jouissais d'un degré de concentration, je vous l'ai dit, que je n'avais jamais connu. La retraite productive a duré quinze mois.

De solitude absolue ?

Andrée me rejoignait de temps en temps, au début pour un week-end, ensuite pour des séjours d'une huitaine de jours. Je n'ai quitté l'île que quatre fois, pour aller à Paris voir mes enfants.

Andrée Maalouf, quel rôle joue-t-elle ?

Elle est ma première lectrice. Elle annote ma copie.

Pas seulement cela. Elle est un peu une mère juive pour vous ?

Je ne sais pas. Je n'ai pas eu de mère juive...

Elle prend soin de vous, elle vous couve ?

En tout cas, elle m'est indispensable. Et elle préserve ma tranquillité.

Vous travaillez avec un ordinateur ?

De moins en moins. Pour diverses raisons, la plus triviale étant que cela me fatigue les yeux. Contrairement à ce que j'ai pu penser, je crois que l'écriture à la main correspond mieux à mon rythme. Le plus souvent, j'écris lentement, mais le premier jet, s'il doit évidemment être retravaillé, est déjà très élaboré ; il n'a pas besoin d'être refondu.

Votre premier livre publié, *Les Croisades vues par les Arabes*, était un essai historique. Comment êtes-vous, ensuite, devenu romancier ?

Les Croisades ont trouvé un public. Mon éditeur m'a dit : « Vous ne devez pas vous arrêter là. » Nous avons envisagé

Comment Amin Maalouf devint écrivain.

Nous sommes en 1981. Deux ans auparavant, alors que je dirigeais avec Béchir Ben Yahmed aux Editions Jeune Afrique une collection intitulée « Le sens de l'histoire », j'avais une idée : pourquoi ne pas raconter enfin l'histoire des croisades non plus à la manière des croisés, mais du point du vue de l'« autre côté », ainsi que les ont vécues les habitants du Moyen-Orient envahis tout à coup, et pour deux siècles par les Franj, ces hordes de barbares occidentaux obsédés par la conquête de Jérusalem ? La parution de chroniques arabes réunies par l'orientaliste italien Francesco Gabrieli, m'avait fourni la preuve, s'il en fallait une, que ce n'était pas l'absence de sources qui empêchait de mettre fin à l'exclusivité du récit unilatéral. La découverte que l'auteur de ces lignes doit son prénom au souvenir d'un intrépide croisé (Renaud de Chatillon) exécuté par Saladin, avait attisé sa curiosité.

Mais voilà, qui entreprendra ce voyage dans l'autre camp, jusqu'ici inédit, voire interdit par la culture occidentale dominante ? Après avoir cherché vainement à tenter des historiens ou des écrivains, j'étais sur le point de renoncer... quand cette chasse à l'oiseau rare perdit toute nécessité.

L'oiseau rare

Les Editions Jeune Afrique avaient décidé d'abandonner les collections dites de littérature générale, à commencer par « Le sens de l'histoire ».

Quelques mois plus tard, je voulus vérifier si une autre maison ne serait pas intéressée par mes projets. La première contactée se montra enthousiaste. C'est ainsi que, fort de la promesse de Jean-Claude Lattès et de sa directrice littérature Odile Cail d'accueillir favorablement un manuscrit sur les croisades vues du côté arabe, je me remis en quête d'auteur. Je décidai de ne plus chercher à tout prix à rencontrer un expert de la question, mais plutôt de trouver un homme connaissant les lieux du conflit, éprouvant de la curiosité à l'égard de ces événements et capable de réaliser une enquête sans a priori. Un homme doté, par ailleurs, de la connaissance nécessaire de la langue française pour l'écriture et de la langue arabe pour les recherches documentaires. Le signalement était cette fois précis : il devait bien y avoir un érudit ou un journaliste libanais répondant à ce portrait-robot. C'était l'époque où la guerre avait condamné un contingent important d'intellectuels libanais à l'exil dans la capitale française. J'en connaissais un particulièrement, même si je ne l'avais plus vu depuis alors deux bonnes années : Amin Maalouf, ancien collaborateur d'*Economia*, que j'avais animé au sein du Groupe Jeune Afrique, et ancien rédacteur en chef de l'hebdomadaire *Jeune Afrique*.

Je décroche donc mon téléphone et j'appelle la rédaction parisienne d'*An Nahar International*, où l'on me dit qu'Amin Maalouf occupe le poste de directeur de la rédaction. Je pense à lui moins comme auteur possible que comme quelqu'un qui me proposera des noms. Je tombe sur un interlocuteur qui souhaite me rencontrer au plus vite. En instance de départ de son journal, déjà désœuvré, il ne songe alors qu'à une chose : écrire un livre. Il a rédigé le début d'un curieux roman de science-fiction évoquant une nouvelle période glaciaire qui se serait abattue sur le monde lors d'un siècle du prochain millénaire.

Science-fiction

En m'entendant évoquer l'époque des croisades, l'éventualité d'inverser la perspective, et de troquer l'exploration de l'avenir pour celle du passé, le séduit tout de suite. Pour ma part, je n'ai pas grande difficulté à le convaincre de la difficulté

acquis la célébrité en Occident, après avoir été traduit d'abord en français, sans réel retentissement, puis en anglais par Edward Fitzgerald. Et s'il y a aujourd'hui au Caire un hôtel Omar Khayam, c'est parce que les Anglais se sont intéressés à Khayam. Il est important que l'Occident reconnaisse l'apport du monde arabo-islamique dans sa culture et que le monde arabo-islamique se reconnaisse dans la culture occidentale.

Le rationalisme, en tout cas l'émergence de l'idée que la raison peut être indépendante de la foi, l'Occident le doit à Ibn Rushd (Averroès). Ce musulman est à l'origine du courant qui a influencé saint Thomas d'Aquin et qui a abouti à Spinoza, qui a constitué le soubassement intellectuel de la Renaissance et de l'essor de l'Occident, alors que son influence dans le monde musulman demeure nulle. Avouez qu'il n'est pas inutile pour les Arabes de savoir que la laïcité n'est pas une invention perverse des Occidentaux, mais un emprunt à un penseur musulman. Car, à la différence d'Abu'l-Ala, qui était areligieux, qui s'intéressait à la religion mais n'en dépendait pas, Averroès n'a pas renié son héritage islamique ; il a voulu concilier l'appartenance religieuse et la liberté de la raison. Il a indiqué une voie fondamentale à l'humanité.

«Abu'l-Ala était ouvertement impie. Mais pas question de toucher à cet intellectuel de renommée universelle.»

Comment avez-vous effectué le *passage*, pour reprendre un mot fort du *Rocher de Tanios*, du journalisme au roman ?

J'avais commencé plusieurs romans, sans aboutir. Je crois que je n'avais pas le souffle. La première fois, je devais avoir 14 ou 15 ans. Le premier texte d'une certaine consistance, quelque cent cinquante pages, je l'ai écrit au Liban en 1974 ou 1975, sur un sujet assez politique, inspiré par les événements du Chili.

En arabe ou en français ?

En français.

Pourtant, avant de venir en France, vous n'écriviez que dans des journaux arabes...

J'écrivais sans doute plus facilement en arabe. L'arabe est ma langue maternelle : mes parents lisaient le français, mais ne le parlaient pas couramment ; mon père était de culture anglaise. Pourtant, dès ma jeunesse, presque tout ce que j'écrivais pour moi était en français ; tout ce que j'ai écrit de fiction, dès mes premières tentatives, était en français. C'est peut-être étrange...

D'autant plus que ce qui séduit les lecteurs français, dans le style d'Amin Maalouf, vient précisément d'ailleurs...

Schématiquement, quand j'écris en français, la dimension arabe est présente et donne ce je-ne-sais-quoi de différent. Quand j'écris en arabe, la dimension occidentale apparaît. Je crois que j'ai, en arabe, une écriture plus cartésienne, rationnelle, fonctionnelle, rigoureuse, adéquate pour des textes de non-fiction. Si j'écrivais mes romans en arabe, on n'y trouverait pas la fantaisie, pourtant orientale, qui s'insinue dans mon style en français.

Je dirais autre chose, par rapport au sujet. Comme je parle souvent, dans mes romans, de l'histoire du monde musulman, il est plus facile de le faire en français qu'en arabe.

Ce n'est pas évident...

Quand je parle de l'islam, c'est généralement de façon positive, et avec le souci d'améliorer son image. Mais il y a une manière d'en parler qui n'est pas possible en arabe, du moins pour moi. Je peux parler du Prophète en français. En arabe, je serais contraint d'utiliser des formules hagiographiques. Je n'ai donc pas, en arabe, la liberté nécessaire au romancier. Je ne dis pas que c'est impossible, puisque de bons romanciers s'expriment en arabe, mais je considère que le roman a besoin d'une langue sécularisée.

Quand j'écris en arabe, qui n'est pas encore une langue totalement sécularisée, je sens comme un poids sur ma main. Je perçois comme le contrôle d'une autorité présente et qui n'a rien à voir avec l'imaginaire.

Il y a autre chose. En arabe, sauf peut-être en Egypte, la langue qu'on écrit n'est pas celle qu'on parle. Il y a donc toujours une affectation quand on écrit.

D'un roman à l'autre, la langue française d'Amin Maalouf a évolué. Elle est plus dépouillée, en même temps que plus subtilement nuancée, dans *Le Rocher* que dans *Léon*. Avez-vous une explication ?

Deux explications. D'abord, je travaille de plus en plus : et la construction et l'écriture. Ensuite, quand j'écrivais *Le Rocher de Tanios*, j'avais trouvé une qualité de concentration qui me manquait auparavant.

Après *Léon l'Africain*, quand j'ai décidé de me consacrer définitivement à l'écriture, je me suis trouvé confronté à un problème redoutable : la gestion du temps. Et je ne l'ai pas résolu dans les années suivantes, partagé que j'étais entre diverses occupations. Alors, il y a deux ans, en commençant à travailler sur *Tanios*, j'ai décidé de quitter Paris, de m'isoler totalement pendant des mois, à l'île d'Yeu. J'ai pu vivre complètement dans mon roman. Dès lors, j'ai pu m'affranchir de la construction linéaire, pour composer un texte comme un mobile de Calder, tout en conservant la cohérence du récit.

Comment travaillez-vous ?

Nous parlons de *Tanios*. J'étais seul. Je travaillais tous les jours. Au réveil, je téléphonais à Andrée, ma femn[illegible] je décrochais le téléphone. Je n'écoutais pas d'info[illegible]tions, je ne lisais pas de courrier. Je travaillais pe[illegible] quatre, cinq, six heures, le temps qu'il fallait, san[illegible]cer. Le moment venait où je sentais que je ne fai[illegible]

nourrit de liberté et de diversité ?
Je crois possible une société au sein de laquelle les individus auraient des appartenances différentes, mais adhéreraient en même temps à un code social. L'épanouissement de la personne ne doit pas être perçu comme un phénomène individuel et marginal en opposition à l'ordre social. Je vais plus loin. Dans une vision mondialiste, l'ordre social devrait reposer sur le droit à des appartenances diverses. Hors de cela, je ne vois que suicide social et affrontements sans fin.

L'Europe des patries et la nation européenne ne seraient pas antinomiques ?
A mes yeux, pas du tout. Si l'Europe a un avenir, c'est dans cette combinaison.

A l'instar de Tanios, marqué par la malédiction, les héros de vos livres antérieurs, Léon l'Africain, Mani, accomplissaient eux aussi un destin qu'ils n'avaient guère choisi...
L'appartenance unique ou multiple est au cœur de plusieurs de mes livres. Chez Léon, les appartenances culturelle et religieuse se rejoignaient. A travers Mani, le problème est posé en termes de lutte entre des entités religieuses exclusives que quelqu'un vient mettre en question. Dans *Le Rocher de Tanios*, les appartenances multiples apparaissent d'une manière métaphorique et symbolique.

Il faut faire une distinction. La liberté dans la société exige que la personne ait le droit de choisir ses convictions, ses appartenances culturelles, à la limite ses patries, que tout individu puisse être un alliage de traditions diverses. La liberté métaphysique, la question du déterminisme, se posent autrement : il s'agit de savoir si l'on choisit ou si l'on subit son itinéraire.

On ne choisit pas son appartenance. On choisit son attitude à l'égard des autres. Soit on considère les autres appartenances comme des agressions, des éléments perturbateurs et corrupteurs, soit on les accueille et on les assume. Si je reconnais certains apports de l'envahisseur romain, par exemple, comme un enrichissement, et que je les intègre, j'ai une tout autre attitude à l'égard et des Romains et de mon passé et finalement de moi-même.

Votre père était journaliste. Etait-il aussi un conteur ?
Il me contait l'histoire et les histoires de notre village. Il a commencé quand j'avais 4 ou 5 ans, et n'a jamais cessé jusqu'à sa mort ; j'avais 31 ans. Lorsque nous nous promenions, il me désignait une maison et il me la racontait. Pas une maison qui n'ait été le lieu d'un crime, d'un empoisonnement, de quelque événement fantastique. Mon père était un conteur merveilleux ; pourtant, il n'a jamais écrit une ligne de fiction. Il a écrit des essais, des articles de critique sociale ou politique, mais rédiger ce qu'il me racontait était impensable. D'ailleurs, quand je dis conteur, c'est en référence à la qualité de son récit, mais il ne fabulait pas, il était très rigoureux, peut-être devrais-je plutôt dire chroniqueur.

Pourquoi avez-vous choisi l'histoire de Tanios parmi tant d'autres ?
Parce qu'il s'agissait d'un événement qui s'était produit au village, au sein même de notre famille, et qui avait eu un retentissement loin au-delà. A tel point qu'en lisant des récits de voyageurs du XIXe siècle j'ai trouvé des échos de cette histoire.

Partagiez-vous d'abord l'attitude de votre père à l'égard de la fiction ?
Non. Fils de journaliste, j'ai toujours su que je serais journaliste ; je n'ai pas envisagé une seule fois un autre avenir. Mon père, vous l'avez compris, était mon modèle professionnel. Hors du journalisme, nous étions différents. Il était aussi poète, et je lisais ses poèmes à l'école dans une anthologie. Or je n'ai jamais écrit un poème.

Pourquoi ?
Peut-être – mais je ne me suis jamais posé cette question – parce que je suis d'abord intéressé par les idées. Sans les considérer pour autant comme supérieures aux images. Il faut dire aussi que mon père a vécu à une époque où les intellectuels échangeaient des poèmes, s'exprimaient et se mesuraient ainsi. Les poèmes étaient publiés à la première page des journaux. Ma génération – j'avais dix-neuf ans en 1968 – débattait d'idées, de conflits, de marxisme, de révolution. Beaucoup de politique.

Nos pères étaient préoccupés de renaissance arabe, qu'ils exprimaient justement dans la poésie, alors que notre référence était occidentale : nous nous réunissions pour discuter des derniers textes d'Althusser. Qu'un ministre d'un pays arabe réponde à un autre par un poème nous paraissait suranné, décadent, ringard.

Vous avez pourtant consacré un livre à Omar Khayam.
Khayam est un poète, mais aussi un philosophe et un savant. Il était le disciple d'Abu'l-Ala al-Maari, qui avait osé défier l'ordre religieux et qui était ouvertement impie. Abu'l-Ala n'exerçait aucune fonction, mais nul ne contestait son autorité dans sa ville de Maarat, où il donnait des consultations, assis par terre dans sa maison, à des hommes venus de loin. Et il n'était pas question de toucher à cet intellectuel aveugle de renommée universelle.

A la même époque, au Xe siècle, le plus grand poète arabe classique s'était proclamé prophète, impiété suprême, et portait le surnom d'Al-Mutannabi, celui qui se prend pour le Prophète. Et pourtant, il était reçu partout avec des honneurs. Imagine-t-on pareil statut dans le monde arabo-musulman d'aujourd'hui ?
Khayam m'a aussi intéressé en ce que ce poète d'Orient a

« Je refuse de choisir d'être libanais ou français. Chrétien, j'adopte ce que je veux dans l'islam... »

conflits inexpiables, terres maudites dans un monde en voie de tribalisation.

Ce symbolisme est-il à l'origine de votre choix du sujet ?
Consciemment, pas du tout. J'ai progressivement senti que ce que j'écrivais prenait cette signification, et j'ai laissé faire.

C'est le sujet qui vous a choisi ?
Exactement. Mais j'ai choisi Lamia : j'ai choisi une image de jeune femme qui m'a hanté, qui m'a fasciné. Je lui ai donné un nom. L'histoire s'est nouée quand j'ai introduit Lamia dans le récit que je tenais de mon père. Je me suis surpris à écrire qu'elle portait sa beauté comme une croix. Je me suis dit : elle est comme cette montagne, si belle qu'elle est convoitée, et parce qu'elle est convoitée, elle est à la fois malheureuse et fautive. Et innocente.

Pourquoi Lamia ?
C'est un prénom répandu dans toutes les communautés. Il a quelque chose de lumineux, de simple, de limpide.

A l'origine de la bâtardise, l'union de l'Orient et de l'Occident ?
Et aussi de l'islam et du christianisme. Il y a autre chose. Le bâtard ne trouve pas sa place faute de légitimité. Pareillement, des pays, des civilisations, sont taxés d'illégitimité. Quand des Bosniaques décident de former un Etat unitaire, pluraliste, etc., tout le monde pense qu'ils sont fous. Les Nations unies, l'Europe, l'Amérique décrètent qu'il faut procéder à un partage. Personne ne conçoit une légitimité rassemblant des ethnies différentes.

J'évoque la Bosnie parce que la tragédie de Sarajevo s'est nouée et développée pendant que j'écrivais, reproduisant en Europe la tragédie libanaise. L'actualité donnait un caractère universel à ce que je situais dans un cadre restreint.

N'est-ce pas aussi une question d'identité ?
Justement : quand une identité est une, bien tranchée, elle est légitime aux yeux du monde. Quand elle est complexe, on la déclare illégitime.

Pourquoi les hommes sont-ils fascinés par l'unité, ou l'unicité ? Le réel n'est-il pas pluriel ?
Je me suis posé cette question dans *Les Jardins de lumière*, à propos de Mani. Pourquoi ne peut-on pas avoir plusieurs croyances à la fois ? La réponse est qu'on appartient à une structure communautaire hiérarchisée, au sommet de laquelle, et c'est essentiel, est établi un pouvoir. Si nous appartenons à plusieurs croyances, à plusieurs nations, de qui dépendons-nous ? De personne, ou alors de Dieu directement. Or, pour le bon ordre d'un certain monde, il convient de placer les personnes dans une situation d'allégeance. Qui prétend s'en affranchir est illégitime, un bâtard.

Je suis rebelle à cette logique d'allégeance unique. Je refuse de choisir d'être libanais ou français, d'être arabe ou européen. Je suis d'origine chrétienne et j'adopte, j'intègre ce que je veux dans l'islam et dans d'autres religions ou philosophies.

Si l'on vous suit bien, la société a besoin d'unité parce le pouvoir a besoin d'unité, alors que la personne se

Proust, Malraux, Duras et les autres.

Décerné pour la première fois en 1903 par l'Académie Goncourt (à John-Antoine Nau tombé dans l'oubli), conformément aux vœux des frères Jules et Edmond, le prix Goncourt est le doyen et le plus prestigieux des prix littéraires français. Il a récompensé Proust, Malraux, Gracq, Mandiargues, Tournier, Duras, même s'il a loupé tous les autres. Si le prix n'est doté que d'un chèque symbolique de 50 FF (2 500 F CFA), le lauréat voit les ventes de son roman grimper : *La Condition humaine* de Malraux, Goncourt 1933, a été vendue à plus de 3 millions d'exemplaires. Au fil de ses quatre-vingt-dix ans d'histoire, le Goncourt a connu pas mal de péripéties : les deux guerres mondiales, qui empêchèrent plusieurs attributions, reportées après la victoire ; un lauréat qui le refusa : Julien Gracq, couronné en 1951 pour *Le Rivage des Syrtes* ; un lauréat qui l'obtint deux fois, sous des pseudonymes différents : Romain Gary, en 1956, pour *Les Racines du ciel* et sous le nom d'Emile Ajar, en 1975, pour *La Vie devant soi* ; des contestations, des académiciens accueillis lors de la proclamation du résultat à coup de tartes à la crème.



Amin Maalouf lors de l'attribution du Prix le 8 novembre dernier.

Bon an mal an, cahin-caha, depuis presque un siècle, l'Académie Goncourt choisit chaque année un roman qu'elle espère impérissable. Chaque second lundi du mois de novembre donc, au restaurant Drouant, place Gaillon, près de l'Opéra, les dix académiciens (actuellement : Hervé Bazin, François Nourissier, Robert Sabatier, Françoise Mallet-Joris, Edmonde Charles-Roux, Daniel Boulanger, Michel Tournier, Jean Cayrol, Emmanuel Roblès, André Stil) célèbrent la cérémonie rituelle avant de passer à table en compagnie du lauréat. C'est un peu la littérature à l'« estomac », comme disait Julien Gracq.

Plus sérieusement, notons un certain nombre d'initiatives récentes : la création de bourses (de la biographie, de la poésie...), et l'ouverture du Prix à des auteurs francophones : la Canadienne Antonine Maillet, le Suisse Jacques Chessex, le Marocain Tahar Ben Jelloun (avec *La Nuit sacrée*, en 1987) et aujourd'hui le Libanais Amin Maalouf.

JEAN-CLAUDE PERRIER

collège de la capitale libanaise.

A Paris, grâce à l'appui d'une consœur, Amal Naccache, il entre à... *Jeune Afrique*. Quelques années plus tard, il en deviendra l'un des rédacteurs en chef, après avoir parcouru le monde, et surtout l'Afrique, en tous sens. Puis ce sera le retour à *An Nahar*, dans les bureaux parisiens du journal, et bientôt – le récit vous en est proposé plus loin – l'entrée, presque par hasard, dans la carrière des lettres.

Il change alors de métier, sans doute, mais moins qu'on ne le croit. Devenu une sorte de grand reporter en mission dans des contrées fort éloignées non seulement dans l'espace mais aussi dans le temps, puisque ses livres ne se passent jamais au XXe siècle, l'écrivain Amin Maalouf des années quatre-vingt et quatre-vingt-dix véhicule le même message que le journaliste des années soixante-dix. Le plus important, pour lui, reste, le respect et la compréhension de l'autre, surtout s'il est très différent de vous. Par goût, par éducation, par conviction, de par son origine libanaise certainement aussi, il est devenu un nomade des cultures, un médiateur d'exception entre les hommes de l'Est et de l'Ouest, de l'Orient et de l'Occident. Amin Maalouf ou la parole toujours redonnée à l'autre. Il le démontre encore dans cette longue interview qu'il nous a accordée à la veille de la distribution annuelle des grands prix littéraires à Paris, à un moment où ni lui ni nous ne savions encore que le Goncourt allait, pour notre plaisir, amplifier la portée de ses propos. ●

RENAUD DE ROCHEBRUN

« Beyrouth ou Sarajevo, terres de rencontres, se retrouvent terres de conflits inexpiables, terres maudites dans un monde en voie de tribalisation. »

JEUNE AFRIQUE : *Le Rocher de Tanios* est-il votre meilleur livre ?

AMIN MAALOUF : On voudrait toujours croire que le dernier est le meilleur et que le prochain sera meilleur encore. Mais on est mauvais juge.

Quand l'avez-vous conçu ?

J'ai eu l'idée, ou l'envie, d'écrire un livre sur le Liban juste après avoir terminé le précédent, *Le Premier siècle après Béatrice*. Je pensais à des époques différentes, à des personnages différents. Et puis, je me suis souvenu d'une histoire que m'avait racontée mon père : le meurtre d'un patriarche chez nous, et ce qu'il y avait derrière ce crime. Un homme voulait marier son fils à la fille d'un notable. N'osant pas faire la demande lui-même, il en avait chargé le patriarche, qui, oubliant sa mission, demanda la main de la jeune fille pour son propre neveu. Puis le meurtre, la fuite à Chypre du meurtrier...

La trame est donc authentique...

En effet, mais ce n'était guère plus que ce que je viens de dire. Tout le reste est impure fiction : matériaux réels et récit fictif.

Pourquoi avoir attendu le sixième livre pour traiter un sujet libanais ?

Tant que la guerre durait, j'étais trop perturbé ; dès qu'éclatait un événement grave, j'étais incapable de travailler pendant plusieurs jours. En 1992, j'ai senti que le Liban commençait à sortir de l'épreuve dans laquelle il a vécu depuis dix-huit ans. Je suis devenu plus serein.

Le Liban en guerre a été un sujet pour le journaliste. Pourquoi pas pour le romancier ?

Pour le journaliste par contrainte, parce qu'on me considérait comme un spécialiste. Si j'avais eu le choix, j'aurais préféré couvrir des événements n'importe où ailleurs. J'acceptais d'écrire sur le Liban parce que je ne voulais pas étaler mes états d'âme, mais j'étais toujours mal à l'aise.

Comment résumeriez-vous *Le Rocher de Tanios* ?

Au XIXe siècle, dans un village de la Montagne, le cheikh Francis a la réputation de considérer les femmes de ses sujets comme sa propriété. Il convoite une jeune femme très belle, Lamia. Quelque mois après, naît Tanios, un doute plane sur sa naissance. Le fils de Lamia, Tanios, en subira une sorte de malédiction, et il attirera sur lui, sur ses proches, sur le village, une succession de calamités. Le mari de Lamia, pour reconquérir son titre de père de Tanios, ira jusqu'au meurtre. Accompagné de Tanios, il s'enfuira à Chypre.

Cependant, les problèmes du village s'enchevêtrent dans les affrontements entre l'Egypte et l'Empire ottoman, entre la France et l'Angleterre. De ce fait, Tanios se trouve jouer un rôle auquel il n'était pas préparé. En raison de son origine, de ce rôle et d'une trajectoire qui l'a marginalisé par rapport à sa communauté, il est poussé peu à peu vers la sortie. Un beau jour, il disparaît.

Peut-on dire que Tanios expie une sorte de péché originel ?

Sa bâtardise reflète celle du pays. Le Liban est né d'un mélange de cultures, de religions, de civilisations qui, dans le monde d'aujourd'hui, est illégitime. Bénédiction à mes yeux, cette bâtardise devient malédiction. Beyrouth ou Sarajevo, terres de rencontres, se retrouvent terres de

Réservé et modeste, le lauréat du prix Goncourt n'aime pas parler de lui-même. Mais il a beaucoup à dire sur son art et son œuvre, sur l'Orient et l'Occident. Passionnant.

Amin Maalouf le nomade des cultures.

Propos recueillis par
HAMID BARRADA, PHILIPPE GAILLARD ET RENAUD DE ROCHEBRUNE

Parlant de lui-même, Amin Maalouf répliquait récemment à un journaliste qui tentait en vain, en fin d'interview, de quitter le terrain des commentaires « objectifs » pour des aveux plus personnels : « De moi, il n'y a rien à dire. L'écrivain Amin Maalouf est beaucoup moins intéressant que ses personnages. » Cette relative humilité, comme ce refus de se livrer à nu, ne sont pas feints. Il n'était que de voir la timidité du romancier, le 8 novembre à l'heure du triomphe du Goncourt, assis maladroitement sur une chaise à la terrasse du café de Flore, à Saint-Germain-des-Prés et répondant gauchement aux premières sollicitations des grandes chaînes de télévision, pour s'en persuader.

Tous ceux qui l'ont approché, notamment à *Jeune Afrique*, et encore plus ses amis le savent : Amin Maalouf est un être réservé et pudique qui, malgré le succès, a toujours mené une vie simple, loin des mondanités parisiennes, entouré des attentions de sa femme, Andrée, et de ses trois fils. Il est pourtant des simplicités dont il faut se méfier. Si Amin Maalouf répond toujours clairement et directement à toutes les questions, avec un sens aigu de l'analyse, c'est précisément pour mieux cacher le personnage complexe, avec son extrême sensibilité et sa capacité d'émotion que quinze années d'enquêtes et de reportages n'ont pas atteint.

C'est, en effet, comme homme de presse, à la suite de son père, lui-même un grand journaliste libanais, poète à ses heures, qu'Amin Maalouf a commencé à traduire concrètement sa vocation pour l'écriture. Il était grand reporter au quotidien libanais *An Nahar* quand, au milieu des années soixante-dix, bien avant la trentaine, il fut obligé de quitter sa terre natale déchirée par la guerre. Habitant dans le secteur chrétien de Beyrouth, travaillant dans le secteur musulman, il ne put braver bien longtemps les francs-tireurs acharnés à couper la ville en deux. Un jour, sans grande préparation, il prit, seul dans un premier temps, le chemin de l'exil. Une valise, un bateau pour Chypre, un avion pour Paris, où il se réfugie, dans le pays de ces jésuites qui lui avaient autrefois prodigué leur enseignement dans un

le rocher de Tanios, va tenter de le résoudre.

Après bien des rencontres avec le vieux Gébrayel, détenteur de l'Histoire locale, cousin de son grand-père et ancien instituteur, le narrateur acquiert "*la conviction que Tanios avait bien été, au-delà du mythe, un être de chair. Les preuves sont venues plus tard, des années plus tard. Lorsque, la chance aidant, je pus enfin mettre la main sur d'authentiques documents*". Le rocher est le dernier endroit où l'on a vu Tanios s'asseoir, avant de disparaître définitivement dans des circonstances jamais élucidées.

Il devint alors un personnage de légende. Il était le fils de la jeune et belle Lamia, mais qui était son père ? Etait-ce le mari de Lamia, Géros ? N'était-ce pas plutôt le cheikh, seigneur et maître de Kfaryabda, amateur de femmes, amoureux de Lamia ? Son affection pour elle fut à l'origine du doute sur le vrai père de Tanios, auquel on cacha pendant longtemps ce mystère. Un jour pourtant, un de ses camarades de jeux, vexé d'avoir perdu contre lui lança le sobriquet qui bouleversa la vie du village : *kichk*, Tanios-*kichk*. Sobriquet lourd de conséquences : qui était-il donc ? Dès lors, Tanios n'eut plus qu'une envie, éviter Kfaryabda, éviter de rencontrer ceux qui l'avaient blessé.

Ce roman n'est pas construit comme les précédents ouvrages d'Amin Maalouf. Dans *Les Jardins de lumière*, il faisait revivre Mani, fondateur du manichéisme. Dans *Le Premier Siècle après Béatrice*, il élaborait une prophétie catastrophe de l'Histoire. Cette fois, il agit différemment et part d'une chronique anodine de village. Son roman ne se justifie que par rapport au Liban : c'est la première fois qu'il

Amin Maalouf

Le Rocher de Tanios



roman Grasset

le met en scène. Amin Maalouf prend le soin d'insérer une petite note en fin d'ouvrage. Seul le meurtre d'un patriarche, commis au XIXe siècle par un certain Abou-kichk Maalouf, réfugié à Chypre avec son fils et ramené au Liban par la ruse d'un agent de l'émir pour y être exécuté, est vrai. "*Le reste – le narrateur, son village, ses sources, ses personnages –, tout le reste n'est qu'impure fiction*".

Un monde de traditions ancestrales se brise. Le Liban entre dans l'ère "moderne", occidentale. Accouchement dans la douleur : il sert de pion sur l'échiquier des puissants. Le jeu d'intrigues politiques entre ses voisins, qui entraîne les habitants du village, ne se manifeste que par les calamités qui s'abattent sur eux. Pour se défendre, ils ne peuvent qu'évoquer le Destin qui "*passe et repasse à travers nous, comme l'aiguille du cordonnier à travers le cuir qu'il façonne*".

Amin Maalouf s'est donc servi de ce fait divers pour recréer l'univers de ces légendes que les patriarches, tel Gébrayel, aiment à raconter, en se faisant tirer l'oreille, pendant les veillées dans les montagnes du Liban. La culture orale fait partie de l'environnement c chaque jour, chargée des symbole qui relient les hommes aux chose du divin : "*En ce temps-là, le ci était si bas...*"

Editions Grasset, 229 p., 125 F. (Prix Goncourt 1993)

Michel Nicol

- 6 -

Amin MAALOUF
Le rocher de Tanios

CHRONIQUE d'un Liban annoncé : ainsi pourrait s'intituler le dernier roman d'Amin Maalouf, *Le Rocher de Tanios.* A partir d'un fait divers mi-réel mi-divin, ce conte oriental qui se déroule à Kfaryabda, petit village de montagne, sert de prétexte pour parler de la naissance du Liban. Dans cette première moitié du XIXᵉ siècle, les puissances voisines – l'Empire ottoman et l'Egypte – s'affrontent pour étendre leur influence, manipulées discrètement par l'Angleterre et la France. Au péril des traditions sociales et culturelles de la société d'alors.

A Kfaryabda, tous les rochers ont un nom, mais un seul porte un nom d'homme : le rocher de Tanios. Les enfants oscillent entre la curiosité et la crainte devant ce rocher. Il fascine chaque villageois depuis des générations. Mais jamais ils n'iront jouer sur ce rocher, "*c'était une promesse et une croyance*" que leurs aïeux leur ont arrachées "*la main sur le duvet de la moustache*". Tanios fait partie de la mythologie villageoise qui, entretenue par le cérémonial propre aux civilisations orientales, ne peut être accessible aux communs des mortels. Il fait partie du monde divin. Pour recréer l'atmosphère de son pays natal, Amin Maalouf imagine un narrateur qui, attiré par le mystère entourant

- 1 -

Parfums de mémoire

Une conte oriental d'Amin Maalouf : quand l'Histoire croise les légendes de la montagne du Liban

LE ROCHER DE TANIOS
d'Amin Maalouf.
Grasset, 281 p., 125 F.

« Quand j'avais cru atteindre le cœur de la vérité, il était fait de légende. » Cette phrase, tout à la fin du roman d'Amin Maalouf, en donne sans doute une des clés – parmi quelques autres, assurément. Nous sommes aux environs de 1830 dans la montagne libanaise, *« ma montagne »*, dit l'auteur, de la même manière qu'il appelle *« mon village »* le petit fief de Kfaryabda, centre de toute une histoire présentée comme le fruit de recherches persévérantes autour de lieux qui *« ont peu changé »* de nos jours.

Cette histoire, du reste, n'est-elle pas nourrie des souvenirs recueillis auprès de vieillards survivants d'une autre époque, et de chroniques diverses – celle d'un moine, une autre d'un muletier pénétré de sagesse, les «éphémérides», enfin, d'un pasteur anglais arrivé dans ce lieu perdu pas tout à fait par hasard.

Lecteurs, laissez-vous donc prendre par cette habile construction, mais n'ignorez surtout pas la petite note dans laquelle Amin Maalouf révèle qu'à l'exception d'un épisode authentique – le meurtre d'un patriarche dont l'assassin, réfugié à Chypre, fut ramené par ruse au Liban pour y être exécuté – *« tout le reste n'est qu'impure fiction »*. Ce qui ne nous empêche pas d'en apprendre très long sur le Liban ; un Liban où l'on voit naître, entre fiefs et familles, des *« vengeances successives »* qui ne sont pas toutes éteintes aujourd'hui.



COLL. FOUAD DEBASS

Assemblée de vieillards dans la montagne du Liban au début du vingtième siècle.

Tout commence avec la naissance, dans des conditions que l'on n'éclaircira jamais, du jeune Tanios. Il était l'enfant de la très belle Lamia. Mais, fut-ce des œuvres du mari légitime, l'intendant Géros, personnage un peu falot, ou de celles du cheikh, le maître et seigneur de Kfaryabda, dont le goût pour les jolies femmes de son fief était notoire ? Une opinion majoritaire, appuyée sur des signes d'affection jamais démentis, penche pour la paternité du cheikh. Mais Tanios ne serait-il pas l'un de ces personnages dont les origines sont et doivent demeurer obscures, qui surgissent un jour comme les instruments du destin pour disparaître plus tard, au faîte d'un rocher par exemple, tout aussi mystérieusement ?

Le Destin. Voilà un mot qui offre une seconde clé pour cet étrange récit, et que tend Maalouf lui-même. *« Le destin*, écrit-il en prétendant citer l'une de ses sources apocryphes, *passe et repasse à travers nous comme l'aiguille du cordonnier à travers le cuir qu'il façonne. (...) Le destin dont les redoutables passages ponctuent notre existence et la façonnent. »*

Et, pour souligner encore la portée de ces formules, le roman est divisé non pas en chapitres mais en neuf *« passages »* dont chacun marque un épisode déterminant dans la vie de Tanios et des siens.

Ce peut être la rencontre d'une jeune femme, apparemment vénale, qui va faire découvrir à Tanios les trésors les plus tendres de l'amour. Ou encore cette *« calamiteuse »* année 1838 qui commença par un tremblement de terre et vit les villageois supprimer leurs bêtes de somme plutôt que de les livrer aux soldats égyptiens. Car ces «passages» se font le plus souvent dans la douleur, comme celui d'où Tanios émergera, à peine âgé de quinze ans, la chevelure intégralement blanchie.

« Les faits sont périssables »

Nous sommes ici dans l'Orient chrétien, qui offre, par nature, un terrain de prédilection à l'épanouissement de tout un monde de signes, de symboles grâce auxquels une sorte d'humanisme de base, pétri de tolérance, se relie au divin et noue avec lui de subtiles rel tions où il serait trop simple de ı voir que des coïncidences. Mais Liban est alors – déjà – le lieu c confrontation entre des intérê politiques et diplomatiques dive gents, proches – l'Empire ottoma et l'Egypte – ou lointains – princ palement l'Angleterre et la Franc On imagine le jeu d'intrigues né c ces rivalités. Le destin – encore voudra que Kfaryabda e devienne le foyer et Tanios l'u des acteurs essentiels. L'un et l'a tre en seront aussi les victimes, a profit de «puissances» qui défen dent, pas toujours avec le mêm succès, leurs «clients» respectifs.

Ce contexte historique ne form toutefois que l'arrière-plan d'ur histoire qu'on imaginerait bie commencer, comme les conte d'antan, par « il était une fois... Car Amin Maalouf est avant tou un merveilleux conteur qui sai par touches délicates créer tout une atmosphère dans laquelle comme il se doit en Orient, le senteurs, les parfums son constamment présents pour évo quer les vergers, *« la bergamote de jardins abrités »*, le café qui chauff sur la braise ou l'*« odeur d jacinthe sauvage »* qui subsist après le départ d'une jeune fille Aussi bien, fait dire l'auteur à l'u de ses personnages, *« les faits son périssables, crois-moi, seule la légende reste, comme l'âme aprè le corps, ou comme le parfum dan le sillage d'une femme »...*

Rien, c'est bien connu, n'es aussi attachant qu'un parfum, rier non plus ne sollicite aussi puissam ment la mémoire. C'est sans doute pour cela, essentiellement, que chacun des personnages d'Amin Maalouf s'inscrit dans notre souvenir en des traits aussi vifs.

Alain Jacob

Histoires d'un pays crucifié

Le Rocher de Tanios, Amin Maalouf. Ed. Grasset. 125 F.

Le Rocher de Tanios, qui vient d'obtenir le Prix Goncourt, est du genre compliqué. Comme si l'auteur avait voulu nous perdre dans les sables du désert, avec un petit mirage de temps à autre pour égayer l'atmosphère. Par souci d'authenticité, fausse plutôt que vraie, l'excellent romancier de *Léon l'Africain* fait appel à la mémoire des ancêtres, au recensement d'archives privées, aux témoignages de première ou de seconde main, fruit d'une enquête personnelle, et même aux correspondances diplomatiques. On ne savait pas qu'il y eût autant de tiroirs dans les commodes libanaises, celles qui restent. Maalouf déterre ainsi l'histoire picaresque d'un petit villageois de la montagne, fils adultérin probable du cheikh local et de la belle Lamia, femme de son intendant. Le jour de sa naissance marque le début d'une malédiction. Elevé à l'anglaise, Tanios file de même, après que son père (putatif) a abattu le Patriarche d'un coup de fusil également anglais. A la suite d'une rivalité amoureuse. Exil, puis retour victorieux. Ou presque. Le père a été pendu. Ce qui sauve la vie de son fils. Tanios, manipulé par les puissances occidentales, devient figure emblématique des *frariyyé* (insoumis). Mais un jour seulement. C'est peu. D'autant qu'une rude tâche l'attend : juger le père de celle qu'il aime. Un collabo. La justice expéditive des hommes va plus vite que sa sentence. Le père est assassiné. C'est la fin des amours. C'est même la fin de tout. Le cheikh reprend sa place, mais il est aveugle. Tant pis. Tanios a fait son temps. Et ses cheveux ont prématurément blanchi.



Anin Maalouf

A vrai dire, les aspects politiques de ce livre copieux ne sont pas les moins intéressants. En ce temps-là, dans les années 1830, c'était l'Egypte et non les Syriens qui faisait régner la terreur sous les cèdres. En lutte contre l'empire ottoman, l'Egypte voulait alors bâtir un immense empire des Balkans aux sources du Nil, et concevait même le projet inouï de creuser un canal entre la Méditerranée et la mer Rouge. Dans ces conditions, Tanios devient une sorte de Général Aoun. Aussitôt lassé du pouvoir, mais aussi fortement controversé, et « coupable de pitié », il va, pour son dernier jour, s'asseoir sur un rocher en forme de trône qui domine la mer. Et nul n'a jamais su si cette dernière l'avait englouti ou s'il avait disparu de son propre gré. Reste la légende, « comme l'âme après le corps, ou le parfum dans le sillage d'une femme ».

Le récit d'Amin Maalouf est aussi captivant qu'un (bon) roman policier ou quelqu'une des Mille et une nuits de Schéhérazade. Depuis Georges Schéhadé, Khalil Gibran et plus près de nous Vénus Khoury-Ghata, nous ne goûtions plus guère ce plaisir délicat d'entendre des histoires parfumées au miel et à l'encens, les histoires d'un pays crucifié, dont la voix enchanteresse ne saurait se taire tout à fait.

Claude Mourthé

PORTRAIT

AMIN MAALOUF, LE GONCOURT DU CŒUR... ET DU LIBAN

Si « *chez les Arabes, dans le temps, on donnait un chameau en récompense pour chaque parole de sagesse* », il doit y avoir un chameau tapi dans chaque coin de la maison d'Amin Maalouf. Celui-ci, on l'imaginerait volontiers comme un vieux conteur de la montagne libanaise, assis sous la vigne, à la terrasse, face au soleil couchant, égrenant un passe-temps et dévoilant les mystères et merveilles de l'Orient des Mille et Une Nuits, cet Orient aux senteurs ambrées et aux arabesques dorées de l'époque du poète Omar Khayyam ou du calife Al Ma'moûn.

Du fin diseur, Amin Maalouf a la voix basse et chaude, les gestes enthousiastes et cette passion pour une époque – révolue depuis plus « *d'un demi-millénaire* » – où « *le monde arabe contribuait encore à l'œuvre du monde...* »

Considéré aujourd'hui comme l'un des derniers vrais orientalistes, à mi-chemin entre le chroniqueur historique et le conteur oriental, mais résolument francophone, Amin Maalouf s'est engagé dans cette voie comme on découvre sa véritable identité : sans préméditation. En effet, rien ne prédestinait le jeune éditorialiste du quotidien libanais *Al Nahar* à devenir l'historien des *Croisades vues par les Arabes*, le narrateur des aventures de *Léon l'Africain* ou des fastes des jardins de *Samarcande*.

Né à Beyrouth en 1949, dans une famille originaire du Metn, dans le Mont-Liban, Amin Maalouf s'est découvert très tôt une vocation de journaliste, à l'image de son père, Rushdie Maalouf, grand patron de presse. Tout en poursuivant des études d'économie et de sociologie à l'Université Saint-Joseph de Beyrouth, le jeune Amin publie ses analyses sur la politique internationale et se passionne pour les pays lointains, l'Occident, l'Extrême-Orient, rêvant de dépaysement et d'exotisme. C'est peut-être à cet âge-là qu'il se forge la conviction profonde que le monde ne peut être conçu que comme une porte ouverte à toutes les cultures, à toutes les « *appartenances* ».

En 1976, date des bouleversements et des scissions libanaises, Amin Maalouf fuit la guerre à laquelle il est « *allergique* » et dans laquelle il ne voudra jamais s'impliquer. Dans le navire qui le conduit à Chypre, il ne sait pas encore s'il s'installera au Canada ou en France. Une simple question de visa décide de son avenir, et c'est à Paris qu'il vit depuis avec sa femme Andrée et leurs trois fils. Journaliste dans un premier temps à *Jeune Afrique* et *Economia*, il reçoit de loin les nouvelles du Liban et de la guerre qui perdure.

« *Comment sortir ce monde de cette impasse historique ?* » A la manière de Jamaluddin El-Afghâni, Amin Maalouf se pose tous les jours cette même question. Pourtant, il a déjà trouvé en quelque sorte sa propre réponse. Mêlant fiction et vérité, il entreprend avec ardeur sa tâche d'écrivain. C'est sa façon à lui d'œuvrer contre la « *crise actuelle...* »

Cela fait dix ans que cet homme affable, au regard perçant et malin, à l'air faussement boudeur, n'est plus allé au Liban. Il ne se sent pas pour autant « *coupé* » de son pays : « *les vraies distances ne sont pas géographiques* », aime-t-il à répéter, confortant son idée que le « *Libanais est à la fois au Liban et ailleurs...* »



Optimiste quant à l'avenir du pays, Amin songe parfois à un retour à Beyrouth. Mais l'on perçoit dans son regard comme une crainte : celle de la déception, celle de ne pas retrouver le Liban de sa mémoire. N'est-ce pas le désir de conjurer cette crainte qui l'a poussé à écrire son dernier roman, récit des jours heureux de la montagne libanaise où régnait encore l'harmonie ? Bien lui en a pris ; *Le Rocher de Tanios* (voir dans ce numéro la rubrique Lire) vient de se voir attribuer le prestigieux prix Goncourt. Un hommage à un écrivain... et à une mémoire.

Nathalie HOBEICA

AMIN MAALOUF, PRIX GONCOURT

C'est le cinquième roman *Le Rocher de Tanios* du Libanais résidant en France Amin Maalouf qui a obtenu le prix Goncourt 1993. L'auteur, diplômé en sociologie et en économie politique, a déjà publié quatre textes: *Les Croisades vues par les Arabes* (1983); *Léon l'Africain* (1986), biographie romancée de Hassan Al-Wazzan, alias Léon de Médicis, musulman né à Grenade en 1488, mort à Tunis vers 1555 et entre-temps baptisé à Rome par le pape Léon X dont il fut le conseiller et l'ambassadeur; puis Samarcande consacré au poète persan ennemi du fanatisme religieux Omar Khayyam; *Le Jardin des Lumières* (1991) qui explore la personnalité de Mani, prophète dont le nom a donné "manichéen" mais qui, lui, ne le fut pas et *Le Premier Siècle après Béatrice* qui se lance dans une évocation du 21^{e} siècle. Avec *Le Rocher de Tanios*, Amin Maalouf retourne vers son pays natal pour raconter une superbe histoire menée avec le talent d'un grand écrivain, pleine de charme et de poésie.

Le romancier libanais Amin Maalouf a reçu le prix Goncourt pour son roman *Le Rocher de Tanios*, publié à Paris, aux éditions Grasset.
Le Goncourt est un prix littéraire français prestigieux destiné à couronner le meilleur roman de l'année.

Amin Maalouf, né à Beyrouth en 1949, a suivi des études d'économie et de sociologie à l'Ecole supérieure de lettres, puis à l'université Saint-Joseph au Liban.

Comme beaucoup de Libanais, il fût contraint de quitter sa terre natale au début de la guerre du Liban pour s'installer à Paris en 1976.
Il a collaboré à la rubrique économie du quotidien *An-Nahar*, puis à la revue *Jeune Afrique*, et enfin, à l'hebdomadaire *An-Nahar al-arabi wa al-dawli*, avant de se consacrer enfin à l'écriture romanesque.

Le Rocher de Tanios est son cinquième livre, *après Les Croisades vues par les Arabes* paru en 1983, *Léon l'Africain* en 1986, *Samarcande* en 1988, *Les Jardins de lumière*, paru en 1991 et *Le Premier siècle après Béatrice* en 1992.

Amin Maalouf est le deuxième écrivain arabe à recevoir le prix Goncourt, après le romancier marocain Tahar Benjelloun pour son roman *La Nuit sacrée*, paru en 1987.

AMIN MAALOUF

Prix Goncourt 1993



Dossier documentaire préparé par :
Adnan el Chafei , Tayeb Ould Aroussi